يُهْدَى وَلا يُبَاعُ

عَالَمِيَّةُ الإِسْلامِ

الجزء الثّاني

١- تعليقات على محاضرات عالميّة الإسلام

٢- خصائص القرآن الكريم ٣- الاستعاذة والبسملة

٤- اقتران الأعمال باسم الله ٥- كيف يستفيد الإنسان من اسم الله؟

٦- الإسلام دين الرّحمة ٧- الرّحمة الإلهية

٨- الرّحمة النّبويّة ٩- وإنّك لعلى خُلُقٍ عظيم

١٠- حريّة البحث العلميّ ١١- ثقافة الاختلاف

١٢- حرّيّة الفكر والاعتقاد ١٣- محوريّة القرآن الكريم ومحاوره

١٤- خطابات القرآن العالميّة ١٥- الأمّة الإسلاميّة أمّة واحدة

١٦- قوّة الأمّة الإسلاميّة وهيبتها ١٧- اهتمام القرآن بالعدل

الشّيخ محمّد أشكناني

الطّبعة الأولى

١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠ م

حقوق الطّبع محفوظة للمؤلّف

السّلام عليكم جميعًا

أرجو ممّن يقرأ هذا الكتاب أن يرسل رأيه عن الكتاب إلى الإيميل

mohashk14@hotmail.com

أو الواتساب على رقم

00965-99644250

يبدي رأيه في الكتاب وفي مشروع عالميّة الإسلام ، فآراؤكم تهمّنا وترشدنا إلى الأفضل ، وستنشر الآراء مع أسماء أصحابها في الجزء التّالي من الكتاب ، وأكون لكم من الشّاكرين .

الشّيخ محمّد أشكناني

موقع الشّيخ محمّد أشكناني
www.alashkanani.com

YouTube
Ashkanani Channel

Instagram
@alashkanani

البريد الإلكترونيّ للمؤلّف
mohashk14@hotmail.com

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ الطَّاهِرِينَ

اللَّهُمَّ كُنْ لِوَلِيِّكَ الحُجَّةِ ابْنِ الحَسَنِ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ

وَعَلَى آبَائِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ وَلِيًّا

وَحَافِظًا وَقَائِدًا وَنَاصِرًا وَدَلِيلًا وَعَيْنًا حَتَّى تُسْكِنَهُ

أَرْضَكَ طَوْعًا وَتُمَتِّعَهُ فِيهَا طَوِيلًا

بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ الطَّاهِرِينَ

تعليقات على محاضرات
عالميّة الإسلام

هذه تعليقات وصلتني على موضوع عالميّة الإسلام :

زامل الوسمي – الكويت ٢٠١٩/٧/٢٦ :

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطيّبين الطّاهرين .

يُشْكِلُ البعض على المسلمين بإشكال وهو: ألسنا نمتلك عقولًا ونستطيع أن ننظّم حياتنا من دون الحاجة إلى دين ينظّم حياتنا ؟ ويستدلّون بوجود كثير من الدّول التي لا تدين بدين ، ولديها قوانين تكفل حياة الفرد والمجتمع ، ومن خلال قوانينها تعيش في استقرار وأمن وأمان ، إذن ما الحاجة إلى الدّين ؟

لكي نُجِيبَ على هذا السّؤال يجب علينا أوّلًا أن نُجِيبَ على سؤال قبله ، وهو مهمّ جدًّا وهو : كيف وُجِدْنا في هذه الحياة ؟

أجاب الكثير من الفلاسفة والعلماء على هذا السّؤال ، واختلفت إجاباتهم ، ولعلّ أشهر الإجابات في عصرنا الحاضر هو أنّ نشأة الكون بدأت عند الانفجار العظيم ، ولكن من هو المُفَجِّر ؟

نعتقد نحن – المسلمين – على أنه لا بد من أنّ هناك إرادة قرّرت أن يحدث الانفجار ، ولا بدّ من أن تكون هذه الإرادة قادرة على

فعل هذا الانفجار ، وما يتسبّب به الانفجار ، وتكون مُهَيْمِنَةً عليه، وكلّ شيء خاضع تحت سيطرتها ؛ لأنّ الانفجار في العادة يولّد الدّمار واللّانظام ، وهذا الانفجار وَلَّدَ كونًا مليئًا بالمجرّات وما تحتويها من نجوم وكواكب وكويكبات منظّمة ودقيقة جدًّا ، ولابد من أن تكون هذه الإرادة القادرة عالمة ، فهي من وضعت القوانين الّتي نظّمت بها هذا الكون ، هذه القوانين الّتي لم يكتشفها إلّا عباقرة علماء البشر ، فلا بدّ من أنها صدرت من عالم خالق بديع ، ولا بدّ أن تكون هذه الإرادة القادرة العالمة حَيَّةً ،فمن يهب الحياة لا بدّ أن يكون حيًّا ، ومن خلال هذه الاستنتاجات المختصرة يعتقد المسلمون بوجود خالق لهذا الكون ، وهو الله عزّ وجلّ .

وبما أنّنا عرفنا الخالق عزّ وجلّ فإنّه يتمّ بسهولة معرفة الحاجة إلى الدّين ؛ لأنّ الدّين هو الّذي من خلاله يتمّ تعريف الخالق عزّ وجلّ عن نفسه للإنسان ، وعن الغاية الّتي خلقه لها ، وهو المنهج والدّستور الذي يبيّن فيه سُنَنَهُ الّتي يدير بها الحياة بشكل عامّ ، وحياة النّاس بشكل خاصّ ، وأيضًا يحتوي على كلّ ما يحتاجه الإنسان لكي يعيش هو وباقي النّاس بسلام وأمن وسعادة ، وقدّم لنا هذا المنهج عن طريق القرآن الكريم الّذي أرسله الله عزّ وجلّ للنّاس عن طريق رسوله محمّد صلى الله عليه وآله ، بالضّبط كأيّ جهاز جديد يخرج من المصنع يوضع معه في علبته دفتر أو كتاب فيه إرشادات التّعامل مع الجهاز ، وفيه توضيح لما يفعله مشتري الجهاز إذا حدث به عطلٌ

من الأعطال ، كذلك هو القرآن الكريم وضعه خالق الإنسان ليرشده إلى الحياة الصّحيحة الّتي تحقّق له السّعادة في الحياة ، ويعالج مشكلاته الّتي تواجهه في حياته ، فالقرآن منهج حياة ، أي منظّم حياة الإنسان تنظيمًا يحقّق له السّعادة .

يختلف الدّين الإسلاميّ عن باقي الدّساتير والقوانين الّتي هي من صنع النّاس أنفسهم ؛ لأنّ الدّين – كما قلنا – هو من عند خالق الإنسان عزّ وجلّ ، ويريد به أن يحقّق السّلام والأمان لكل النّاس ، فالله تعالى ليس له أيّ مصلحة ذاتيّة يستفيد منها من خلال قوانينه الّتي فرضها لمخلوقاته ، فهو عزّ وجلّ غنيّ بذاته ، ولا يحتاج لشيءٍ إطلاقًا ، ولكنّ المصلحة راجعة للمخلوقات إذا طبّقت هذه القوانين ، وأمّا القوانين الموضوعة من قِبَلِ النّاس أنفسهم فهي توضع بناء على ما يرونه مصلحةً لهم ، وقد يكون فعلًا في هذه الفترة مصلحةً لهم ، ولكن على المدى البعيد لا يكون مصلحةً بل يكون مضرًّا جدًّا ، ومثال على ذلك هو النّظام الاقتصاديّ الاشتراكيّ الّذي ظنّ مؤسّسوه أنّه يلغي الطّبقيّة بين أفراد المجتمع ، ويحقّق العدل والمساواة بينهم ، وانتشر في بداياته انتشارًا واسعًا وخاصّة بين الطّبقة الفقيرة الّتي كانت محرومة ومقهورة دائمًا ، ولكن سرعان ما تهاوى النّظام الاشتراكيّ حيث إنه لم يُكْمِلْ حتى قرنًا واحدًا ، وانهار بسبب عدم واقعيّته أمام ما يمتلكه الإنسان من نزعة حبّ التّملّك ، فبطبيعة الإنسان يحب التّملّك ، ويحبّ أن تكثر ممتلكاته مع مرور الوقت ،

حتّى الفقير المؤمن بالاشتراكيّة بمجرّد ما يجتهد ويصبح من أصحاب المال والأملاك ويصطدم مع جوهر فكرة الاشتراكيّة ، وهي أن لا أحد يمتلك الفرد شيئًا ، فالجميع هم من يملكون لا الفرد – تتغيّر نظرته للاشتراكيّة ؛ لأنّها في هذا الوقت لا تتماشى مع طموحاته كما في السّابق عندما كان فقيرًا .

وأيضًا القوانين الوضعيّة الّتي توضع بناءً على مصالح واضعيها قد تتعارض مصالحهم فيما بينهم ، وهذا ما يحصل غالبًا بين الدّول مما تتسبّب الاختلافات في المصالح إلى الحروب وسفك الدّماء فيما بينهم، ولو رجعنا إلى أسباب الحرب العالميّة الثّانية كمثال – والّتي تُعَدُّ أشرس حرب عرفها التّاريخ الإنسانيّ – لرأينا أنّها اختلاف مصالح أشخاص لا يزيدون على عدد أصابع اليدين ممّا أدّى إلى قتل ما يُقارب ٥٠ مليون إنسان ، أمّا الخالق عزّ وجلّ فلقد وضع لنا دينًا ليس فيه امتيازات لأحد على آخر ، فالكلّ سواسية ، والكلّ يجب عليه تطبيق هذه القوانين لكي يعيش الكلّ في سعادة .

كما قلنا في السّابق إنّ القرآن الكريم هو الدّستور الّذي أراد الله عزّ وجلّ من خلاله أن تسير البشريّة على نهجه ، ويعتقد المسلمون أنّه كتاب صالح لكلّ زمان ومكان إلى يوم القيامة ، وأنّ المبيّن لما في القرآن هو الرّسول محمّد صلّى الله عليه وآله ، ويزيد المذهب الجعفريّ الأئمّة الاثني عشر عليهم السّلام ، هم أيضًا مفسّرون للقرآن ، وتتجسّد مفاهيم القرآن فيهم جميعًا ، لذلك هم الأسوة والقدوة لمن

يريد طريق الصّلاح والهداية ، والفوز بالجنّة في النّهاية .

ولكن توجد على القرآن الكريم إشكالات ، وإشكالات على ما ورد عن النّبيّ الأعظم صلّى الله عليه وآله ، وإشكالات على ما ورد عن الأئمّة عليهم السلام ، وهذه الإشكالات تارة تكون من المسلمين أنفسهم ، وتارة تكون من غير المسلمين ، وغالبًا تأتي إشكالات المسلمين بنحو الاستفهام لمعرفة العلّة والحكمة ممّا يريده الدّين ، ومن الأمثلة على ذلك هي : لماذا حلّل الدّين للرّجل في القرآن الزّواج من أربعة بالرّغم من أنّ هذا الحُكم يؤلم المرأة كثيرًا ؟ لماذا حلّل للرّجل في القرآن ضرب زوجته ؟ لماذا يُعْطَى الرّجل ضعف نصيب المرأة في الإرث ؟ أليس كلّ هذه الأحكام تدلّ على أنّ الدّين ذكوريّ ؟

وكثير من الإشكالات الّتي تُطْرَحُ من المسلمين ، وحتّى غير المسلمين يطرحون مثل هذه الإشكالات على الأحكام الإسلاميّة ، نعم الكثير من هذه الإشكالات يتمّ الجواب عليها بأجوبة مقنعة ، ولكن مع الأسف الكثير لا يوجد لها أجوبة شافية من قِبَلِ العلماء ، والبعض من العلماء يريدك أن تستسلم وتُطبق دون أن تفهم لماذا أنت تطبّق ؟ وما الحكمة من التّطبيق ؟

صحيح أنّ الإسلام هو الاستسلام للإرادة الإلهيّة ، ولكنّ العمل مع فهم الحكمة ممّا أعمل أفضل بكثير من أن أعمل بجهل ؛ لأنّ العمل بجهل يجعلني لا أعي النّتائج المترتّبة على أحكام الله تعالى ممّا يجعلني غير مُدْرِكٍ للفوائد ، وأبقى أعمل بجهل وأنا غير راضٍ عمّا

أعمله ، وأمّا لو كنت أعرف الحكمة فإنّي سأعمل بحماس ورغبة كبيرة بالعمل بأحكام الله عزّ وجلّ .

إن أغلب المسلمين عندما لا يجدون جوابًا على إشكالاتهم يصرفون النّظر ولا يهتمّون بسبب أنّه مؤمن بأنّ كلّ ما يفرضه الله عزّ وجلّ هو لحكمة وفائدة حتّى لو لم يعلم حكمتها ، ولكنّ الخطورة الكبيرة تكمن في أنّ بعض المسلمين يرتّدون عن الإسلام بسبب عدم اقتناعهم بالأحكام ولم يجدوا من يبيّن لهم الحكمة منها .

وأمّا غير المسلمين فغالبًا ما يُشْكِلُونَ ليبيّنوا مدى ضعف ديننا ، وأنّه غير صالح لاعتناقه والعمل به ، وخاصة من الملحدين الّذين لا يؤمنون بوجود الله عزّ وجلّ ، ولا يؤمنون بكلّ ما هو غيب ، ونحن كثير ممّا في ديننا غيبيّات ، مثل الإيمان بالله عزّ وجلّ والملائكة والجنّة والنّار ، وإلى آخره من الغيبيّات الّتي هي جزء أساسيّ ورئيسيّ في ديننا ، لذلك عندما أراد الله عزّ وجلّ أن يصف المتّقين في أوّل سورة البقرة المباركة قال : "**ذَلِكَ الكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ** . . ." [1] .

إنّ أوّل وصف وصفه الله تعالى للمتّقين هو الإيمان بالغيب لما له من أهميّة قصوى في ديننا ، ولكنّ الملحدين يرفضون الغيب تمامًا ، ويصفون الغيب بأنّه ما هو إلّا من تأليف البشر .

إنّ الملحدين – في الحقيقة – أقوياء من جهة ، وضعفاء من جهة

---

[1] البقرة : ٢ – ٣ .

أخرى ، فهم أقوياء في طرح الإشكالات على الدّين الإسلاميّ ، ولكنّهم ضعفاء جدًّا في طرح البديل عن نظرة الإسلام ، مثلًا هو ينفي الغيب الّذي يؤمن به المسلمون تمامًا ، ومن ضمن الغيب الجنّة والنّار ، حيث إنه ينفي وجود يوم القيامة والحساب ومكافأة الصّالحين بإدخالهم إلى الجنة وعقاب المجرمين بإدخالهم إلى النّار ، وهو لا يؤمن بأيّ حياة بعد حياتنا هذه ، وأنه إذا مات الإنسان تنتهي حياته إلى الأبد ، ولكن نسأل الملحدين : إذا كان لا جنّة ولا نار فما هو حال المجرمين الّذين يسرفون في سفك دماء الأبرياء ويموتون دون أن تتمّ محاسبتهم ومعاقبتهم على جرائمهم ؟

مثلا الزّعيم النّازي "أدولف هتلر" تسبّب جشعه في قتل ٥٠ مليون إنسان وانتحر دون أن يحاسب ولا يعاقب ، والزّعيم السّوفييتيّ "جوزيف ستالين" الّذي تسبّب في قتل ملايين السّوفييت المعارضين له ومات وشيّع بجنازة كبيرة دون أن يحاسب أو يعاقب على جرائمه .

إنّ جواب الملحدين هو – بما معناه – أنّ من فلت من العقاب فقد فلت ، وكلّ الّذي يجب علينا هو أن نطوّر سلوكنا الإنسانيّ لكي لا تتكرّر مثل هذه الشّخصيّات .

إنّ هذا الجواب غير منطقيّ ؛ لأن الإنسان بطبيعته قابل لأن يكون مجرمًا ظالمًا ، ولن يستطيع أيّ تطوّر أن يجعل بعض النّاس غير شرّيرين ، وعندما نرى أنّ علية القوم هم من يفلتون من العقاب فسيحاول الجميع أن يكونوا من علية القوم ، ممّا يجعل التّصادم بين

رغبة الكلّ في أن يكون فوق الجميع وأن يكون الجميع خاضعين له ، ويؤدي ذلك إلى الاقتتال ، وتصبح حياة الناس كحياة البهائم في الغابة ، وهذا بالفعل هو الواقع الّذي يعيشه الإنسان منذ بداية التّاريخ الإنسانيّ ؛ لأنّ النّاس الّذين هم بعيدون – بسبب التّعلّق بالدّنيا – عن التّفكير في المصير الّذي ينتظر المجرمين سواء كان مؤمنًا بالله عزّ وجلّ أم غير مؤمن ما دام أنّه متعلّق بالدّنيا وبزينتها الخادعة ، فتراه يظلم نفسه ويظلم النّاس ، ولا يتردّد في سحق كل من يقف في طريق طموحاته أو حتّى لو يشعر أنّه حجر عثرة في طريقه .

إنّ الطّريقة الوحيدة الّتي تردع أيّ إنسان عنده قابلية لفعل الشّرّ هي الخوف الّذي يجعله يزهد في أيّ رغبة دنيويّة تكون نتيجتها عذاب جهنّم ، فلا يوجد مُصْلِحٌ أكثر فاعليّة من الخوف ، ولكي يخاف الإنسان لا بدّ له من أن يعلم بأنّ المحكمة الأخرويّة ليس فيها علية من القوم يستطيعون النّفاذ من العقاب لأنّ الكلّ سواسية ، وهذه الطّريقة لا يختلف عليها عاقِلَيْنِ ، لذا تجد الحكومات تضع قوانين صارمة وكبيرة لبعض الجرائم ، كالسّجن مدى الحياة لتاجر المخدّرات ، هم لا يستلذّون في سلب حريّته ، فقط يريدون ردعه عن تجارة المخدّرات ، ولكن لو لم يرتدع فلا بدّ من أن تطبّق عدالة القانون عليه .

ولو قدّمنا نظريّة الإسلام في التّعامل مع الأشرار الّذين ينفذون من العقاب في الدنيا ، وقارنّاها بنظريّة الملحدين – فبالتأكيد سنرى أنّ

نظريّة الملحدين هي التّشجيع على الإجرام ، وللإنصاف فهم لا يقصدون أن يكون النّاس مجرمين ، ولكن نتيجة آرائهم تجعل النّاس مجرمين كما ذكرنا ، وأمّا نظريّة الإسلام فهي مصدر رادع للكثير من النّاس الّذين تركوا فعل الشّرّ والإجرام بسبب الخوف من جهنّم ، فكانت هذه النظريّة سببًا بأن لا يصبح هذا الإنسان مجرمًا ظالمًا للنّاس ، وبالنّسبة للّذين يرتكبون الجرائم ولم يرتدعوا تكون جهنّم مصدرًا لتسلية الأبرياء بأن هناك قاضيًا سيأخذ بثأرهم من هؤلاء المجرمين ، وقلّة قليلة من البشر الّذين رغم عدم إيمانهم بالآخرة يكونون مستقيمين رغم قسوة الحياة الّتي تصيبهم ، وهؤلاء قلّة لا نفترض خطأ استنتاجًا بسببهم .

إذن نستنتج من ذلك أنّ جهنّم أداة رادعة ، برحمة الله خلقها ليرهب النّاس منها لأجل استقامتهم ، ولكن في الوقت نفسه هي أداة لتحقيق عدالته ، وينتقم بها للأبرياء المظلومين من الظّالمين .

وكما قلنا إنّ الملحدين أقوياء في التشكيك وطرح الإشكالات ، ومن إشكالاتهم : إذا كان الله عادلًا فلماذا يُعَاقِبُ في النّار بدل أن يعاقبه في الدّنيا ؟ هو أذنب في الدّنيا فلماذا يُعَاقَبُ في غيرها ؟ ولماذا نوعيّة العقاب شديدة جدًّا أكبر من الذّنب نفسه ، ففي رواية عندكم بما معناها أن في تفسير القرآن في آية : " **وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا** " [1] : أن أثامًا بئر في جهنّم إذا أُلْقِيَ فيها حجر لا يصل

---

[1] الفرقان : ٦٨ .

إلّا بعد سبعين عامًا ، فكيف أنّ عملية جنسيّة لا تستغرق إلّا دقائق معدودة يكون عقابها عشرات السّنين وفي بعض الرّوايات آلاف السّنين ؟ فأين العدالة في ذلك ؟ وأين رحمة الله عندما يبيد أقوامًا بأكملها فقط لأنّها لم تؤمن به ؟ ، وإذا سلّمنا جدلًا بأنّهم يستحقّون الفناء فما هي جريمة الأطفال ؟ لماذا تتمّ إبادتهم مع آبائهم وأمّهاتهم ؟ ولماذا النّبيّ الّذي يحثّ النّاس على الزّهد في ملذّات الدّنيا يتزوج أكثر من عشرة نساء ؟ ، والكثير من الاشكالات الّتي لا يتمّ الرّدّ عليها من قِبَلِ علماء الدّين .

إن الخطر الحقيقيّ الّذي يواجه الشّباب المسلم في عصرنا الحاضر هو إشكالات الملحدين الّتي لا يعرف الشّابّ كيف يردّ عليها ، حيث إنّه لا يستطيع بسهولة معرفة الجواب ؛ لأنّ الشّابّ عادةً يأخذ الإجابات من العلماء ، والعلماء لم يعيروا اهتمامًا لهذه الظّاهرة الخطيرة، أكثر العلماء إلى الآن يفرّغ نفسه لدراسة الفقه العمليّ ، وإذا تفرّغ للعقائد فإنّه يتفرّغ للرّدّ على شبهات باقي المذاهب الإسلاميّة وإن كان هذا الاهتمام مهمّ جدًّا ، ونحن أمام ظاهرة خطيرة جدًّا ، وهي أنّ نسبة كبيرة من شبابنا يتّجه إلى الإلحاد .

وقلّة من العلماء من فرّغ نفسه للرّدّ على شبهات الملحدين ، وسماحة الشّيخ محمد أشكناني من بينهم ، فقد تحمّل المسئولية وبحث واجتهد لكي يعطي نظرة أخرى للدّين الإسلاميّ بحيث يجعله منسجمًا تمامًا مع كلّ ما يحمله عصرنا من تطوّر في شتّى جوانب

الحياة ، ولقد اهتمّ الشّيخ محمّد في أبحاثه ليثبت أنّ الدّين مناسب لجميع النّاس ، وهو صالح لكلّ زمان ومكان بالأدلّة لا بالشّعارات البرّاقة .

استعرض الشّيخ محمّد أشكناني في بداية طرحه للموضوع مجموعة من الإشكالات المهمّة الّتي تجعل أيّ مسلم محتارًا في الجواب عليها ؛ لأنّ ٩٥% من المسلمين غير مقتنعين بها ، ولكنّهم لا يعيرون لها اهتمامًا بسبب أنّهم غير مبتلين بها ، ومن أبرز الإشكالات الّتي طرحها الشّيخ هي قتل المرتد ، لم ينكر الشّيخ الحكم إطلاقًا ، ولكنّه أنكر الحكم المشهور بين العلماء وهو أنّ كلّ مرتد يستتاب ، وإن لم يتب يقتل ، ردّ هذا الحكم من خلال أمرين : الأوّل قرآنيًّا حيث إنّ الله عزّ وجلّ لم يتطرّق إطلاقًا إلى مبدأ قتل المرتدّ بالرّغم من أنّه ذكر المرتدّين في أكثر من آية قرآنية ، والثّاني ردّه وجدانيًّا حيث إنّ النّفس البشريّة السّليمة لا تهضم فكرة أن تُزهق روح إنسان فقط لأنّه أراد أن يترك اعتناق الدّين ، فضلًا عن أنّه سيكون حائلًا أمام الكثير من الدّخول إلى الإسلام بسبب خوفهم من أنّه إذا لم يعجبهم وأرادوا أن يخرجوا يتعرّضون للقتل ، واستعرض الشّيخ أيضًا مبدأ الجهاد والقتال في الإسلام ، وبيّن بالدّليل القرآني أنّ القتال في الإسلام هو للدّفاع عن النّفس فقط لا للهجوم ، وأثبت من خلال الآيات القرآنيّة أنّ ما يفعله الإرهابيّون باسم الإسلام لا يمثّل الإسلام ، وهو بعيد كلّ البعد عن روح الإسلام ، وتطرّق الشيخ لمكانة المرأة في الإسلام ، وأثبت

من خلال الآيات القرآنيّة أن لا امتياز للرّجل على المرأة ، بل كُلٌّ يعمل حسب تكليفه ، وعرّف الشّيخ من خلال أبحاثه من هو الكافر في القرآن والّذي توعّده الله بالنّار والعذاب .

ويسأل بعض المسلمين إذا كان الله عادلًا رحيمًا فكيف يَدْخُلُ النّار أناسٌ عاشوا في بيئة غير مسلمة ولم يسمعوا بالإسلام أو سمعوا به ولكن بطريقة مشوّهة ؟ ما ذنب هؤلاء النّاس إن لم يصل إليهم الإسلام الصّحيح ؟

أجاب الشّيخ على هذا التّساؤل من خلال شرحه لمعنى كلمة "كافر" ، وما كان يقصد الله بالكفّار ، والكافر هو الإنسان الّذي آمن بقلبه وعقله بالإسلام ، ولكنّه جحد وأنكر ، فعلًا إنّ من يجحد يستحقّ جهنّم ؛ لأنّ طبيعة الإنسان السّليم أنّه يبحث عن الحقيقة ويتبعها ، ولكن غير السّليم والّذي تتعارض مصلحته الشّخصيّة ومطامعه مع الإيمان بالله تراه يجحد ، بل ويحارب المؤمنين كما فُعِلَ مع جميع الأنبياء عليهم السلام .

وركّز الشّيخ أيضًا على مبدأ الرّحمة في الإسلام ، وذكر أنّ الرّحمة هي أساس كلّ شيء في الإسلام ، وأنّ الله عزّ وجلّ تعهّد وألزم نفسه بالرّحمة ، وكلّ سورة في القرآن تبدأ بالبسملة ، والتي تحمل فيها صفتين من صفات الله الجماليّة " **الرَّحْمَن الرَحِيم** " ، وحتّى السّورة التي لم يذكر فيها البسملة لأنّ سبب التّنزيل كان البراءة والتّهديد والتّحدّي للكفّار لم يذكر باسم الله المنتقم الجبّار ، كان يستطيع أن يقول ذلك ، ولكن

أبت رحمته اللّامتناهية أن يفتتح سورة بذكر صفاته الجلاليّة ، وأنّ رحمة الله عزّ وجلّ تشمل جميع النّاس ، وبتلك الرّحمة يدخل أكثر النّاس إلى الجنة ، وحتّى أهل النّار – وهم الأقلّيّة – ستشملهم الرّحمة الإلهية ، حيث إنّ الله سيخفّف عنهم العذاب ، وفي رواية أنّ الخالدين في النّار الّذين لا يستحقّون نعيم الجنة أبدًا سيرحمهم الله عزّ وجلّ بعد عذابهم فترة من الزّمن ، وسيرفع عنهم العذاب ، ويبقون في النّار غير معذّبين بها وغير منعّمين في الجنّة .

ومن أبرز ما تطرّق له الشّيخ في محاضراته هي نظريّة دخالة الزّمان والمكان في الأحكام ، وعرض الشّيخ إشكالات على بعض الفتاوى القديمة ، مثل حكم الاحتكار ، وكيف أنّ ما كان يحرم احتكاره سابقًا هو غير مهمّ حاليًّا ، وأنّ حاليًّا توجد أساسيّات لو طبّقنا عليه الحكم القديم لاستطاع أيّ تاجر جشع أن يحتكر أساسيّات عصرنا ممّا يؤدّي إلى عدم استطاعة أغلب النّاس من توفير الأساسيّات في عصرنا ، بهذه الأمثلة أثبت الشّيخ أنّنا فعلًا بحاجة لهذه النظريّة لنستطيع أن نواكب العصر الجديد الّذي يختلف عن أيّ عصر في السّابق بنسبة كبيرة جدًّا .

تميّز طرح الشّيخ في نقطتين مهمّتين : الأولى هي جرأته في طرح رأي يختلف عن آراء أغلب علمائنا الكبار ، والثّاني هو التّواضع والاحترام حيث إنّه بالرّغم من اختلافه عن آراء علمائنا ومراجعنا العظام لم يقلّل من شأنهم والتّهوين لآرائهم ، بل كان بالعكس كثير

الاحترام لهم ولآرائهم غير أنّه يرى أنّ آراءهم لا تتناسب مع واقعنا في هذا العصر ، ويجب التّجديد في الرّؤية إلى مبادئ الإسلام ، وأن نفهمها فهمًا جديدًا يتواكب مع عصرنا ، فإنّ الله عزّ وجلّ أراد أن يكون الدّين الإسلاميّ دينًا لكلّ العالم ، وأن يبقى إلى يوم القيامة ، وإذا أردنا أن نكون سببًا في تحقيق غاية الله عزّ وجلّ ووفاءً منّا لجهود وتضحيات النّبيّ الأعظم وأهل بيته عليهم أفضل الصّلاة والسّلام – يجب علينا أن نجتهد في طرح الدّين بما يواكب عصرنا الحاضر.

وفي الختام أسأل الله العليّ القدير أن يمنّ على الشّيخ محمّد أشكناني بالصّحّة والعافية والتّوفيق لتكملة مشروعه العظيم .

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

الشّيخ محمّد كرم – الكويت ٢٠١٩/٤/٢٨ :

على حسب ما سمعنا من المحاضرات الأولى لا يوجد أيّ اعتراض ، بل على العكس ، ولكلّ داء دواء في أطروحاتكم وكتبكم ، ومن يريد أن يعترض نطلب منه اقتراحه المقابل ، وما هو البديل ، واعتراضك على أيّ شيء ، والاعتراضات لن تنتهي ، فتوكّل على الله شيخنا ، هناك أشخاص ليسوا من الملحدين وإنّما من المشكّكين أعطيتهم نسخًا من كتبكم "المقالات الإيمانيّة" ، وأرشدتهم لأن يسمعوا محاضراتكم على اليوتيوب ، وكانوا مع أصدقائهم المسلمين الّذين

ألحدوا ، فسمعوا وصار عندهم قناعة ، وقالوا بأنهم يحاججون أصدقاءهم الملحدين بأفكار هذا الشّيخ ، وهذا الشّيخ لماذا لا يظهر في السّاحة ، أين يلقي محاضراته ، وهنا المحكّ ، فبعض الملحدين يُفْحَمُونَ بالكلام الّذي تطرحونه ، ويقتنعون من خلال المواضيع الّتي تطرحونها ، يوجد أشخاص اقتنعوا ، وأشخاص أُفْحِمُوا ، وهذا هو النّجاح .

وهذا الشّخص الّذي كان يرسل لي ، وكنت أرسل لكم الأشياء الّتي كان يرسلها لي ، هذا الشّخص موجود في الجامعة ، يقول بأنّه يوجد كثير من الملحدين ، والدّكتور الذي يُدَرِّسُهُمْ عنده نزعة إلحاد ، أنا أخذت من كتبكم "المقالات الإيمانيّة" الموجودة في الحوزة ، وأعطيته منها ، وطلبت منه أن يعطي أصدقاءه في الجامعة ، وكذلك الدّكتور الذي يُدَرِّسُهُمْ ، ولا يوجد عندهم أيّ اعتراض ، وأتّصل به من فترة إلى أخرى وأسأله إذا يوجد كلام جديد أو اعتراض على كتبكم ، يقول بأنّه أوّل مرّة نرى رجل دين معمَّمًا شيعيًّا يتكلّم عن نظريّة علميّة بحتة ، قلت له ممكن أنهم لم يقرؤوا الكتب وأنّهم أهملوها ، قال قرؤوا وبعضهم كتبوا هوامش ، نعم عندهم استفسارات لا اعتراضات ، والدّكتور سألني عن هذا الشّيخ أين هو ، أوّل مرة نسمع به ، هل هو خطيب أو إمام مسجد ، ولماذا لا يظهر للسّاحة ، ويقول إنّ بعض الشّباب كانوا سيدخلون إلى الإلحاد ، فمن خلال كتبكم ومحاضراتكم صار عندهم اقتناع وتوقّفوا ولم يدخلوا الإلحاد ،

وقلت لهم بأنّ الشّيخ سيجمع المحاضرات في كتب ، وسأعطيكم نسخًا منه ، والدّكتور سألني هل صدر الكتاب ، والطلبة قالوا ضروريّ نريد أن نطّلع على الكتاب ، شيخنا وهذا هو المحكّ والفيصل ، عندما أؤلف كتابًا يخصّ الملحدين ، وهم من الأكاديميّين المختصّين ، وهم اقتنعوا أو أُلْجِمُوا ، ولا يوجد عندهم ردّ ، وهم ينتظرون صدور الكتاب ، ونريد أن نقرأ كتب هذا الشّيخ ، ونريد أن نجلس معه ، هذا دليل أنّه وضعنا اليد على الجرح ، فمعناه أنّ كلامك في موقعه ، وهذا هو المطلوب ، وتأكّد أنّه لو كان مجرّد كلام حشو لكانوا يضحكون ويعترضون ويستقوون على المحاضرات ، ولقالوا بأنّ الإسلام فاضي ، وأنّ علماء الدّين لا يوجد عندهم شيء ، ولكنّهم حينما يقفون وقفة فمعناه أنّ الموضوع دسم ، ووضعت يدك على الجرح ، شيخنا لئن يهدي الله بك رجلًا واحدًا أفضل ممّا طلعت عليه الشّمس .

الشيخ إبراهيم فاضل – الكويت ٢٠١٨/١٢/١٠ :

بودّي الاستفسار منكم : هل قصدتم ممّا ذكرتم في المحاضرة ٢٥ تصحيح جميع الاعتقادات بما فيها العقائد الفاسدة ؟

وهل قصدتم بأنه حقيقة مطلقة الإشارة لنسبيّة الحقيقة إمّا بالمدرك أو بالإدراك أو بأمر آخر ؟

إذا قلنا إنّ الكلّ صحيح فهذا يلزم لازمًا فاسدًا ، وهو عدم صحّة

العذاب ، وعدم مطالبة أحد باتّباع الدّين الحقّ ، وهذا لازم بأنّ الله تعالى يريد الاختلاف وجعل الهدف من الخلقة الاختلاف .

ما تفضّلتم به من تفسير أوضحه صاحب الميزان ونوّه عليه ونقده ، وجاء بعده آيات لا تتناسب مع المعنى الّذي تفضّلتم به .

في المحاضرة ٢ من دقيقة ١٩ إلى ٢٦ طرحتم حرّيّة الاعتقاد ، هل المحاضرة ٢٥ توسعة لها ؟

ما رأيكم برأي الّذي يقول أن لا إكراه في الدّين يعني أنّ التّصديق القلبيّ لا يمكن أن نكره أحدًا عليه ، أي هو يقول الشّهادتين ، ولكنّ التّصديق القلبيّ لا يمكن أن تكره أحدًا عليه ، وهذا لا يتنافى مع كون المطلوب دينًا واحدًا ، وأنّه يجب أن تؤمن به ، ولا يعذر به الجاهل المقصِّر ، ولا يقرّ الكافر على كفره ، ولا تتنافى مع قتل المرتدّ الفطريّ ، فيجب التّعبّد بدين الإسلام ، فليس المراد أن تجبره قلبًا على الإيمان .

في المحاضرة ٥ من دقيقة ٥ إلى ١١ ، ما هو قصدكم من العرض على القرآن ؟ هل تقصدون ما ذكره السّيّد السّيستانيّ في كتاب الحجج من ص١٦ وما بعدها ، وفي كتاب تعارض الأدلّة من ص٤٧٢ وما بعدها ، أو السّيّد الشّهيد في كتاب السّيّد الهاشميّ ج٧ ص٣١٥ وما بعدها ، وفي كتاب السّيّد الحائريّ الجزء الثّاني من القسم الثّاني ص٣٥٠ وما بعدها .

شيخنا أما تظنّ أنّ ذكر الإشكالات في البداية وجمعها في

المحاضرات الأولى ثمّ حلّها بسلسلة محاضرات طويلة ، أو تذكر إشكالًا في محاضرة ، وبعد فترة طويلة تشير إلى الحلّ ، أو ربّما لا يأتي وقتها إلى الآن – يسبّب مشكلة في ذهن السامع وتشوّش عليه فيرتكز في ذهنه الإشكال ؟

والأمر الآخر حديثكم عن عالميّة الإسلام ، وفي الأثناء تذكرون كنوع من الاستطراد قضايا اجتماعيّة جزئيّة ، ألا يسبّب مشكلة خصوصًا أنّه بحث علمي وفجأة تدخلون في قضايا أخلاقية ؟

وأيضًا التّشديد على كثرة الإسرائيليّات والاختراقات في التّراث خصوصًا مع عدم عقد بحث مستقل بكمّيّتها ، وهل تراثنا بمعزل عن ذلك ، وذكر ما فعله العلماء وأصحاب الأئمة عليهم السّلام حيث نقّحوا وسألوا الأئمّة عليهم السّلام في بعض الرّوايات ، وخصوصا أنّ هناك ردودًا عرضت على اليوتيوب من فضلاء يوجب إهمال النّاس لهذا التّراث وعدم الاعتناء به .

تعليق الشّيخ محمّد أشكناني :

أوّلًا : أرجو الاستماع إلى جميع المحاضرات من المحاضرة الأولى ؛ لأنّي قد أشير إلى بعض القواعد والمبادئ في المحاضرات الأولى ، ولا أشير إليها فيما بعد ، وأعتمد عليها بعد ذلك .

ثانيًا : ما لم أقله في المحاضرات لا يصحّ تحميلي إيّاه ، فما يستنتجه السّامع لا يصحّ تحميله المتكلّم ، فهل أشرت إلى شيء من تصحيح الاعتقادات الفاسدة في جميع المحاضرات ؟!

إذا كان يوجد أرجو ذكر رقم المحاضرة ونصّ عبارتي بالضبط ، ولكن هل يُعْقَلُ أن يستوي غير المؤمن مع المؤمن بالله ؟

ثالثًا : شيخنا اذكروا أسئلتكم وَسَأُدْخِلُ أجوبتها في المحاضرات في محلّها المناسب ، ولقد ذكرت آية الاختلاف ، والدّليل من الآية على أنّ "**وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ**" راجع إلى الاختلاف لا إلى الرّحمة .

وذكرت في بعض المحاضرات جهود علمائنا في تنقيح التّراث ، وأنّ جهودهم مستمرة .

وما أذكره من قضايا اجتماعيّة أو أخلاقيّة هي داخلة في عالميّة الإسلام ، والعرض على القرآن هو ما ذكره الأئمّة عليهم السّلام في عرض ما يَرِدُ إلينا على القرآن ، وذكرت الفرق بين القاصر والمقصِّر في إحدى المحاضرات .

واستمرّوا بطرح الأسئلة ، وكلّ سؤال سيؤخذ بعين الاعتبار ، والجواب يكون في محلّه إن شاء الله ، وبحث عالميّة الإسلام بحث طويل ، فمن الطبيعي أن نتناول نقطة نقطة ، ولا يمكن طرح الموضوع ضمن ٣ أو ٤ محاضرات .

والله يوفقكم لأن يكون لكم في يوم بحث عن عالمية الإسلام ونسمع آراءكم .

الشّيخ محمد الصّالح – الكويت ٢٠١٨/١٢/١٩ :

الحقّ إبداع جميل في التّركيز على بعض النّقاط .

علي عباس – الكويت ٢٠١٩/٧/٢٦ :

عندي عدّة ملاحظات ، الكتاب جدًّا جدًّا جدًّا رائع ، وهذا شيء لا نختلف عليه ، وعندي إشكال في قضيّة نجاسة المشركين ، ذكرتم أنّ المشركين ليسوا نجسين ، وأنّ الإنسان مُكَرَّم ومحترم ، نعم **"إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ"** [١] ، وذكرتم أنّ النّجاسة تتعارض مع كون الإنسان مُكَرَّمًا ، ولكنّ الطّهارة تتعارض مع آية **"إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ"** [٢] ، فكيف نوفّق بين الآيتين ؟

وعندي ملاحظة ثانية ، وهي أنه يوجد تكرار في الكتاب ، فالمثال تذكره أكثر من مرّة ، ولاحظت أنّ التّمهيد أخذ كثيرًا من الكتاب ، والنّقطة الأخرى هي أنّه يوجد تأجيل للمواضيع ، والمحاضرات في الدّيوانيّة ممتازة ، ولكن تحويل المحاضرات إلى كتاب يحتاج إلى تنقيح حتى يكون بشكل أفضل ، وعمومًا المجهود جبّار ، وهذه نقطة نعترف بها ، وموضوع جديد لم يُطْرَحْ سابقًا ، وهذه نقطة أخرى نعترف بها ، وهذه ميزات للكتاب ، وأحببت أن أعطي هذه الملاحظات والتّعليقات ، يعطيكم العافية شيخنا ، ومشكورين وما قصّرتم ، وشكرًا يا شيخ على تلكم المحاضرات القيّمة .

---

[١] الحجرات : ١٣ .

[٢] التّوبة : ٢٨ .

أحد المستمعين بواسطة علي عباس – الكويت ٢٠١٩/٨/١٢ :

المحاضرةمدّتها ٤٧ دقيقة مضيعة للوقت مع الأسف ، كان يمكنه أن يقول كلّ هذا الكلام بدقيقة أو دقيقتين ، ولكنّه يعيد نفس الكلام من بداية المحاضرة إلى نهايتها ، أزليّ أو لا ، له بداية أو ليس له بداية ، طيّب والنتيجة ؟!

آخر شيء يقول المؤمن والملحد يتّفقان على وجود شيء أزليّ ، ولكن ما هو ؟

مختلف عليه ، طيّب أين الإثبات في الموضوع أنّ الخالق هو الله ؟

أبدا لم أَرَ أيّ إثبات ، وإذا كنّا لا نعرف بداية الكون فليس معناه أن نُسَلِّمَ ونقول بأنه بفعل الإله ، وليس كلّ شيء نجهله نربطه بالإله ونرجعه إليه ، والمفروض أنّ هذا غير مُسَلَّم به لأنّنا لا ندري أنّ الكون له بداية أو له إله أزليّ أو لا ، فلا يصحّ أن نقول إنّه من صنع الإله .

تعليق علي عباس :

هذه المحاضرة من المحاضرات الجميلة جدًّا ، ورددت عليه أنّ الدّقيقة والدقيقتين للعلماء ، ولكن غير العلماء يحتاجون إلى تفصيل وتدرّج معهم في البحث لكي يقتنعوا .

تعليق الشّيخ محمّد أشكناني :

كان البحث عن إثبات أصل وجود إله خالق للكون ، وقد تمّ الإثبات بأنّ الكون له بداية ، وإذا كان له بداية فله خالق ، وليس الكلام عن الله وعن صفات الإله الخالق ، والمحاضرات في مثل هذه

المواضيع ستأتي لاحقًا ، وستأتي إثباتات أخرى ، ونحن نمشي خطوة خطوة ، والمحاضرات مُوَجَّهَة للشّباب بالخصوص ، ونحتاج إلى تدرّج وتكرار لبعض الأفكار حتّى يتمّ الاستيعاب ، وأذهان النّاس على مستويات مختلفة ، وكلامنا مع أقلّ المستويات ، ونقاشنا يكون مع الملحد المفكِّر الّذي يناقش بموضوعيّة ، وأمّا الّذي يكرّر كلام الملحدين بدون تأمّل فهذا ليس مفكِّرا ، وكان الكلام ضمن احتمالين ، ونفينا احتمال الصّدفة المطلقة ، وبقي الاحتمال الثّاني وهو أنّ الكون له خالق ، فمن يريد أن يردّ عليه أن يثبت الصّدفة المطلقة الّتي ينفيها جميع العلماء .

أحد المؤمنين بواسطة الحاج عادل الحداد – الكويت ٢٠١٨/٨/١٧ :

الشّيخ يطرح عدّة عناوين في محاضرة واحدة ، وكان من الأفضل أن يختار عنوانًا واحدًا ويكمله ، وكذلك محاضرته ينقصها القصص والأمثلة ، أمّا أصل الموضوع الّذي يطرحه فهو جيّد ، وبحاجة إلى شرح مُفَصَّل ، ومحاضراته فيها تمحور حول العديد من العناوين ، وكثيرًا ما كان يؤكّد أنّي سوف أتكلّم أو أبحث فيها بالتّفصيل في المحاضرات القادمة ، والتّأجيل لفترة طويلة ليس جيّدًا .

تعليق الشّيخ محمّد أشكناني :

هدفي في البداية هو طرح النّقاط بشكل سريع وإعطاء العناوين الّتي سنبحثها مستقبلًا لكي تكون عند المستمع فهرسة وفكرة عامّة

عن المواضيع الّتي سوف تبحث فيما بعد بالتّفصيل ، والموضوعات كثيرة ، لذلك أطرح العناوين الآن مع قليل من الكلام عنها ، وفي المحاضرات أنا أذكر قليلًا من القصص والأمثلة ؛ لأنّ الشّخص الّذي يسمع القصّة يأخذ القصّة فقط بدون الفكرة فيتذكّر القصّة ، ولكنه لا يلتفت إلى الفكرة الرّئيسة ، لذلك أطرح الأفكار ، وأنتم كثيرًا ما تسمعون القصص في المجالس الحسينيّة ، وهنا نحن هدفنا طرح الفكرة لا بيان القصة ، نعم أحيانًا أذكر بعض القصص الّتي تساهم في فهم الفكرة أكثر ، ولكن أسلوبي بشكل عامّ ليس الأسلوب القصصيّ ، والتفاصيل في المواضيع تأتي في محلّها المناسب ، مثلًا حينما نصل إلى بحث "الإله الخالق للكون" ستأتي كثير من المحاضرات وفيها تفاصيل العناوين الفرعيّة المرتبطة بهذا العنوان الرّئيس ، وسنذكر الإشكالات التي يطرحها الملحدون ونجيب عليها .

إحدى المؤمنات بواسطة أم محمد أحمد – الكويت ٢٠١٨/١١/٢٩ :

ليس واضحًا قصد الشّيخ في موضوع الأصل والفرع في القرآن في مسألة الرّجل والمرأة ، ما معنى أن تكون المرأة هي الأصل ؟ هل يعني ذلك أنّ الرّجل فرع في الخلقة ؟

وإن كانت هذه الفكرة قد ذكرها أحد العلماء السّابقين ، ولكنّي أظنها دغدغة مشاعر للمرأة لا أكثر ، واستنباط لغويّ مليح ؛ لأنّ القرآن لا ينظر إلى جهة الذّكر والأنثى بالأصل ، بل إلى العمل

الصّالح الصّادر من كلّ منهما ، أمّا في المسائل الإجرائيّة العمليّة الحياتيّة فهناك تنتظم الأمور وفق أحكام يظهر فيها قواميّة الرّجال على النّساء ، أمّا قوله تعالى : **"وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى"** فقد ورد موردًا خاصًّا في حديث أمّ السّيّدة مريم عليها السلام ، القصد منه أنّ الذّكر الّذي عُقِدَ له النّذر بخدمة بيت الله ليس كالأنثى الّتي وضعتها ، واستفادة مفاهيم معيّنة من سياقات خاصّة بمناسبة معيّنة يحتاج إلى دليل وقرينة ، ويأتي السّؤال لماذا قال القرآن : **"ليس الذكر كالأنثى"** ، ولم يَقُلِ (ليس الأنثى كالذّكر) ، بمعنى أنّ الأنثى الّتي وضعتها ليست كالذّكر الّذي عُقِدَ له النّذر ، وجوابه متعلّق ببداية الآية : **"رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا"** ، والمحرَّر لا يكون إلّا ذكرًا ، فكان التّقديم للذّكر على الأنثى ، فالكلام ليس عن أفضليّة ذكر على أنثى ولا كونه أصلًا ، وإنّما جرى التّقديم بناءً على سياق الحديث ، والمحرَّر لا يكون إلّا ذكرًا ، من جهة أنّ المنذور لخدمة المعبد عادةً يكون ذكرًا .

تعليق الشّيخ محمّد أشكناني :

من يريد تفصيل أيّ موضوع لا بدّ أن يستمع إلى جميع محاضرات "عالميّة الإسلام" من البداية ؛ لكي يعرف المنهج المتَّبع ، وما قيل من "أنّ الذّكر الّذي عُقِدَ له النّذر بخدمة بيت الله ليس كالأنثى الّتي وضعتها" ، يرجعنا إلى (الذّكر ليس كالأنثى) ، ويأتي السّؤال : لماذا لم يَقُلِ القرآن : (ليست الأنثى كالذّكر) ، ويكون المعنى هو أنّ الأنثى

الّتي وضعتها ليست كالذّكر الّذي عُقِدَ له النّذر ؟

ومن يريد أن يعرف تفصيل المسألة لا بدّ أن يرجع إلى المحاضرة رقم ٢٨ ، والجواب التّفصيليّ موجود هناك .

إنّ القرآن الكريم لا يطرح كلمة إلّا وله هدف ، وليس الهدف دغدغة مشاعر المرأة ، وتوجد هنا عبارتان : (ليس الذّكر كالأنثى) ، و(ليست الأنثى كالذّكر) ، واختيار القرآن للعبارة الأولى له هدف ، ونحاول أن نصل إلى معرفة هذا الهدف ، ومن المؤكَّد أنّ هدف القرآن ليس دغدغة مشاعر المرأة أو الرّجل ؛ لأنّنا نجد في آية أخرى : "**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ**" ، وتقديم الرجل هنا في هذه الآية له هدف ، وستأتي المحاضرات التّالية عن هذا الموضوع بتفصيل أكثر .

قاسم التّميميّ – إيران ٢٠١٨/١٢/٢٢ :

سلام عليكم شيخنا الجليل ومساكم الله بالخير ، وجزاكم الله خيرًا على ما تبذلونه من جهود لخدمة الدّين جعلها الله تعالى في ميزان أعمالكم ، أستاذي الكريم بخصوص موضوع "من هو الكافر؟" موضوع مهمّ ، والتّطرّق إليه بموضوعيّة في مثل هذه الظّروف الّتي تمرّ فيها أمّتنا الإسلاميّة لهو خدمة تُشْكَرُ عليه ، وبما أنّ محاضراتكم تبثّ وتنشر على اليوتيوب فمن المؤكّد أنّه سيتابعه الكثيرون من مختلف الطّوائف والفرق ، فعليه أحبّذ التّوسّع فيه إن أمكن راجيًا من الله لكم التّوفيق والسّداد وأن لا تنسوني من صالح دعواتكم ، دمتم في رعاية الله تعالى .

فاطمة أحمد – الكويت ٢٠١٩/١/٢٥ :

استمعت للمحاضرتين : القصّة الغريبة والتّحقيق فيها ، رائعتين ما شاء الله ، وحتّى التّوضيح في بداية محاضرة القصّة الغريبة قيّم جدًّا ، عجبني "نحتاج شيخ الطّائفة في زماننا وكلّ زمان" ، وعجبني جدًّا تحفيز العقل للتّفكير والنّقد ، بانتظار محاضرة اللّيلة ، الله يوفّقك ويبارك يا رب .

فاطمة أحمد – الكويت ٢٠١٩/١/٣٠ :

ما شاء الله المحاضرة جميلة ومرتّبة وواضحة ، ورائعة جدًّا نقطة أنّه لا يوجد ملحد على المستوى النّظريّ وشرح ذلك ، الله يعطيك الصّحّة والعافية عمّي محمّد ويوفّقك في هذه السّلسلة الرّائعة يا ربّ .

فاطمة أحمد – الكويت ٢٠١٩/٥/٢ :

الحمدلله ربّ العالمين أن يوجد ناس تستفيد وتقدِّر هذا المجهود المطلوب في هذا الزّمن ، موفّقين عمّي محمّد العزيز دومًا يا ربّ ، والوضع الرّاهن فيه معضلات كثيرة واضحة للجميع ، غريب أنّهم يريدون الوقوف على وضعنا الرّاهن .

عالميّة الإسلام

(١٥)

خصائص القرآن الكريم [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمدلله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

نبدأ باستعراض الآيات القرآنيّة الكريمة الدّالّة على أنّ الإسلام دين عالميّ ، هذا هو العنوان الرّئيس ، وبعد ذلك ندخل في بعض التّفاصيل ، هناك آيات قرآنية كريمة كثيرة دالّة على أنّ الإسلام دين عالميّ ، ومن خلال هذه الآيات الكريمة سنطرح البحوث المرتبطة بموضوع "عالميّة الإسلام" ، ونحن نعتقد بأنّ القرآن الكريم الموجود بين أيدينا اليوم كتاب سماويّ جاء من الله تعالى إلى رسوله صلّى الله عليه وآله بواسطة جبرئيل عليه السّلام ، وأنّه لا زيادة فيه ولا نقيصة ، وأنّه غير مُحَرَّف ، وبمجرَّد ما تحتمل أنّه محرَّف أو فيه زيادة أو نقيصة فمعنى ذلك أنّه لا يمكن الاعتماد على القرآن ، مجرّد الاحتمال يكفي لعدم

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ٢٦ رجب ١٤٣٩ هـ الموافق ٢٠١٨/٤/١٣ م .

الاستناد إلى القرآن ، فالقرآن لا بدّ أن يكون سليمًا غير محرَّف ، ولا توجد فيه لا زيادة ولا نقيصة ، فهو كتاب كامل ، وهو المصدر الأوّل الّذي يُعْتَمَدُ عليه ، ونرى في مصادر استنباط الأحكام الدّينيّة أنّ المصدر الأوّل هو القرآن ، فإذا كان لا يمكن الاعتماد عليه فلا يكون القرآن هو المصدر الأوّل للاستنباط ، ثمّ نأتي إلى المصدر الثّاني وهو سنّة المعصومين عليهم السّلام ، والموجود بين أيدينا هو السّنّة المنقولة لا السّنّة الواقعيّة ، لذلك تأتي قضيّة الوضع والدّسّ والتّحريف والمشاكل الموجودة في الرّوايات المنقولة .

ونعتقد بأنّ القرآن قادر على حلّ مشاكل البشريّة ، وهذا الاعتقاد موجود عند جميع المسلمين ، ولكنّ التّقصير من المسلمين أنّهم لم يستفيدوا من القرآن الاستفادة المطلوبة ، فيوجد عندنا ادّعاء بأنّ القرآن صالح لحلّ مشاكل البشريّة ، فلا بدّ أن نطرح البحوث المرتبطة بحلّ القرآن لمشاكل البشريّة ، ونأتي إلى وقتنا الحاضر لنرى ما هي المشاكل الّتي تواجه البشريّة ، ماذا طرح الإسلام من حلّ ؟

ونحتاج إلى حلول فيها إمكانيّة التّطبيق ، وإذا لا توجد فيها إمكانيّة التّطبيق فلا تكون حلولًا صالحةً لحلّ المشاكل ، والحلّ الصّالح لو عُرِضَ على جميع النّاس فإنّهم يقبلونه ، ودور علماء الدّين هو بيان الحلول المناسبة لحلّ جميع مشاكل البشريّة ، مثلًا مشكلة الفقر في العالم ، ما هو الحلّ الّذي طرحه الإسلام لحلّ هذه المشكلة ؟

لا بدّ أن يكون عندنا حلّ ، فما دام أنّ الفقر منتشر حتّى في

بلدان المسلمين فالشّرق والغرب حينما ينظرون إلى وجود الفقراء في بلداننا يقولون لو كان الإسلام صالحًا لحلّ مشكلة الفقر لكنتم تحلّون المشكلة في بلدانكم أوّلًا ، ومشكلة الفقر مشكلة عالميّة اليوم ، فما هو الحلّ الإسلاميّ ؟

وفي محاضراتنا حينما نأتي إلى الفقه العمليّ سنأخذ الرّسالة العمليّة من أوّلها إلى آخرها لنرى أنّ هذه المسائل المطروحة اليوم هل تتناسب مع عالميّة الإسلام أو لا ، باعتبار أنّ المسائل الّتي تطرح لا يؤخذ فيها الظّروف الزّمانيّة والمكانيّة في موضوعات الأحكام ، سأطرح المسألة بناءً على الرّأي الأوّل وهو عدم دخالتهما في الأحكام ، وبناءً على الرّأي الثّاني وهو دخالتهما فيها ، وبعد ذلك نرى أيّ الحكمين يتناسب مع عالميّة الإسلام ، وهذه البحوث تحتاج إلى جهد كبير ، وستأتي في أبحاث الفقه العمليّ ، وسنتدرّج من الفقه العقائديّ إلى الفقه الأخلاقيّ إلى الفقه العمليّ ، والبحوث تحتاج إلى تسلسل ، والبعض يقولون بأنّكم تطرحون العناوين ، ولكن لا تبحثون فيها بعد محاضرة أو محاضرتين ، والجواب هو أنّ البحوث تحتاج إلى تسلسل وتدرّج ، ولا أستطيع أن أدخل مباشرةً إلى أحكام الفقه العمليّ قبل أن نتناول الفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ ، فالبحوث تحتاج إلى تسلسل ولا نقفز من بحث إلى آخر .

إذن فالتقصير واقع من المسلمين حيث إنّهم قد هجروا تعاليم القرآن الكريم ، والتّركيز اليوم واقع على القراءة والتّجويد فقط من أجل

الثّواب لا من أجل أن نستنطق ما يريده القرآن الكريم من المسلمين بل من البشريّة أجمع ، حينما نقرأ القرآن نريد أن نعرف ماذا يريد القرآن من الإنسان لا من المسلم فقط ، فتوجد مجموعة من الآيات تتحدّث عن النّاس بخطاب : **"يَا أَيُّهَا النَّاسُ"** ، فالقرآن ليس خاصًّا بالمسلمين بل هو كتاب عامّ لجميع النّاس ، والقرآن اليوم جعلوه للفواتح والعزاء ، جعلوه للأموات مع أنّه كتاب الأحياء ، فهو كتاب لإحياء موتى القلوب والضّمائر ، والآن القرآن يستخدمونه في زخرفة المساجد وافتتاح منزل جديد أو لحفظ مسافر أو شفاء مريض ، أو الاستدلال بالآيات الكريمة على الآراء المنحرفة عن طريق التّفسير بالرّأي بأخذ آية واحدة فقط لا بالمنهج الموضوعيّ لفهم القرآن ، فيمكنك أن تأتي بآية واحدة وتقول بأنّ هذه الآية تدلّ على هذا الرّأي ، ولكن حينما تبحث في القرآن بحثًا موضوعيًّا بأن تأتي بجميع الآيات المرتبطة بالموضوع فإنّك تصل إلى أمور أخرى .

مثلا آية : **"وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ"** [1] ، نأخذ هذه الآية ونقول بأنّ معناها هو أنّ الإنسان يتفاخر بأمواله ، مع أنّ الآية لا تدلّ على هذا المعنى ، وإنّما تدلّ على معنى آخر يظهر من خلال البحث الموضوعيّ في القرآن الكريم .

ونرى أيضًا انتشار دور حفظ القرآن في طول البلدان وعرضها ، وينشغلون بحفظ القرآن دون فهم تعاليمها وتطبيقها على حياتهم ،

---

[1] الضّحى : ١١ .

وَتُقَامُ المسابقات القرآنيّة في حفظ ألفاظ القرآن ، ولكنّ المسلمين يأخذون قوانينهم من الشّرق والغرب دون النّظر إلى ما يريده القرآن الكريم من المسلمين .

"وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا القُرْءَانَ مَهْجُورًا" [1] .

ليس المقصود هجرة الألفاظ والكلمات فإنّ المسلمين مهتمّون بتجويده وقراءته وألفاظه ومخارج حروفه ، ولكنّهم هجروا تعاليمه وأحكامه وقوانينه وهدايته ، فكما يكون عندنا الاهتمام بالألفاظ يجب على المسلمين أن يهتمّوا بالمضمون والمحتوى ؛ لأنّ القرآن الكريم منهج لحياة البشريّة وإحياء قلوب الناس ليهتمّ بعضهم ببعض ويتعارفوا ويعيشوا إخوةً في الإنسانيّة كما أراد الله تعالى ، فجميع النّاس إخوة من أب واحد وأم واحدة ، فالمفروض أن يعمّ السّلام في العالم ، فلا قتل ولا إرهاب ولا ظلم ، وإنّما ينتشر العدل في أرجاء الأرض ويحصل كلّ مظلوم على حقّه ، ويعيش جميع الناس في سعادة وحرّيّة وعدل ومساواة .

والمسلمون يدّعون أنّ الإسلام يدعو إلى الحرّيّة والعدل والمساواة ، ولكن من جانب عمليّ لا نرى هذه الشّعارات مطبَّقة في بلدان المسلمين ، بل قد تجد العدل والحرّيّة والمساواة مُنْتَشِرَة في الشّرق والغرب في بلدان الّذين يطلق عليهم المسلمون لقب "الكفّار" ، لماذا نجد بأنّ المسلمين يفكّرون في الهجرة إلى البلدان الغربيّة ؟!

---

[1] الفرقان : ٣٠ .

تذهب هناك لا أحد يسألك عن دينك أو مذهبك ، هل أنت مسيحيّ أو مسلم أو بوذي ؟ ، هل أنت شيعيّ أو سنّيّ أو أشعريّ أو زيديّ أو إسماعيليّ ؟

هناك قوانين في بعض الدّول أنّه إذا سألت أحدًا عن دينه فإنّك تُعَاقَبُ ، قد تُسْجَنُ أو تَدْفَعُ غرامةً ، ليس من حقّك أن تسأل عن عقائد الآخرين ، أنت مواطن في البلد ، وتؤدّي دورك كمواطن فقط دون النّظر إلى دينك ومذهبك أو قوميّتك وأصلك ، أنت مسئول عن دينك أمام الله فقط ، نعم يمكنك أن تدعو إلى دينك وتفتح قناة فضائيّة بدون التّهجّم على الأديان الأخرى ، والنّقاش العلميّ مفتوح حتّى في الدّول الغربيّة ، ولكن دون تهجّم على عقائد الآخرين ، وتوجد في بلداننا قنوات فضائيّة للتّهجّم على المذهب الآخر عن طريق الكذب والافتراء .

نجد شيئًا من الحرّيّة والعدالة في الشّرق والغرب ، وهذا تفتقده في بلدان المسلمين ، طبعا هم يُحَمِّلُونَ الإسلام ما يقوم به المسلمون ، والإسلام بريء من كلّ ذلك ، يرون التّخلّف في بلاد المسلمين وعدم تطبيق الحرّيّات وعدم تطبيق العدالة فيحمّلون الإسلام كلّ ذلك ، يقولون بأنّه لو كان الإسلام دينًا صالحًا للبشريّة لكنتم أنتم – أيّها المسلمون – أوّل المطبّقين لهذا الدّين ، فأفعال المسلمين يحملونها على الإسلام ، ولكن يوجد فرق بين الإسلام والمسلمين .

وسوف نتناول في محاضرات قادمة عقل المسلم كيف يفكّر ؟

هل عقل المسلم يفكّر بمنهج إسلاميّ أو بمنهج آخر ؟

لا أسمّيه العقل الإسلاميّ ، وإنما أسمّيه "عقول المسلمين" ؛ لأنّ عقل المسلم غير الإسلام ، وسوف أطرح لكم مجموعة من النّقاط ، ويتّضح من خلالها أنّ المسلمين اليوم بم يفكّرون ؟ والعقل المسلم كيف يفكّر ؟

خصائص القرآن من القرآن :

نأخذ الآن بعض الآيات الّتي تصف القرآن الكريم ، ويمكن أن تبحث تحت كلمة "القرآن" وكلمة "الكتاب" ، وسيأتي موضوع مستقلّ عن **"القرآن يتحدّث عن القرآن"** ، فنأتي بجميع الآيات التي تتحدّث عن القرآن لنرى أنّ القرآن كيف يُطْرَحُ في القرآن ، ونقارن مع الرّوايات ، وقلنا إنّ المنهج هو القرآن والنّبيّ صلى الله عليه وآله وعترته وأهل بيته عليهم السّلام ، والرّوايات المنقولة نأخذ منها ما يتناسب مع القرآن ، وأمّا الرّوايات الّتي تتعارض مع القرآن فنردّها ولا نأخذ بها .

لنأخذ بعض الآيات الكريمة الّتي تصف القرآن الكريم :

"وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى القُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ" [١] .

القرآن جاء من الله الحكيم العليم .

"إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ القُرْءَانَ تَنزِيلًا" [٢] .

---

[١] النّمل : ٦ .

[٢] الإنسان : ٢٣ .

القرآن منزَّل من الله تعالى .

"نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا القُرْءَانَ" [١] .

القرآن مُوحَى من الله تعالى إلى نبيّه صلّى الله عليه وآله .

"وَمَا كَانَ هَذَا القُرْءَانُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ العالمين" [٢] .

"أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" [٣] .

إنّ أيّ جهد بشريّ من أيّ مؤلّف لكتاب واحد لا بدّ أن تجد فيه بعض التناقضات ، والقرآن جاء على مدى ٢٣ سنة ، ولا يوجد فيه أيّ تناقض ، ولو كتب مؤلّف كتابا خلال ٢٣ سنة فإنّ بعض آرائه ستتغيّر ، قد تجد في الجزء العاشر من الكتاب أنّ المؤلّف قد غيّر رأيه لأنّه وصل إلى دليل آخر ، ولكنّ القرآن يسير على نسق واحد من أوّله إلى آخره ، فلا يوجد فيه أيّ اختلاف ، ولو قلنا بأنّ القرآن قد جمعه النّاس لوجدت فيه الاختلاف الكثير ، وعدم وجود الاختلاف في القرآن دليل على أنّ القرآن قد جُمِعَ في زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله وتحت إشرافه صلّى الله عليه وآله ، فالنّبيّ صلّى الله عليه وآله هو الّذي قام بجمع القرآن ، ولو كان جمع القرآن بجهد البشر

---

[١] يوسف : ٣ .

[٢] يونس : ٣٧ .

[٣] النّساء : ٨٢ .

لكان فيه النّقيصة أو الزّيادة أو التّحريف ، ولكنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله اهتمّ بجمع القرآن ، لذلك حينما تنزل الآيات يقول صلّى الله عليه وآله اجعلوها في سورة كذا في موضع كذا ، فلو لم يكن مجموعًا لما كان النّبيّ صلّى الله عليه وآله يقول ذلك ، وكل آية في موضعها الّتي وضعها النّبيّ صلّى الله عليه وآله .

"أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا" [1] .

نحتاج إلى تدبّر القرآن ، والتّفكّر والتّأمّل في الآيات ، ومن لا يتدبّر القرآن يكون قلبه مُقْفَلًا ، بمعنى أنّه لا يمكن أن يستقبل معاني القرآن وهداية القرآن .

"رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمِ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ والحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ" [2] .

"كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ" [3] .

توجد في الآية تلاوة الآيات والتزّكية وتعليم الكتاب والحكمة ، ولسنا هنا بصدد بيان معاني هذه الألفاظ ، وإنّما هدفنا الإتيان بالآيات المرتبطة بالقرآن الكريم .

"لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا القرْءَانَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ

---

[1] محمّد : ٢٤ .

[2] البقرة : ١٢٩ .

[3] البقرة : ١٥١ .

اللهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" [1] .

أمثال للنّاس لا للمسلمين فقط ، فخطاب القرآن موجّه لجميع النّاس بمختلف أديانهم ومذاهبهم وقوميّاتهم .

"قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَـذَا القُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا" [2] .

الله تعالى يتحدّى الإنس والجنّ بأن يأتوا بمثل القرآن ، والله عزّ وجلّ يجيب بجواب قاطع بأنّه لا يمكنهم الإتيان بمثله ولو ساعدوا بعضهم البعض .

"وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا القُرْءَانُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَن بَلَغَ" [3] .

الخطابات ليست فقط للمعاصرين للنّبيّ صلّى الله عليه وآله ، بل من بلغه أيضًا في المستقبل ، فحديث القرآن مع النّاس في الماضي والحاضر والمستقبل ، فحينما يقول القرآن : **"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا"** – هذا النّداء ليس فقط لمن كانوا في زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، بل أنت أيضا مخاطب بهذا النّداء ، أنت أيضا مخاطب بخطاب **"يَا أَيُّهَا النَّاسُ"** ، فالحديث القرآنيّ يجري عبر الزّمان والمكان ، وهو ليس مختصًّا بمن كان معاصرًا للنّبيّ صلّى الله عليه وآله ، فالخطابات القرآنيّة موجّهة لجميع النّاس في جميع الأعصار والأمصار .

---

[1] الحشر : ٢١ .

[2] الإسراء : ٨٨ .

[3] الأنعام : ١٩ .

"فَذَكِّرْ بِالقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ" [1] .

القرآن يذكّر من يخاف وعيد الله تعالى .

"شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ القُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الهُدَى وَالفُرْقَانِ" [2] .

القرآن بيّنات من الهدى ، فالقرآن كتاب هداية لجميع النّاس .

"إِنَّ هَـذَا القُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا" [3] .

القرآن كتاب هداية ، يهدي للّتي هي أقوم ، ويبشّر المؤمنين الّذين يعملون الصّالحات لا فقط المؤمنين نظريًّا ، وهم الّذين لا يعملون الصّالحات ، بل المؤمنين نظريًّا وعمليًّا ، فالمطلوب الإيمان مع العمل ، وهذا هو الّذي له أجر كبير .

"وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ" [4] .

الّذي يستفيد من القرآن هو الإنسان المؤمن ، وأمّا الكافر فلا يعطي قيمةً للقرآن ، فلا يستفيد من القرآن ، وهو يمكن أن يستفيد ، ولكن قلبه مقفل ، لذلك لا يستطيع الاستفادة من الآيات القرآنيّة .

"ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ" [5] .

---

[1] ق : ٤٥ .

[2] البقرة : ١٨٥ .

[3] الإسراء : ٩ .

[4] الإسراء : ٨٢ .

[5] البقرة : ٢ .

القرآن كتاب هداية لجميع النّاس ، ولكنّ الّذي يستفيد منه هو الإنسان المؤمن المتّقي ، فالكنوز الموجودة في القرآن يستفيد منها المتّقي .

"أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ" [1] .

لا يكفي أنّ الإنسان يأمر النّاس بالبرّ ، فأوّلًا لا بدّ أن يطبّق البرّ على نفسه ، وبعد ذلك يدعو النّاس إلى هذا البرّ ، المسلمون يدعون النّاس إلى الاعتقاد بالإسلام ، ولكنّهم لا يتمسّكون بتعاليم الإسلام ، المسلمون يفرحون حينما يدخل شخص إلى الإسلام ، مجرّد أنّه يتشهّد الشّهادتين ، وما بعد الشّهادتين يظلّ هذا الشّخص كما هو ، فقط ينطق بالشّهادتين ، وهذا الّذي دعا هذا الشّخص إلى الإسلام هو لا يطبّق تعاليم الإسلام ، وهو يفرح بزيادة عدد المسلمين ، ولكن غثاء كغثاء السّيل ، لا نريد فقط عددًا زائدًا ، زاد عندنا واحد ، زاد عندنا ألف شخص ، نهتمّ بالكمّ دون الكيف ، والمهمّ هو الكيف والنّوعيّة لا فقط الكمّيّة ، نريد النّوعيّة أي الإنسان المسلم الّذي يلتزم بالإسلام .

"وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا القُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ" [2] .

يضرب القرآن الأمثلة للنّاس لا فقط للمسلمين ، فجميع النّاس

---

[1] البقرة : ٤٤ .

[2] الزّمر : ٢٧ .

يمكنهم أن يستفيدوا من القرآن ، فيكون القرآن كتابَ هدايةٍ لهم ، وترون أنّ بعض الّذين لا يعتقدون بالإسلام يدخلون إلى الإسلام من خلال القرآن ، لو أنّهم ينظرون إلى ممارسات المسلمين لا يدخلون الإسلام ، أنت الآن مسلم ضمن المسلمين ، فممارسات المسلمين عندك شيء عادي ، ولكنّهم حينما ينظرون للمسلمين من الخارج يرون الإرهاب والقتل والتّدمير والتّفجير ، فيعتقدون بأنّ الإسلام يدعو إلى كلّ هذا ، فغير المسلمين بعضهم يكونون قاصرين لا مقصِّرين ، فوقت الحساب هذا يمكن له أن يحتجّ : "يا ربّي ، المسلمون منعوني من دخول الإسلام" ، فيكون عنده الحجّة على المسلمين ، فيكون من باب القصور لا من باب التّقصير ، والعالم الآن حينما ينظر إلى بلدان المسلمين فكثير من النّاس لا يدخلون إلى الإسلام ، لو أنّ المسلمين يطرحون مثال التّمسّك بالإسلام سترى أنّ النّاس يدخلون إلى دين الله أفواجًا ، ولكنّ المسلمين هم المقصِّرون ، فالتّقصير من المسلمين ، أنت اطرح المثال ، وكن مثالًا للإسلام ، فإذا وُجِدَ مسلمون يلتزمون بتعاليم الدّين – ولا بدّ أن يكونوا كثرةً – لكانت سمعتنا في العالم سمعة أخرى ، ولدخل النّاس إلى الإسلام ، ولكنّ الملتزمين بالإسلام الحقيقي قليلون ، فالآن حينما يقال الإسلام يقال الإرهاب ، فما يرادف الإسلام هو الإرهاب بسبب كثرة ما يرون من المشاكل في بلدان المسلمين .

هذه مجموعة من الآيات القرآنيّة تتحدّث عن القرآن الكريم .

منزلة القرآن في روايات أهل البيت عليهم السّلام :

لنأخذ مجموعة من الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السّلام :

عن الحلبيّ عن أبي عبدالله عليه السّلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السّلام : ألا أخبركم بالفقيه حَقَّ الفقيه ؟ ، من لم يقنّط النّاس من رحمة الله ، ولم يؤمّنهم من عذاب الله ، ولم يرخّص لهم في معاصي الله ، ولم يترك القرآن رغبةً عنه إلى غيره ، ألا لا خير في علم ليس فيه تفهّم ، ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبّر ، ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفكّر [1] .

الآن لو سألنا : من هو الفقيه ؟

سيأتي الجواب بأنّه من يستنبط أحكام الفقه العمليّ .

إنّ هذا تحديد ضيّق لمعنى الفقيه ، فنحتاج أن نرجع إلى معنى الفقيه في القرآن أوّلا ، ويقول القرآن : "**لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ**" [2] .

يوجد فقه في الدّين ، وثانيًا نرجع إلى الرّوايات لنعرف من هو الفقيه ، وفي هذه الرّواية الفقيه هو الّذي لا يقنّط النّاس من رحمة الله عزّ وجلّ ، ولا يؤمّنهم من عذاب الله تعالى ، ولا يرخّص لهم في المعاصي ، والنّقطة المهمّة هي أنّه لا يترك القرآن الكريم رغبةً إلى غير القرآن ، فإذا قلنا بالرّوايات فقط فإنّ من يتمسّك بالروايات فقط فهو ليس فقيهًا ، لذلك إذا قلنا بأنّ القرآن لا يفهمه إلّا المعصوم عليه

---

[1] الكافي للشّيخ الكلينيّ ج١ ص٣٦ ح٣ .

[2] التّوبة : ١٢٢ .

السّلام ولا شأن لنا بالقرآن ونأتي إلى الرّوايات فقط فهذا الشّخص لا يكون فقيهًا حسب تعريف هذه الرّواية ، فلا بدّ من القرآن مع عترة النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، لا القرآن لوحده تحت شعار "حَسْبُنَا كتاب الله" ، ولا الرّوايات لوحدها تحت شعار "حَسْبُنَا الرّوايات" ، وإنّما القرآن مع المعصومين عليهم السّلام .

إنّ المطلوب هو التّدبّر مع قراءة القرآن ، لا قراءة بلا معاني ، فليس المطلوب هو الألفاظ فقط ، مثلما يقوم كثيرون بحفظ القرآن ، ولكن حينما تسأله عن معنى كلمة أو آية لا يعرف ، فنحتاج إلى مراكز لتدبّر القرآن لا فقط مراكز تحفيظ القرآن ، فتكون مراكز لتدبّر وتحفيظ القرآن ، أوّلا التّدبّر ، وبعد ذلك التّحفيظ .

وأيضًا لا خير في علم ليس فيه تفهّم ، ولا خير في عبادة لا يوجد فيها تفكّر ، تصلّي وتتفكّر في الصّلاة التي تؤدّيها ، لا فقط حركات وأقوال ، فبعد أن تنتهي من الصّلاة تجلس قليلًا للتّفكّر فيها ، والبعض لا أذان ولا إقامة ، وبمجرّد أن ينتهي من الصّلاة يقوم مباشرةً بدون الجلوس قليلًا للتّفكّر ، فتجلس قليلًا لتسأل نفسك : ماذا استفدت من صلاتي ؟

وتسأل هذا السّؤال لكي يمكن لك أن تتكامل بواسطة العبادات ، لا فقط تأتي بأفعال وأقوال ، ولو كان المسلمون يستفيدون من العبادات لكان وضعهم الآن أفضل ، ولكنّ الوضع ثابت عند المسلمين بل وضعهم في تدهور ، فالإرهاب لم يكن موجودًا قبل

ثلاثين سنة ، ظهرت ظاهرة الإرهاب في السّنوات الأخيرة ، فأوضاع المسلمين إلى تدهور ، عبادات ظاهرية فقط ، نعم انتهى من الصّلاة ، ولكنه لم يُقِمِ الصّلاة ، فالصّلاة تحتاج إلى إقامة ، لذلك في القرآن في عدة آيات : **"يُقِيمُونَ الصَّلاةَ"** ، لا أنّهم يُصَلُّونَ فقط .

عن مرازم عن أبي عبدالله عليه السّلام قال : إنّ الله تبارك وتعالى أنزل في القرآن تبيان كلّ شيء ، حتّى والله ما ترك الله شيئًا يحتاج إليه العباد ، حتّى لا يستطيع عبد يقول : لو كان هذا أُنْزِلَ في القرآن ، إلّا وقد أنزله الله فيه [1] .

القرآن تبيان لكلّ شيء ، وكلّ ما يحتاجه الإنسان في طريق الهداية موجود في القرآن ، تبيان لكلّ شيء لا يعنى وجود اسمك أو اسم فلان أو الأشياء الشّخصيّة في القرآن كما يقول به البعض ، القرآن كتاب هداية ، فبيّن لك كلّ ما يقع في طريق الهداية ، فإذا قال شخص إنّه لا يوجد في القرآن كلّ ما يحتاجه الإنسان في طريق الهداية فمعنى ذلك أنّ القرآن ناقص ، وإذا لم يبيّن القرآن شيئًا فإنّ هذا الشّيء لا يقع في طريق الهداية ، فلو كان يقع في طريق الهداية لبيّنه القرآن .

عن عمر بن قيس عن أبي جعفر عليه السّلام قال : سمعته يقول : إنّ الله تبارك وتعالى لم يَدَعْ شيئًا يحتاج إليه الأمّة إلّا أنزله في كتابه وبيّنه لرسوله صلّى الله عليه وآله ، وجعل لكلّ شيء حدًّا ، وجعل

---

[1] الكافي ج١ ص٥٩ ح١ .

عليه دليلًا يدلّ عليه ، وجعل على من تعدّى ذلك الحدّ حدًّا [1] .

لم يترك الله شيئًا تحتاج إليه الأمّة في حركتها التّكامليّة ، فكلّ ما تحتاجه الأمّة الإسلاميّة موجود في القرآن .

عن حمّاد عن أبي عبدالله عليه السّلام قال : سمعته يقول : ما من شيء إلّا وفيه كتاب أو سنّة [2] .

الكتاب مع السّنّة ، فالقواعد العامّة موجودة في القرآن ، والتّفصيل موجود في الرّوايات ، وبعض الأمور قد لا تكون مذكورة في القرآن كتفصيل ، مثلًا حرمة أكل لحم الأرنب غير مذكورة في القرآن ، ومذكورة في الرّوايات ، ولكن هذا من باب ذكر مصاديق حكم الحرمة لا ذكر القاعدة الكلّيّة ، فالقاعدة الكلّيّة العامّة مذكورة في القرآن ، وهي وجود أطعمة محرَّمة وأطعمة محلَّلة على النّاس ، فبعض المصاديق تذكر في الرّوايات ، وهذا ليس نقصًا في القرآن ؛ لأنّ القاعدة العامّة مذكورة فيه .

عن المعلّى بن خنيس قال : قال أبو عبدالله عليه السّلام : ما من أمر يختلف فيه اثنان إلّا وله أصل في كتاب الله عزّ وجلّ ، ولكن لا تبلغه عقول الرّجال [3] .

والأصل هو القاعدة الكلّيّة العامّة ، ولكن لا تبلغه العقول ،

---

[1] الكافي ج١ ص٥٩ ح٢ .

[2] المصدر السّابق ج١ ص٥٩ ح٤ .

[3] المصدر السّابق ج١ ص٦٠ ح٦ .

فالقصور والتّقصير موجود فينا ، فالعقول لا تصل إلى هذه الأحكام إمّا قصورًا وإمّا تقصيرًا ، فكلّ شيء تحتاجه البشريّة في طريق الهداية موجود في القرآن الكريم .

والحمدلله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(١٦)

الاستعاذة والبسملة [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمدلله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

نبدأ اللّيلة من سورة الفاتحة ، ولكن توجد بعض الرّوايات عن خصائص القرآن الكريم نذكرها الآن ، ثم ندخل في الاستعاذة والبسملة .

عن عبد العزيز بن مسلم قال : كنّا مع الرّضا عليه السّلام . . . ثم قال : . . . إنّ الله عزّ وجلّ لم يقبض نبيّه صلّى الله عليه وآله حتّى أكمل له الدّين ، وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كلّ شيء ، بيّن فيه الحلال والحرام ، والحدود والأحكام ، وجميع ما يحتاج إليه النّاس كَمَلًا ، فقال عزّ وجلّ : "**مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ**" [٢] .

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ٣ شعبان ١٤٣٩ هـ الموافق ٢٠١٨/٤/٢٠ م .

[٢] الكافي ج١ ص١٩٨-١٩٩ ح١ ، والآية من سورة الأنعام : ٣٨ .

القرآن كامل ، وبيّن الله فيه كلّ شيء يحتاجه الإنسان المؤمن في حركته التّكامليّة ، وليس المراد من "كلّ شيء" حتّى الأمور الشّخصيّة للإنسان ، وإنّما ما يحتاجه في حركته إلى الله ، والتّفصيل موجود في الرّواية ، ذكرت الأشياء التي بيّنها القرآن ، الحلال والحرام والحدود والأحكام وجميع ما يحتاج إليه النّاس كَمَلًا أي كاملًا تامًّا وافيًا ، والله لم يفرّط في القرآن من شيء .

عن ابن القدّاح عن أبي عبدالله عليه السّلام قال : . . . والبيت الّذي يُقْرَأُ فيه القرآنُ ، وَيُذْكَرُ اللهُ عزّ وجلّ فيه – تكثر بركته ، وتحضره الملائكة ، وتهجره الشّياطين ، ويضيء لأهل السّماء كما يضيء الكوكب الدّرّيّ لأهل الأرض ، والبيت الّذي لا يُقْرَأُ فيه القرآنُ ، ولا يُذْكَرُ الله فيه تقلّ بركته ، وتهجره الملائكة ، وتحضره الشّياطين . . . [1] .

ليس المراد من القراءة الألفاظ فقط ، وإنّما العمل بأحكام القرآن أيضًا ، فالبركة تأتي من العمل لا من مجرّد الألفاظ ، فالقرآن ليست ألفاظًا بلا معاني ، فلا بدّ أن تركّز على القراءة الصّحيحة للألفاظ ، ولكن مع المعنى ، والبركة تأتي من المؤمن الصّالح الّذي يلتزم بأحكام الدّين ، هذا الإنسان الّذي يكون مُبَارَكًا ، هذا الّذي لا يأتي إليه الشّياطين ، ولنفرض إنسانًا عاصيًا وهو يصرّ على المعصية ويقرأ القرآن ، نفرض إنسانًا يشرب الخمر ويقرأ القرآن ، هذا الإنسان لا

---

[1] الكافي ج٢ ص٤٩٨-٤٩٩ ح١ .

يستفيد من القرآن ، ولا يكون مباركًا ، وبيته لا يكون مباركًا ، فلا يتمّ التّركيز على الألفاظ ومخارج الحروف فقط ، بل لا بدّ أيضًا أن يركّز الإنسان على المعاني ويلتزم ويعمل بأحكام القرآن الكريم .

عن طلحة بن زيد عن أبي عبدالله عليه السّلام قال : إنّ هذا القرآن فيه منار الهدى ومصابيح الدّجى . . . [1] .

القرآن كتاب هداية ، تبيان لكلّ شيء يحتاجه الإنسان في حركته في طريق الهدى .

هذه بعض الرّوايات الّتي تبيّن خصائص القرآن الكريم .

البداية من سورة الفاتحة :

سنبدأ في موضوع "عالميّة الإسلام" انطلاقا من سورة الفاتحة ، وسورة الفاتحة تتناسب مع عالميّة الإسلام .

الاستعاذة :

قبل البسملة نبدأ بالاستعاذة ، أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم .

"فَإِذَا قَرَأْتَ القُرْءَانَ فَاسَتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الّذِينَ ءامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ" [2] .

سيأتي فيما بعد بحث تفصيليّ عن الشّيطان الرّجيم لأهمّيّة هذا البحث ، فنأتي إلى الآيات القرآنيّة الّتي ذكرت الشّيطان وإبليس ، ونجمعها لكي نرى ما يقوله القرآن عن إبليس والشيطان ، وهذا

---

[1] الكافي ج٢ ص٦٠٠ ح٥ .

[2] النّحل : ٩٨-٩٩ .

البحث مهمّ جدًّا لكي نعرف مكائد الشّيطان وكيفيّة إضلاله للنّاس ، فمقابل الهدى يوجد الضّلال ، والله هو الهدى ، والشّيطان هو قائد كلّ ضلال وانحراف وفساد في العالم ، والنّاس في العالم غافلون عن الشّيطان ، فالشّيطان هو مركز الضّلال ، وكلّ من يفسد في الأرض هو تابع للشّيطان ، ولكنّنا لا نلتفت إلى أنّ هذا المفسد هو من أتباع الشّيطان ، وبعض النّاس يتحوّلون إلى شياطين ، وهم شياطين الإنس ، فيتطبّع بطباع الشّيطان ، فالشّيطان يرتاح ، وهذا الإنسان يقوم بمهامّ الشّيطان ، وكلّ شخص حوله مجموعة من شياطين الإنس ، وهم الّذين يوسوسون للآخرين ، مثلًا من يتكلّم عن المتديِّن الحقيقيّ هو شيطان إنسيّ ، فيحاول أن يشوّه صورة العلماء المخلصين ، وقد يكون الشّيطان الإنسيّ عنوانه مسلم أو مؤمن ، ولكن هذا مجرّد اسم لا واقع له ، فهو شيطان من شياطين الإنس .

لذلك لا بدّ من معرفة الشّيطان وكيفيّة دخوله إلى النّفس البشريّة ، وكيف يمكن مواجهته ، وما هو تكليفنا تجاهه ، وفي الآية لا سلطان للشّيطان على المؤمنين المتوكّلين على الله تعالى ، فيحتاج الإنسان إلى الإيمان بالله والتّوكّل على الله ؛ لكي يصير خارج سلطان الشّياطين ، فلا بدّ من معرفة معنى الإيمان ومعنى التّوكّل ، وسيأتي ضمن بحث "الشّيطان الرّجيم" .

إنّ الإيمان ليس عبارة عن تشهّد الشّهادتين فقط ، بل لا بدّ أن يكون مع الإيمان الالتزام بالدّين والعمل به ، فإذا التزم بالدّين وتوكّل

على الله فهذا الإنسان يكون بعيدًا عن الشّيطان ، بحيث إنّ الشّيطان لا يمكن له أن يسيطر على هذا الإنسان .

"إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ" [1] .

تصريح من الله تعالى بأنّ الشّيطان عدوّ الإنسان ، وفي المقابل هل تتّخذه عدوًّا أو صَدِيقًا ؟

بالطّبع لا بدّ أن تتّخذه عدوًّا ، والشّيطان له حزب ، وهم أتباع الشّيطان ، فلا بدّ أن يعرف الإنسان كيف يميّز وسوسة الشّيطان ، كثير من الأفكار تأتي في ذهن الإنسان ، ولا بدّ أن تكون عنده القدرة على تمييز صوت الشّيطان وتمييز صوت الملائكة ، وخذوها علامة ، كلّ دعوة إلى الفساد والضّلال والانحراف فهذا صوت شيطانيّ ، أنت تظنّ أنّ نفسك تحدّثك ، ولكن في الواقع الشّيطان يدخل إليك من خلال النّفس الأمّارة بالسّوء ، فلا بدّ أن تكون عندك القدرة على التّمييز ، فكلّ صوت يدعو إلى الباطل والشّرّ فهذا صوت الشّيطان ، وكلّ دعوة إلى الحقّ والخير تكون صوتًا ملائكيًّا ، والآن بيدك المقياس للتّمييز بين صوت الشّياطين وصوت الملائكة .

مثلًا حينما يغضب الإنسان إذا سبّه أحد فيوسوس له الشّيطان بأن يردّ السّبّ بسبّ ، تسمع صوتًا في باطنك يقول لك ردّ الشّتيمة بعشر شتائم ، وهذا يحسّ به كلّ إنسان ؛ لأنّه أمر وجدانيّ يشعر به

---

[1] فاطر : ٦ .

في نفسه ، هذا صوت الشّيطان ، والآن يمكنك تمييزه ، فدور الشّيطان أن يزيد المشاكل بين النّاس ، ولكن إذا سمعت في باطنك صوتًا يقول لك هَدِّئْ من أعصابك وسيطر على غضبك لكي لا تخرج عن طورك الطّبيعيّ ، فهذا صوت ملائكيّ يدعوك إلى الخير ، والإنسان إذا خرج عن طوره فإنّه يبدأ القيام بأفعال غريبة عنه مقارنةً به حينما يكون في وضعه الطّبيعيّ ، فعليك معرفة صوت الشّيطان وصوت الملَك ، وبيدك الآن مقياس التّمييز بين الصّوتين : صوت يدعو إلى الخير ، وصوت يدعو إلى الشّرّ .

إنّ الشّيطان عنده الوسوسة ، فدور الشّيطان هو الوسوسة ، وذلك بأن يزيّن للإنسان عمل الباطل ، ردّ الكلمة بعشر كلمات ، يزيّن لك العمل ، يقول لك لا بدّ أن تظهر بمظهر الأقوى أمام الآخرين ، فردّ الشتيمة بعشرة ، وردّ الصاع بصاعين ، فهو يؤجّج المشاكل بين النّاس .

مثلا شخص وزوجته ، الزّوجة تقول كلمة ، فترتفع عنده القوّة الغضبيّة ، فيردّ عليها بكلمة ، وهي أيضا تصعد عندها القوّة الغضبيّة فتردّ عليه بكلمة ، وهكذا تزداد المشاكل بينهما ، والشّيطان ينظر إليهما وهو يضحك عليهما .

وأحيانا الأسباب تكون تافهةً ، مثلًا هما على سفرة الغداء ، والزّوج يقول الأكل ملحه ناقص ، والزوجة يمكنها أن تهدّئ الوضع أو تؤجّجه ، تؤجّج الوضع بأن تقول أنت دائمًا لا يعجبك طبخي ،

وتهدّئ الوضع بأن تقدّم له المملحة وتقول له بأن يضيف الملح لطعامه وأنّها في المرّة القادمة ستكون حريصةً على أن تضع الملح المناسب في الطّعام ، وهكذا تنتهي المشكلة بكلّ بساطة ، ومن الممكن أنّ كليهما يؤجّج الوضع ، فهو يغضب ويقول أنت لا تعرفين أن تطبخي ، وهي تقول إذن لا تأكل من طبخي ، فكلمة من الزّوج ، وكلمة من الزّوجة ، وينتهي الأمر إلى الطّلاق ، والشّيطان ينظر ويضحك عليهما .

سمعت مرّة في الإذاعة مقابلة مع أحد المحامين ، أنقلها حسبما أتذكّر ، سأله المذيع : ما هي أصعب قضيّة جاءت إليك بحيث إنّ الأسباب تافهة . فقال المحامي : جاءت زوجة عندها ثقب في طبلة الأذن بسبب ضرب الزّوج لها ، والسّبب هو أنّ الأكل كان ملحه قليلًا .

كلمة منه وكلمة منها إلى أن ضربها على أذنها ممّا أدّى إلى ثقب في طبلة الأذن ، والسّبب كان تافهًا ، بالطّبع الزوج مخطئ ، وكان بإمكان الزّوجة أن تخفّف من المشكلة بكلمات بسيطة ، وكذلك الزّوج ، ولكن إبليس دخل في الملعب ، فيأتي إلى الزّوج ويوسوس له ، ويذهب إلى الزّوجة ويوسوس لها ، إلى أن يثير المشاكل بينهما ، وهكذا بين الابن وأبيه ، وبين البنت وأمّها ، والأخ مع أخته .

دور إبليس دائمًا إثارة المشاكل بين النّاس ، وهذا لا بدّ أن نلتفت إليه ، فدائمًا في أيّ مشكلة حاول أن تهدّئ الوضع ، وخاصّة داخل

البيت الواحد ، والمشكلة حينما تحدث بين الزّوجين يظلّ الأثر القلبيّ بينهما حتّى لو تمّ حلّ المشكلة ، والأثر لا يزول بسهولة ، لذلك دائمًا التفتوا أيّها الأزواج وأيّتها الزّوجات ، وهدِّئوا المشاكل بينكم دائمًا في البيت الواحد ، وكذلك بين المؤمنين وبين المسلمين ، وكذلك في العمل حينما تحدث مشاكل بين الموظّفين ، إبليس يذهب إلى الأوّل ويذهب إلى الثّاني يوسوس لهما ويؤجّج المشكلة بينهما .

إنّ الحروب في العالم يكون الشّيطان هو القائد لها ، يأتي إلى الإرهابيّ يزيّن له عمله عن طريق الدّين ، يقول له : إنّ الدّين يدعو إلى الإرهاب ، ولا بدّ أن ترهبوا العدوّ ، وأنت بذلك ترفع راية الإسلام .

فيأتي له عن طريق الوسوسة ، وهذا ينخدع ، وأيضًا هناك شياطين من الإنس الّذين يزيّنون لهذا الإرهابيّ بأنك تُعْلِي كلمة الله على الأرض وترفع راية الإسلام ، وهذا كلّه من عمل إبليس ، يوسوس للجميع ، وينتقل من شخص إلى آخر ويزيّن لهم الباطل ، ولكن يدخل عن طريق الدّين ، فدور الشّيطان هو تزيين الأعمال ، لا توجد عنده سلطة على النّاس ، والإنسان بإرادته يمكنه أن لا يطيع الشّيطان .

إذن : الشّيطان يدعو حزبه ، والعاقبة هي أنّهم يكونون من أصحاب السّعير ، فنهاية من يطيع الشّيطان هو النّار .

"اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ

أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الخَاسِرُونَ" [1] .

أنساهم ذكر الله ، ولا يقصد الذّكر اللّسانيّ ، وإنّما الذّكر العمليّ ، بمعنى أنّه لا يلتزم بأحكام الدّين من ناحية عمليّة ، ومن يكون من أتباع الشّيطان فهو الخاسر في النّهاية ؛ لأنّه سيكون من أصحاب السّعير .

الشّيطان له حزب وجماعة ، فلا بدّ من معرفة حزب الشّيطان وتشخيص أفراده لكي لا يصبح الشّخص منهم وهو لا يدرك ، فأحيانًا لا يدرك الإنسان أنّه من حزب الشّيطان ، هو يظنّ بأنه يقوم بعمل خير ، ولكن في الواقع يقوم بعمل باطل ، مثل الإرهابيّ هو يظنّ بأنّه يقوم بعمل حقّ ، ولكن في الواقع عمله باطل ، فهو يضرّ الإسلام ، وهو يظنّ أنّه ينصر الإسلام ، فيكون من جنود الشّيطان بدل من أن يكون من جنود الرّحمن الّذين يمثّلون حزبًا في مقابل حزب الشّيطان ، وجنود الرّحمن يشكّلون حزب الله بالمفهوم القرآنيّ .

"إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الغَالِبُونَ" [2] .

الآية نازلة في أمير المؤمنين عليه السّلام ، فيوجد على مرّ التّاريخ حزب الله في مقابل حزب الشّيطان .

---

[1] المجادلة : ١٩ .

[2] المائدة : ٥٥-٥٦ .

"لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ المُفْلِحُونَ" [1] .

حزب الشّيطان هم الخاسرون ، وحزب الله – بالمفهوم القرآنيّ – هم الغالبون المفلحون ؛ لأنّه يوجد لهم تأييد من الله ، ويمكن القيام ببحث عن حزب الله وحزب الشّيطان في القرآن ، والباحث يستخرج صفات كلّ حزب ، وإذا تحلّى بصفات حزب الله فيكون منهم ، وإذا تحلّى بصفات حزب الشّيطان فيكون منهم ، وبذلك يمكنه تشخيص من هم أفراد حزب الله ، ومن هم أفراد حزب الشّيطان .

إذن :

البداية تكون من الاستعاذة من الشّيطان الرجيم .

البسملة :

فضل البسملة :

أخرج العيّاشيّ عن سليمان الجعفريّ ، قال : سمعت أبا الحسن عليه السّلام يقول : . . . فقال : وأيّ آية أعظم في كتاب الله ؟ فقال : بسم الله الرّحمن الرّحيم [2] .

---

[1] المجادلة : ٢٢ .

[2] تفسير العيّاشيّ ج١ ص٢١ ح١٤ .

عن أمير المؤمنين عليه السّلام : . . . فقولوا عند افتتاح كلّ أمر صغير أو عظيم : بسم الله الرّحمن الرّحيم . . . [١] .

عن معاوية بن عمّار عن الصّادق عليه السّلام أنّه قال : "بسم الله الرّحمن الرّحيم" اسم الله الأكبر . أو قال : الأعظم [٢] .

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله : لا يُرَدُّ دُعاءٌ أوّلُهُ بسم الله الرّحمن الرّحيم [٣] .

عن الحسن (أي الإمام العسكريّ) بن عليّ بن محمّد عليهم السّلام في قول الله عزّ وجلّ : "بسم الله الرّحمن الرّحيم" قال : الله هو الّذي يَتَأَلَّهُ إليه عندَ الحوائجِ والشّدائدِ كُلُّ مخلوقٍ ، وعند انقطاعِ الرّجاءِ مِنْ كُلِّ مَنْ هو دونه ، وَتَقَطُّعِ الأسبابِ مِنْ جميع مَنْ سواه ، تقول : "بسم الله" ، أي أستعين على أموري كُلِّها بالله الّذي لا تَحُقُّ العبادةُ إلّا له ، المُغِيثُ إذا اسْتُغِيثَ ، والمُجِيبُ إذا دُعِيَ [٤] .

بسم الله الرّحمن الرّحيم :

نأتي إلى الإسلام دين الرّحمة .

وأوّل آيةٍ في القرآن الكريم هي :

---

[١] التّوحيد للشّيخ الصّدوق ص٢٣٢ .

[٢] بحار الأنوار للعلّامة المجلسيّ ج٩٠ ص٢٢٣ ح١ ، نقله المجلسيّ عن مهج الدّعوات لابن طاووس .

[٣] الدّعوات لقطب الدّين الرّاونديّ ص٥٢ ح١٣١ .

[٤] معاني الأخبار للشّيخ الصّدوق ص٤ . يَتَأَلَّهُ إليه : يَقْصِدُ إليه .

"بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" [1] .

باسم الله :

نتكلّم قليلًا عن البسملة قبل الدّخول في أهمّ بحث ، وهو "الإله الخالق للكون" ، وهو "الله" عند المسلمين ، واليهود يسمّونه "يَهْوَه" ، وفي كلّ لغة توجد عندهم كلمة تدلّ على الإله الخالق للكون ، والبحث الأساس في عالميّة الإسلام هو بحث "الإله الخالق للكون" ، وسيأتي فيما بعد بتفاصيله ، فما هو الدّليل على وجود إله خالق للكون ، سنأتي بالأدلّة ونناقشها ، والبحث طويل ، وفي كلّ محاضرة نأخذ بعض الأدلة .

إنّ الانطلاقة تكون باسم الله خالق الكون الجامع لجميع الصّفات الكماليّة ، ونبدأ باسم الله في أيّ عمل نقوم به ، فيصير العمل مباركًا إذا بدأنا باسم الله عزّ وجلّ ، ويصل الإنسان إلى هدفه من هذا العمل بإذن الله ، وتتعطّر قلوبنا وأرواحنا بطيب اسمه تعالى ، وأعمالنا فانية زائلة وصغيرة محدودة ، ولكنها حينما ترتبط بالذّات المقدّسة الباقية الخالدة الّتي لا حدّ لها ولا نهاية فإنّ هذه الأعمال المحدودة تكتسب البقاء والخلود ؛ لأنّه يوجد لها أثر أخرويّ خالد ، وتكتسب روحًا جديدة ، لذلك يبقى أثر هذه الأعمال إلى يوم القيامة ، ويكون لها الخلود في الجنّات ، فالعمل البسيط الّذي يقوم به الإنسان من الممكن أن يدخله إلى جنّة الخلد .

---

[1] الفاتحة : ١ .

روي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال : دخل عبد الجنّة بغصن من شوك كان على طريق المسلمين [١] .

تقول إنّ هذا العمل عمل بسيط ، ولكن لأنّ الإنسان يقوم بهذا العمل قربةً إلى الله تعالى فيكتسب الخلود لارتباطه بالذّات الخالدة ، فَيُدْخِلُ هذا العمل صاحبَه إلى الجنّة الباقية الخالدة ، فيصير الإنسان باقيًا خالدًا في الجنّات الباقية الخالدة .

وحينما نقول "**بِسْمِ اللهِ**" يوجد جارّ ومجرور ، الباء حرف جرّ ، ولفظ الجلالة اسم مجرور بالباء ، والجارّ والمجرور يحتاجان دائمًا إلى متعلَّق ، وهما متعلِّقان بفعل محذوف تقديره نَبْدَأُ أو نَبْتَدِئ ، أي نبدأ باسم الله ، والآية لا يوجد فيها كلمة "نبدأ" ، ولكنّ الكلمة مُقَدَّرَة ، فنبتدئ جميع أعمالنا باسمه تعالى ، وتتكرّر البسملة في بداية جميع السّور إلّا سورة التّوبة ، ولكنها تُعَوَّضُ في سورة النّمل في قصّة النبيّ سليمان عليه السّلام مع ملكة سبأ ، فتكون البسملة بعدد سور القرآن ١١٤ مرّة .

إذن عندنا "**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**" ، فكلّ عمل يجب أن يكون مُبْتَدِئًا باسم الله ، كما في التّعليم والهداية الموجودة في سور القرآن الكريم ، فنجد البسملة في بداية كلّ سورة إلّا سورة التّوبة ، وقد يكون العمل دعاءً من العباد مع الذّات المقدّسة مثل سورة الحمد ، فنبدأ باسم الله عزّ وجلّ .

---

[١] الخصال للشّيخ الصّدوق ص٣٢ .

بعض الآيات القرآنيّة :

"اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ" [1] .

كلّ عمل يبدأ باسمه تعالى ، كما في بداية بعثة النّبيّ صلّى الله عليه وآله وأوّل نداء للوحي ، ونرى بأنّ الصّفة الّتي ذُكِرَتْ بعد اسم الله تتناسب مع العمل ، فهنا يوجد ذكر الرّبوبيّة والخالقيّة ، وفي القرآن الكريم كلّ لفظ له معنى ، فهنا لم يقل الله تعالى : "اقْرَأْ بِاسْمِ اللهِ الَّذِي خَلَقَ" ، وإنّما قال عزّ وجلّ : **"اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ"** ، والوحي كان بداية لعمل تربويّ ، وكلمة "الرّبّ" يُشْتَقُّ منها "التَّرْبِيَة" ، والرّبّ هو الّذي يُرَبِّي ، والتّربية معناها تحويل الطّاقات الكامنة إلى طاقات فعّالة ، ففي المدرسة الطّلبة عندهم طاقات كامنة ، ودور الأستاذ هو أن يُحَوِّل هذه الطّاقات الكامنة إلى طاقات فعّالة ، فما يوجد عندهم بالقوّة يُحَوِّلُها إلى ما يوجد عندهم بالفعل ، مثلًا الطّالب عنده قوّة حفظ ، فيوجِّهه الأستاذ إلى حفظ القرآن أو حفظ الشّعر ، وطالب آخر عنده موهبة الرّسم ، فيوجِّهه إلى مادة الرّسم ليتعلّم كيفيّة رسم اللّوحات الفنّيّة ، وطالب ثالث عنده موهبة الخطّ ، فيوجِّهه إلى دروس الخطّ ليتعلّم الفرق بين أنواع الخطوط كخطّ الرّقعة وخطّ النّسخ والخطوط الأخرى ، ويحوّل هذه الموهبة إلى لوحات فنّيّة فيها خطوط مختلفة الأنواع ، ودور الأستاذ هو هذا سواء في المدرسة أم في الحوزة ، وطبعًا في الواقع قد لا يكون هذا موجودًا حاليًّا ، ولكن هذا هو دور

---

[1] العلق : ١ .

الأستاذ ، فالأستاذ في الحوزة لا بدّ أن يرى طاقات هؤلاء الطّلبة ، طالب عنده اهتمام بالقرآن فيوجّهه إلى التّخصّص في علوم القرآن وتفسيره ، وطالب يهتمّ بالفقه العمليّ فيوجّهه إلى دراسة الفقه العمليّ وأصوله وما يحتاجه في عمليّة استنباط أحكام الفقه العمليّ ، وطالب عنده اهتمام بالتّاريخ فيوجّهه إلى التّخصّص في التّاريخ وسيرة المعصومين عليهم السّلام ، فلا بدّ أن يرى الأستاذ كلّ طالب ما هي اهتماماته ، فيوجّه الطّلبة إلى التّخصّصات المختلفة الموجودة في الحوزة العلميّة ، وقد يقترح الأستاذ بعض الاقتراحات ، فيوجّه بعض الطّلبة إلى الاهتمام ببحوث الأديان المقارنة ، كالبحث في وجوه الاشتراك ووجوه الاختلاف بين اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام ، ونحتاج إلى مثل هذا التّخصّص ، وكذلك البحث في الأديان الوضعيّة ، والموجود الآن عبارة عن جهود فرديّة في هذا التّخصّص ، فنحتاج إلى لجان للبحث في الأديان الموجودة في العالم سواء السّماويّة أم الوضعيّة ، فمعلوماتنا قليلة جدًّا عن الأديان في العالم ، مثلا ما هي أركان عقائد الدّيانة البوذيّة ؟ ما هي عقائد السّيخ ؟ ما هي عقائد الدّيانة الهندوسيّة ؟

ويقال إنّه في الهند توجد عشرات الأديان ، ولا يوجد عندنا اطّلاع على الأديان ، فنحتاج إلى بحث في جميع الأديان ، وهذه البحوث تفيد العلماء حينما يريدون أن يردّوا عليها ، فلا بدّ أن يعرف العالم هذه الأديان من كتبهم لا من كتب خصومهم ، فلا بدّ أن يطّلع على كتبهم المعتمدة عند كل دين لكي يمكن الرّدّ عليهم ردودًا علميّة .

والآن العالم دوره عالميّ ، نحن الآن لا نعيش في قرية ، فإذا كنّا نعيش في قرية فكلامنا يكون بحدود القرية ، والآن دورنا دور عالميّ ، ونرى بعض العلماء يقولون بأنّه إذا كان يوجد عندنا طفل ولا نعرف من هي أمّه ومن هو أبوه ، هذا العالم غير مطّلع على وجود التّحليل الجيني ، فإذا قال مرجع دينيّ بأنّه لا يمكن أن نعرف فالنّاس ينظرون إلى أنّ الدّين ضعيف ، فهذا العالم لا يوجد عنده اطّلاع على أنّه يوجد تحليل جينيّ وأنّه يمكن بواسطة هذا التّحليل من معرفة الأبوين ، هذا العالم لا يُنْقَدُ لوحده ، بل يُنْقَدُ الدّين أيضًا ، فيقولون إنّ المسلمين لحدّ الآن متخلّفون لا يعرفون التّطوّرات العلميّة في زماننا الحاليّ ، ودور العالم أن يتابع التّطوّرات العلميّة لأنّه يحتاج إليها حينما يفتي .

مثلًا في الرّواية الّتي تقول : "الولد للفراش ، وللعاهر الحجر" [1] ، سابقًا لم يوجد التّحليل الجينيّ لمعرفة أنّ هذا الولد لمن ، وفي بعض المقابلات الفضائيّة طُرِحَ أنّه لو في التّحليل الجينيّ عُرِفَ بأنّ هذا الزّوج ليس هو الأب فأحد العلماء من أحد المذاهب كان يقول نتمسّك بهذه الرّواية ، فيكون هذا ولده حتّى لو أنّ التّحليل الجينيّ أثبت أنّه ليس هو الأب ، هو مسئول عن الصّرف عليه ، وأثناء المقابلة حصل اعتراض عليه بأنّه يوجد عندنا يقين أنّ هذا ليس ولده فكيف يصرف عليه ؟!

---

[1] الكافي ج٥ ص٤٩١ ح٢ ، صحيح البخاريّ ج٣ ص٥ .

فأصرّ على رأيه وأنّ الرّواية تقول : "الولد للفراش" ، فهو أبوه حتّى لو كان عنده يقين بأنّه ليس ولده .

إذن فبالتّحليل الجينيّ يمكن معرفة أنّ هذا ولده أو لا ، فهذه الرّواية تُطَبَّقُ في زمان لا يوجد هذا النّوع من التّحليل ، فالرّواية واقعة في ظروف زمانيّة ومكانيّة معيّنة ، وبعض الرّوايات صدرت ضمن ظروف زمانيّة ومكانيّة معينة ، فضمن هذه الظروف يكون هذا الحكم موجودًا ، وإذا تغيّرت الظّروف يتغيّر الحكم ، فعندنا يقين بأنّ هذا ولد لشخص آخر ، وزوج هذة المرأة ليس أبًا له ، فالحكم يتغيّر بسبب وجود اليقين ، واليقين حجّة على الإنسان ، والرّواية تعطي شَكًّا أو ظَنًّا ، والتّحليل الجينيّ يعطي يقينًا ، واليقين مُقَدَّمٌ على الشّك والظّن ، ويكون العمل بناءً على اليقين ، ولا يؤخذ بالشّك أو الظّن ، وإذا أصررنا على بعض الرّوايات الّتي قيلت ضمن ظروف معيّنة فسوف يقال بأنّ هذا الدّين ليس دينًا عالميًّا ، ونحن نريد أن نثبت أنّ الإسلام دين عالميّ ، ويتمّ ذلك بالأخذ بالتّطوّرات العلميّة الموجودة اليوم ، طبعا نأخذ بالتّطوّرات العلميّة الّتي لها تأثير على الأحكام الشّرعية ، فهل نقول بنظريّة دخالة الظّروف الزّمانيّة والمكانيّة في الأحكام الشرعيّة أو لا ؟

إذا قلنا بعدم الدّخالة فهذا الولد ولده حتّى لو أثبت التّحليل الجينيّ عكس ذلك ، ومن يقول بالدّخالة فهذا الولد ليس ولده لأنّ الفقيه يحكم بالأخذ باليقين المبنيّ على التّحليل الجينيّ ، وستأتي نظريّة

دخالة الزّمان والمكان في الأحكام فيما بعد تفصيلًا مع ذكر الأدلّة الشّرعيّة الدّالّة على صحّة هذه النّظريّة .

وفي القرآن الكريم قوله تعالى : **"الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ"** [1] .

وكلمة **"الآن"** دالّة على الزّمان ، فضمن هذه الظّروف الزّمانيّة خفّف الله عنكم ، فهذه الآية تدلّ على دخالة الزّمان في الحكم الشّرعيّ .

إذن التّربية معناها تحويل الطّاقات الكامنة عند الإنسان إلى طاقات فعّالة ، فما يكون عنده بالقوّة يتحوّل إلى ما عنده بالفعل ، ويقال هنا بأنّ التّربية التّشريعيّة تقترن بالتّربية التّكوينيّة .

وفي الآية الكريمة : **"اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ"** ، الله هو ربّ الكون ، وهذه تربية تكوينيّة ، فالله يخلق الكون بطريقة معيّنة ، ويوجد فيها تغيّر وتطوّر أيضًا ، فتنتقل المادّة من حالة إلى حالة أخرى ، فالنّطفة تنتقل إلى جنين ، وهذا عمل تكوينيّ من الله تعالى ، وهي تربية تكوينيّة ، وفي بداية الوحي حينما يقترن اسم الله بالرّبوبيّة أي بالتّربية ، فنحتاج إلى تربية تشريعيّة ، فتتمّ تربية النّاس على أساس الدّين ، فترتبط التّربية التّشريعيّة بالتّربية التّكوينيّة لله عزّ وجلّ .

"وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ" [2] .

البدء باسمه تعالى كما في بداية الحركة للنّجاة من الأخطار والطوفان

---

[1] الأنفال : ٦٦ .

[2] هود : ٤١ .

وبداية توقّف السّفينة والنّزول منها للابتداء بالمنهج الجديد ، كما في قصّة النّبيّ نوح عليه السّلام ، فيركب السّفينة باسم الله ، ونرى بأنّ الصّفات الّتي ذُكِرَتْ بعد "**بِسْمِ اللهِ**" تناسب العمل ، فهنا نرى "**إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**" ، الرّبّ والغفور والرّحيم ، وهو إشارة إلى شمول المغفرة والرّحمة الإلهيّة لأصحاب نوح عليه السّلام ، وتوجد حاجة إلى العناية الإلهيّة لسفينة نوح عليه السّلام ، ونحتاج أيضًا إلى الرّحمة والمغفرة لنوح عليه السّلام وأصحابه ، لذلك فالفقرات الموجودة في الآية تجد أنّ لها ارتباطًا ببقيّة الآية .

ويمكن أن تأخذ نهايات الآيات ، فترى تارة "**عَلِيمٌ حَكِيمٌ**" ، هذه الفقرة لها ارتباط بنفس الآية ، وتارة "**غَفُورٌ رَحِيمٌ**" ، ولها ارتباط بالآية الّتي وردت فيها ، فهذه الصّفات في الآيات لم تَأْتِ بطريقة عشوائيّة ، وإنّما لها ارتباط بالآية ، ولا يمكن تغيير إحداها مكان الأخرى .

مثلًا في الآية السّابقة عندنا "**لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**" ، ولا يمكن أن تجعل مكانها "لَعَلِيمٌ حَكِيمٌ" أو "لَشَدِيدُ العِقَابِ" لعدم ارتباطهما بسفينة نوح عليه السّلام ، وإنّما المطلوب المغفرة والرّحمة .

وتوجد بعض الآيات القرآنيّة الّتي فيها "**بِسْمِ اللهِ**" نذكرها في المحاضرة التّالية إن شاء الله تعالى .

والحمدلله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(١٧)

اقتران الأعمال باسم الله [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمدلله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

كان الكلام في البسملة ، وأخذنا بعض الآيات المرتبطة بمقطع **"بِسْمِ اللهِ"** ، وقلنا بأنّ كلّ عمل يجب أن يكون مبتدئًا باسم الله ، ونعرض بعض الآيات الأخرى :

"قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ" [٢] .

هذا عمل آخر يبدأ باسم الله ، كما في ابتداء الكتاب المُرْسَل من أجل الدّعوة للتّسليم إلى الحقّ ، فالنّبيّ سليمان عليه السّلام أرسل كتابًا إلى ملكة سبأ ، فبدأ باسم الله ، فهذا الكتاب المرسَل لأجل

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ١٠ شعبان ١٤٣٩ هـ الموافق ٢٠١٨/٤/٢٧ م .

[٢] النّمل : ٢٩-٣١ .

الدّعوة بدأ به باسم الله ، ونرى بأن الصّفة المذكورة بعد اسم الله هي الرّحمة ؛ لأنّ الرحمة تناسب العمل بالدّعوة إلى الحقّ ، فحينما تريد أن تبدأ بالدّعوة إلى الحقّ لا بدّ أن تبدأ بالرّحمة لا بالعذاب والعقاب ؛ لأنّ الإنسان الدّاعي يحتاج في حركته إلى الرّحمة – لا إلى الشّدّة – لكي يجذب النّاس إلى الحقّ .

ونرى بأنّ الابتداء باسم الله لا يكون في الكلام فقط ، فالخطيب يبدأ بالبسملة ، وإنّما في الكتابة أيضًا كما في كتاب سليمان عليه السّلام إلى بلقيس ، وإذا أردت أن ترسل رسالة إلى شخص فابدأ بالبسملة .

وفي الدّعوة العالميّة نحتاج إلى الرّحمة ، فندعوهم إلى الله مقترنًا بالرحمة لا بالشّدّة ، ولو بدأ الدّاعي دعوته بالشّدّة والعقاب لما قبل النّاس الحقّ ، كما في حركة الإرهابيّين الّذين يواجهون النّاس بالشّدّة والقسوة من القتل والذّبح والنّحر والجلد ، وبعضهم يظنّ بأنّه بهذه الطّريقة يدعو إلى الله والحقّ ، والنّتيجة أنّ الناس لا يقبلون الإسلام ، وليس بهذه الأساليب الباطلة يدعو المسلم إلى الله تعالى .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ" [1] .

لا بدّ أن تقترن الدّعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، وعمل الإرهابيّين يؤدّي إلى تشويه الإسلام بدل ترغيب النّاس في الإسلام .

---

[1] النّحل : ١٢٥ .

ولا يبدأ الدّاعي بقول إذا لم تؤمنوا بالله فأنتم في نار جهنّم ، بل يقول إذا آمنتم بالله تدخلون إلى الجنّة ، حتّى في تربية الطّفل ، الطّفل في بدايات صلاته لا تقل له إذا لم تُصَلِّ فإنّ العذاب ينتظرك وتدخل إلى نار جهنّم ، فأنت من البداية بدأت بالشّدّة والعذاب ، لا بدّ أن تبدأ بالرّحمة ، تقول إذا أنت صَلَّيْتَ تدخل إلى الجنّة ،و غالبًا الدّعوات الدّينيّة فيها الابتداء بالعقاب ، إذا لم تفعل كذا تحصل على عقاب كذا ، لا بدّ أن نعكس الأمر ، ابدأ بطرح الأمور الّتي فيها الثّواب ، وهكذا تجذب النّاس إلى قبول الحقّ ، وأمّا إذا بدأت بالشّدّة والعقاب فإنّ النّاس ينفرون من الدّين ، فالأصل أن نبدأ بالرّحمة في الدّعوة إلى الله والدّين .

والنتيجة أنه نرى أنّ كلّ عمل سواء كان من الله تعالى أم من الخلق أم من جبرئيل أم من الأنبياء أم من عامّة الأفراد يجب أن يبدأ باسم الله عزّ وجلّ ، فيرتبط الإنسان بأيّ عمل يقوم به بالله تعالى الإله الخالق له ولكلّ ما في الكون ، ولا بدّ أن نعرف الصّفة المناسبة الّتي يجب أن تقترن بأيّ عمل ، فقبل البدء بأيّ عمل لا بدّ من اختيار الصّفات المناسبة لهذا العمل ، والقاعدة هي أنّ أيّ عمل نقوم به نأتي إلى اختيار الصّفات المناسبة لهذا العمل .

روي عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال : "كلّ أمرٍ ذي بالٍ لم يُذْكَرْ فيه اسمُ اللهِ فهو أَبْتَرُ" [1] .

---

[1] سفينة البحار للشّيخ عبّاس القميّ ، مادّة (سما) .

أَبْتَر أي مُنْقَطِع ، بمعنى أنّ هذا الأمر ينقطع وليس له بقاء وخلود واستمرار ، ولا يبقى له أثر أخرويّ ، حتّى العمل المباح إذا ارتبط بالله يُكْتَبُ له الخلود ويكون له الثّواب حينما تأتي بالعمل المباح قربةً إلى الله تعالى ، فبمجرّد ما يرتبط العمل بالله والله أزليّ أبديّ – فهذا العمل يكون له صفة الخلود ، ولأنّ الله ليس له نهاية ، فنتيجة هذا العمل ليس لها نهاية ، وسيحصل على نتيجة العمل في يوم القيامة ، بالإضافة إلى الآثار الّتي تترتّب على العمل في الدّنيا ، مثلًا إذا يَصِلُ الرّحم فصلة الأرحام تطيل في الأعمار وتزيد في الأرزاق ، فتوجد نتيجة دنيويّة أيضًا لبعض الأعمال ، بل قد يكون كلّ عمل له نتيجة دنيويّة ، ولكنّنا غافلون حتّى عن النّتائج الدّنيويّة ، فالّذي يقطع الرّحم لا يفكّر أنّه حتّى في الدّنيا يحصل على نتيجة لا فقط نتيجة أخرويّة ، بالإضافة إلى أنّ هذا العمل له استمراريّة ، تزور الرّحم فتحصل على نتيجة أخرويّة ، فعملك له صفة الخلود ، لذلك لا يشعر الإنسان بتعب حينما يزور رحمه ، ولا تقل إنّ بيته بعيد ، فمهما كان بعيدًا فإنّه يمكنك أن تقطع المسافة بالسّيّارة أو الطّائرة أو القطار ، إذن هذا العمل له استمرار ، وكل عمل تقوم به حاول أن تجعل له صفة الخلود بربطه بالله تعالى ، فتكون جميع أعمالك لها خلود واستمرار ونتيجة في الآخرة ، وحتّى المباح له نتيجة أخرويّة ، تشرب الماء قربةً إلى الله تعالى ، فتحصل على نتيجة أخرويّة ، طبعا الأعمال الّتي فيها قابليّة التّحويل إلى مستحبّات ، وبعض الأعمال لا يمكن تحويلها إلى

مستحبّات ، مثلًا شخص يدخّن يقول أدخّن قربةً إلى الله ، نقول إنّ التّدخين ليس فيه قابليّة التّحويل إلى مستحبّ ، هذا على فرض أنّ التّدخين مباح وليس بحرام بناءً على قاعدة الضّرر ، والضّرر ثابت طبّيًّا لأنّ التدخين مضرّ ولو على المدى البعيد ، والمدخّن الّذي يقول بأنّ التّدخين فيه فائدة نقول له قَدِّمِ السّيجارة لابنك فيقول لا ، وإذا سمع بأنّ ابنه يدخّن فلا يرضى ، فلا تقل فيه فائدة ، والضّرر الآن ضرر يقينيّ ، ومع وجود اليقين بالضّرر فالعمل يكون مُحَرَّمًا ، مثلًا الإنسان الّذي فيه مرض السّكّريّ يعلم أنّ السّكّر يضرّه فيحرم عليه أكل السّكّر ، وإذا أكل وضرّه فيكون قد ارتكب حرامًا ، وأصل أكل السّكّر مباح ، ولكن بالنّسبة لهذا الشّخص يكون محرّما ، ويحاول أن يستدلّ بأنّ بعض العلماء يدخّنون أو بعض النّاس يدخّنون وأعمارهم طويلة ، ولكن لا بدّ أن نرى صدره وأعضاءه الّتي تضعف بسبب التّدخين ، وبعض المدخّنين الّذين تركوا التّدخين لمدّة عشرين سنة حينما يأخذون أشعّة للصدر فصدره يظهر في الأشعة أسود اللّون ، إذن لا نبرّر لأنفسنا أعمالنا الخاطئة ، فمع وجود اليقين بالضّرر يصير العمل حرامًا ، ولا تقل فلان يدخّن وفلان يدخّن ، وقبل خمسين سنة كان أحد العلماء يدخّن ، لم يكونوا يعرفون أضرار التّدخين ، كانوا يظنّون أنّه مجرّد نفخ دخان ، ونسأل أنّ العالم لماذا يدخّن ؟

إن عالم الدّين لا بدّ أن يأتي بالأعمال الّتي تنبغي ويترك الأعمال الّتي لا تنبغي ، فهل التّدخين من الأعمال الّتي تنبغي أو لا تنبغي ؟!

ومن التّبريرات أنّ التّدخين ينشّط الذهن ، وهذا وهم يعيشه المدخّن لأجل تبرير عمله ، والإنسان كثيرًا ما يبرّر أفعاله ، ويقال بأنّ الإنسان ٩٠% من تفكيره يكون لتبرير أفعاله لنفسه أو للآخرين ، فحينما يقوم بعمل خاطئ يحاول أن يبرّر ، لا فقط أمام الآخرين ، بل حتّى لنفسه ، يقول إنّ هذا العمل الّذي قُمْتُ به كان مناسبًا ، أو أنّ هذا الشّخص يستحقّ أن أعامله بهذه الطّريقة ، لذلك لا بدّ أن تراقب أعمالك ، ولا تبرّر أعمالك الخاطئة ، ولا بدّ أن تقيس الأعمال بمنظار الشّرع ، هذا العمل صحيح وذاك خاطئ ، هذا واجب وذاك حرام ، مثلًا شخص لا يقوم لصلاة الصّبح يحاول أن يبرّر لنفسه مع أنّه كان سهران في اللّيل إلى الصباح ، أو أنّه قد كثّر من الأكل في اللّيل ، ونام قبل الأذان بوقت قليل ، فإذا لم يَقُمْ يبرّر لنفسه أنّه ماذا أفعل فالبارحة كنت معزومًا على عرس وأكثرت من الأكل الشّهيّ ونمت متأخّرًا ، أو من يعاني من مرض السّكّر حينما يذهب إلى عرس أيضًا يكثر من الطّعام مع أنّه يعلم بأنّ هذه الأطعمة تضرّه ، ولكن لا يمكنه أن يقاوم الطّعام اللّذيذ ، وفي اليوم التّالي يذهب إلى الطّبيب ، ولا بدّ أن يتحكّم الإنسان بما يأكل ، من ناحية الكمّيّة والكيفيّة ، فليس بالضّرورة أن يملأ معدته بالطّعام وبجميع أصناف الأكل ، والمعدة المملوءة بالطّعام الزّائد يحوّل الزّائد إلى شحوم ، ونسبة السّمنة في بعض البلدان مرتفعة جدًّا قد تصل إلى ٨٠% ، وحتّى الأطفال يعانون من السّمنة ، وهذه أمراض سيعاني

منها جيل المستقبل ، نعم البعض يسمن نتيجة خلل هرمونيّ ، هذا نتيجة لمرض ، وكلامنا ليس عن هؤلاء ، فكلامنا عن السّمنة الّتي تنتج من كثرة الطّعام ، وهذا مشكلته أنّ شهيّته مفتوحة ، وأحيانًا يجبرها على أن تكون مفتوحة ، فلا بدّ أن يتحكّم الإنسان بطعامه ، فليس بالضّرورة أن يملأ معدته بالطّعام إلى أن يصل إلى درجة لا يمكنه التّنفّس كما يحدث مع بعض الأشخاص ، والبعض يأكل ولا يمكنه القيام حتّى لغسل يده ، وهذه بعض الأمور نشير إليها من باب لفت الأنظار إليها .

إذن كلّ أمر ذي بال لم يُذْكَرْ فيه اسم الله فهو أبتر منقطع ولا يبقى له أثر أخرويّ .

سؤال : كيف يمكن لنا أن نستفيد من الاستعاذة فنقول : أَعُوذُ باللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ؟

الجواب :

الشّيطان عمله عالميّ ، فهو لا يترك أيّ إنسان بلا وسوسة ، فلا بدّ أن نُفَعِّلَ الاعتقاد بالله ليكون الله إلهًا عالميًّا ، وبالتّالي نكون في مواجهة الشّيطان ، فنستعيذ بالله من الشّيطان الرّجيم أي نتمسّك بالله بقوّة ، ويكون الإنسان مُتَمَسِّكًا بالله بقوّة عندما يصير إنسانًا صالحًا ، ويقوم بالأعمال الصالحة ، ويتمسّك بالأحكام الإلهيّة : الأحكام الفقهيّة العقائديّة ، والأحكام الفقهيّة الأخلاقيّة ، والأحكام الفقهيّة العمليّة ، لا فقط أن تأتي بالأعمال الخارجيّة ضمن الفقه

العمليّ ، أوّلًا لا بدّ أن تكون عندك العقائد الرّاسخة في نفسك ، فلا بدّ أن تعرف العقائد بشكل كافي .

مثلًا لو نسأل الآن : ما هي الأدلّة على عالميّة الإسلام ؟

كم شخصًا يمكنه أن يجيب على هذا السّؤال ؟

ونسأل : ما هي الأدلّة على وجود الله تعالى ؟

كم شخصًا يمكنه أن يجيب على هذا السّؤال ؟

لا بد أن نفكّر في جميع المواضيع ، لذلك ورد في الرّواية عن أبي عبدالله الصّادق عليه السّلام : تفكّر ساعة خير من عبادة سنة ، قال الله : **"إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُواْ الأَلْبَابِ"** [1] .

وذلك لأنّ النّتيجة الّتي تحصل عليها من تفكير ساعة أفضل من عبادة سنة بلا تفكّر ، فلا بدّ على الإنسان أن يتفكّر في أموره .

حينما تنتهي من صلاتك لا بدّ أن تتفكّر وتسأل نفسك : لماذا شَرَّعَ الله الصّلاة ؟ ما هي النّتيجة الّتي أحصل عليها من الصّلاة ؟ ما هي النّتيجة الّتي أحصل عليها من الصّيام لا فقط أن يكون الفكر طوال اليوم واللّيل مشغولًا بالطّعام والخادمة تدخل إلى المطبخ من الصّباح إلى اللّيل والمائدة مملوءة بأصناف الطّعام وألوان الشّراب مع أنّك لا تحتاج إلى كلّ هذا وخاصّة أنّ الصّائم حينما يأكل كم لقمة يشعر بالشّبع فيكون التّفكير مشغولًا بالطّعام فقط ؟

---

[1] تفسير العيّاشيّ ج٢ ص٢٠٨ ، والآية من سورة الرّعد : ١٩ .

يبدأ بالأذان والإقامة وينتهي من الصّلاة ثمّ يُسَبِّحُ تسبيح سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السّلام ، ويظلّ بعد الصّلاة على سجّادته لا يقوم منها بسرعة ، ويشغل نفسه بالتّفكير في جميع أموره ، يسأل نفسه : الآن أنا انتهيت من الصّلاة ماذا استفدت ؟

ومن المهمّ أن يسأل نفسه هذا السّؤال ، وهذا التّفكّر يجعله يستفيد من الصّلاة ومن غيرها من العبادات ، وهذا التّفكّر يجعله ينتهي عن الفحشاء والمنكر ، والإنسان الّذي يصلّي بسرعة ويقوم مباشرةً بعد الصّلاة لا يمكنه أن يستفيد من الصّلاة ، مثل الطّفل تفكيره مشغول بلعبة معيّنة ، ويريد أن ينتهي من الصّلاة بسرعة لأجل أن يذهب إلى لعبته بسرعة ، فيكبّر ويصلّي ركعةً واحدةً بدل ركعتين وركعتين بدل أربع ركعات لكي ينتهي بسرعة ، والمستغرَب من كبار السّنّ أنّهم في الصّلاة لا يأتون لا بالأذان ولا بالإقامة ولا يجلس بعد الصّلاة للتّفكّر ، ويقتصر على الواجبات لكي ينتهي من الصّلاة بسرعة ، ونسأل : ماذا تريد أن تفعل بعد الصّلاة ؟!

قد يكون كبيرًا في السّنّ ، ولكن تفكيره طفوليّ ، عنده شيء يريد أن يشغل نفسه به بعد الصّلاة ، والإنسان لا بدّ أن لا يظلّ تفكيره طفوليًّا إلى آخر عمره ، والطّفل حينما تقول له "الله" يتصور شخصًا كبيرًا في السّنّ فوق السحاب جالسًا على عرش ، والمفروض أنّ الإنسان الكبير في العمر لا يتصوّر هذا التّصوّر ، يتصوّر أنّ الله المحيط بالأشياء شخصًا عجوزًا كبيرًا محيطًا بالأرض ، وهذا التّفكير الطّفوليّ

يستمرّ معه ، والإنسان قادر على تصوّر الأشياء غير المادّيّة ، وليس بالضّرورة أن تحوّل الله في ذهنك إلى شيء مادّيّ ، يمكنك أن تتصوّر الله بصفاته المطلقة ، ذات الله لا يمكن تصوّرها ، ولكن يمكنك أن تتصوّر الرّحمة المطلقة والعلم المطلق الّذي لا حدّ له والقدرة المطلقة والحكمة المطلقة ، هذه الأمور المطلقة يمكن للإنسان أن يتصوّرها ، فالله عزّ وجلّ يمكن تصوّره عن طريق صفاته ، فالعلم ليس صفة مادّيّة ، والرّحمة ليست صفة مادّيّة ، نعم لهما آثار مادّيّة ، مثل الكهرباء أنت لا تراها بعينك ، ولكن لها آثار مادّيّة ، فالإضاءة أثر مادّيّ للكهرباء تراها بعينك .

إذن نتمسّك بالله تعالى عن طريق العقائد الصّحيحة ، والصّفات القلبيّة الصّالحة ، والأعمال الخارجيّة الصّالحة .

يقول القرآن الكريم في مواضع كثيرة : **"الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ"** .

"الإيمان بالله" عبارة عن عقيدة ، وهذه العقيدة تتحوّل إلى عمل صالح ، وفي الآيات القرآنيّة لا تطلب من الله أن تعمل صالحًا فقط ، بل تطلب أيضًا أن يجعلك الله من الصّالحين :

"وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عبادك الصَّالِحِينَ" [1] .

"تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ" [2] .

---

[1] النّمل : ١٩ .

[2] يوسف : ١٠١ .

"والَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ" [1] .

تريد أن تكون إنسانًا صالحًا ، والإنسان السّيّئ من الممكن أن يأتي بأعمال صالحة مع أنّه ليس صالحًا ، تجد إنسانًا سيِّئًا يصلّي ، ولكن لا يوجد للصّلاة تأثير على قلبه ، والإنسان الصّالح حينما يصلّي يكون للصلاة انعكاس على قلبه ، وبالتّالي هذا الانعكاس القلبيّ يؤثّر على عمله الخارجيّ ، وإنسان آخر يصلّي ، ولكنه يكذب ويفتري ، لم يَسْتَفِدْ من الصّلاة قلبيًّا ، وهذه الصّلاة لم تنهه عن الفحشاء والمنكر ، وطبعا التّورية أخت الكذب ، بعض النّاس يتعوّدون على التّورية ، ولكن هدفه حينما يستعمل التّورية هو أن الطّرف المقابل يفهم شيئًا خطأً ، وهذا نفس هدف الكذب ، فالكذب والتّورية يتشابهان في الهدف ، ويبدأ بتبرير عمله وأنّ هذه تورية والتّورية جائزة ، وتدريجيًّا يدخل إلى الكذب ، وأيضا يسمّيه تورية ، الإنسان لا يستعمل التّورية إلا للضّرورة القصوى ، كأن يكون هناك سيف مصلت على رأسه ، ولكن بعض النّاس تنقلب حياتهم إلى تورية ، وتدريجيًّا إلى أكاذيب ، ففي بعض الحالات يضطرّ إلى أن يكذب ، وعلى الإنسان أن لا يتعوّد على التّورية ؛ لأنّه حتمًا سيدخل إلى دائرة الكذب ، ويبرّر الكذب بأنّه تورية ، وأنّه ضرورة لكي لا أقع في الحرج ، وتبدأ عمليّة التبرير ، والإنسان دائمًا يبرّر أعماله ، وعلى الإنسان أن يكتسب النّفسيّة الصّالحة ، وتظهر

---

[1] العنكبوت : ٩ .

النّفسيّة الصّالحة في الموارد الحرجة ، مثلًا لو أنّ شخصًا يؤذيك ، فمباشرة تدعو عليه ، لا بدّ أن تراجع نفسيّتك قبل أن تقوم بأيّ عمل ، هل الأفضل أن تدعو عليه أو تدعو له ؟

الأفضل أن تدعو له بالهداية ، فإذا صار إنسانًا مهتديًا فإنّه لن يؤذي أحدًا ، وتنقلب القضيّة إلى قضيّة شخصيّة ، يؤذيني فأدعو عليه ، ولكن لو كان يؤذي غيره فلا يدعو عليه ، ويبرّر بأن لا شأن له به ، تدعو له بالهداية لتمنع أذيّته عن النّاس لا عنك فقط ، تدعو له لعلّ الله يصلحه بطريقة ما ، والأدعية بالهداية للآخرين أدعية مستجابة ، والله قد ينبّه هذا الإنسان في موقف ما لينتبه إلى نفسه ، فبعض النّاس يكونون غافلين ، والله ينبّههم ، مثلًا قد يموت لهم أحد الأعزّاء كأبيه ، فترى هذا الشّخص ينقلب ويتغيّر إلى شخص آخر ، كان غافلًا فينتبه ويلتفت إلى الله ، فموت أبيه صار لصالحه ، فالله ينبّه عباده بطريقة ما ، ودائمًا ادْعُ بالهداية للآخرين ، وحتّى أيّ عدوّ من أعداء الإسلام ، تارةً تدعو عليه ، وتارةً أخرى تدعو له بالهداية ، لو اهتدى وصار إنسانًا صالحًا فهذا لفائدة الدّين ولفائدة النّاس ، ودائمًا توجد نقطة أمل في نفس كلّ إنسان ، قد تزداد هذه النّقطة البيضاء بفضل دعائك ، ولا تقل إنّ دعائي لا ينفع ، فمن أنا لكي يستجيب الله دعائي ، إذا كانت نفسيّتك صالحةً وتدعو فالله يعطي قيمةً لهذا الدّعاء ، والبعض يقول إنّهم يقولون ادعوا بتعجيل الفرج ، يقول من أنا لكي أدعو بتعجيل الفرج ويستجيب الله دعائي ، من

الممكن أنّه بفضل دعائك يعجّل الله الفرج ، إذا كان الإنسان إنسانًا صالحًا ويدعو من قلبه أن يظهر الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشّريف وينشر العدل في العالم ، فبفضل هذا الإنسان الصّالح يستجيب الله دعاءه ، فيعجِّل الله الفرج ، والإنسان لا يستخفّ بالدّعاء ، وكثيرا ما نغفل عن أنّ الله قادر على كلّ شيء ، وعليم بكلّ شيء ، فحينما تدعو الله فلا بدّ أن يكون عندك الاعتقاد بأنّ الله بيده ملكوت السّماوات والأرض ، وبيده نَفَس كلّ إنسان ، وبيده قلب كلّ إنسان ، ليكن هذا الاعتقاد عندك حينما تدعو ، فتقول هذا ميؤوس منه فلماذا أدعو له بالهداية ، تدعو له بالهداية لعلّ الله يفتح في قلبه نورًا فيهتدي ، ترى بعض النّاس يرجعون إلى الحقّ ، وبعضهم يدخلون إلى الإسلام كبعض المسيحيّين ، وبعض الإرهابيّين يهتدون ويرجعون إلى الحقّ ، فإذا كنت تدعو عليه من البداية فيبقى على وضعه ، ولكن حينما تدعو له بالهداية فمن الممكن أنّ الله يجعل فيه قابليّة الهداية ، إذا كانت نفوسنا صالحةً فأدعيتنا ستكون أدعيةً صالحةً ، والدّعاء الّذي ينطلق من قلب صالح له قيمة عند الله ، لا تستخف بالدّعاء ، فالدّعاء يمكن أن يغيّر موازين القوى في العالم ؛ لأنّ الله قادر على كلّ شيء ، فإذا كنت إنسانًا مؤمنًا صالحًا وبعد الصّلاة تدعو بدعاء فالدّعاء بعد الصّلاة له قيمة أكبر من الدّعاء في الأوقات العاديّة .

عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال : إذا فرغ العبد من الصّلاة

ولم يسأل الله تعالى حاجته يقول الله تعالى لملائكته : انظروا إلى عبدي فقد أدّى فريضتي ولم يسأل حاجته منّي ، كأنّه قد استغنى عنّي ، خذوا صلاته فاضربوا بها وجهه [1] .

إذا انتهى من الصّلاة فالمفروض أنّ نفسيّته مهيّأة لأن يدعو ، استغل هذه الفرصة ، أنت صلّيت وقلت : "الله أكبر" ، والله يلتفت إلى المصلّي ، ارتبطت بالله أثناء الصّلاة ، والله يريد منك أن تدعوه وتطلب منه أمرا دنيويًّا أو أخرويًّا ، المؤمن يدعو الله لأجل الحصول على أمور دنيويّة ، المؤمن يدعو بكثرة المال ، ولكنّه ما دام أنّه إنسان صالح فإنّه يستغلّ المال في عمل الخير ، لذلك على الإنسان أن لا يغفل عن الدّعاء ، ولا يغفل عن أنّ الله بكلّ شيء عليم ، وأنّه على كلّ شيء قدير ، ومع هذا الاعتقاد أنت تدعو ، وإذا شخص لا يعتقد هذا الاعتقاد فدعاؤه يكون لقلقة لسان فقط ، ولا يكون من القلب ، الدّعاء في أصله لا بدّ أن يكون دعاءً قلبيًّا ، فقلبك يريد أن يدعو ، ثم يتحوّل هذا الدّعاء القلبيّ إلى ألفاظ على اللّسان ، وأمّا الإنسان الّذي قلبه لا يدعو فإنّ لسانه فقط يدعو ، مثلًا شخص يقرأ دعاء كميل وقلبه غافل ، وتفكيره كان منشغلًا بمواضيع أخرى ، فهو يقرأ ألفاظًا فقط ، القرآن ليس عبارة عن ألفاظ فقط ، لا بدّ أن تعرف المعاني .

وإذا قرأت القرآن ووصلت إلى محلّ فيه ذكر الجنّة فتدعو الله بأن

---

[1] بحار الأنوار ج٨٢ ص٣٢٥ ح١٨ .

يجعل لك الجنّة ، وإذا وصلت إلى محلّ فيه ذكر العذاب فتدعو الله بأن يبعدك عن العذاب .

عن حذيفة بن اليمان قال : صلّيت إلى جنب رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلّم ذات ليلة فاستفتح سورة البقرة ، فلمّا فرغ منها استفتح آل عمران ، فكان إذا أتى على آية فيها ذكر الجنّة أو النّار وقف فسأل أو تَعَوَّذَ [1] .

أنت تتفاعل مع القرآن ، لا أنّه يريد فقط أن يختم القرآن في شهر رمضان ، نعم هو خَتَمَ الألفاظ ، ولكنّه لم يختم المعاني ، لذلك قد تقرأ آيات قليلة خلال اليوم ، ولكنّك تتفاعل مع معانيها ، وتشعر بأنّ هذه الآيات تغيّر حياتك ، كم من الختمات يقرأها المسلم خلال شهر رمضان ، ولكن بعد نهاية الشّهر هذا الشّخص يظلّ على وضعه ولا يتغيّر شيء في حياته ؛ لأنّه يظنّ بأنّ المهمّ هو ختم ألفاظ القرآن الكريم ، ولا يلتفت إلى أنّ المهمّ هو ختم معاني القرآن ، والقرآن يقرأ من أجل المعاني لا من أجل الألفاظ فقط .

إذن نتمسّك بالله تعالى ، ونستعيذ بالله من الشّيطان الرجيم ، والشّيطان عمله عالميّ ، ونحتاج إلى مواجهة عالميّة معه ، والمواجهة العالميّة تكون بالاستعانة بالله تعالى ، وبدون الله لا يمكن مواجهة الشّيطان ؛ لأنّ الشّيطان يسري إلى جميع النّاس ، والآن عدد سكّان العالم تقريبا سبعة مليارات ، إبليس عنده شغل مع كلّ هؤلاء النّاس ،

---

[1] شرح معاني الآثار لأحمد بن محمّد بن سلمة ج١ ص٣٤٦ .

والمشاكل العالميّة كلّها من وسوسة الشيطان ، تجد الصّالحين قليلين ضمن هذا العالم ، وإبليس يسبّب الحروب بين البشر ، ويسبّب الفساد والقتل والإرهاب في العالم ، وهو سبب الفقر في العالم ، فإبليس يوسوس للغنيّ بأن لا يتصدّق على الفقراء ، وأيّها الغنيّ ليكن اسمك كأوّل غنيّ في العالم في موسوعة غينيس للأرقام العالميّة ، اشتر أكبر يخت في العالم ، كن مالكًا لأكبر ناطحة سحاب في العالم ، لتكن الأوّل دائمًا في الأمور الماديّة ، ولو يتصدّق الأغنياء على الفقراء لما ظلّ محتاج في العالم ، شخص يملك مئات المليارات ، وشعوب تعيش الفقر ، تجد دولة تحت أرضها الألماس ، ولكن شعبها يكابد الفقر ، تجد دولة فيها أنهار ، ولكن شعبها يعاني من الفقر ، والمفروض أنّه مع الماء والتّراب لا يعيش الإنسان الفقر ، فالموارد إمّا أنّهم لا يستفيدون منها ، أو طبقة من الرّأسماليّين يستغلون الموارد ، والنّاس لا يستفيدون شيئًا ، فتوجد وفرة في الإنتاج وسوء في التّوزيع .

لا بدّ أن نتمسّك بالله تعالى في محاربة الشّيطان الأكبر والشّياطين الصّغار ، بعض الدّول تقوم فيها ثورات ، ولكنّها ليست باسم الله ، وبعد الثّورة يرجعون إلى وضعهم السّابق ، والأقنعة تتغيّر ، كان فلان الأوّل هو الظالم ، وجاء فلان الثّاني فصار ظالمًا ، يذهب الظّالم الثّاني ويأتي الظّالم الثالث مكانه ؛ لأنّ العمل ليس لله ، الظّالم الثّاني يريد أن يأخذ الدّنيا من الظّالم الأول ، فيأخذ الدّنيا منه ، ويأتي الظّالم الثّالث ويأخذ الدّنيا من الظّالم الثّاني ، والأوضاع ترجع كما كانت مع

أنّه يوجد ضحايا قتلى وجرحى في الثّورة .

نتمسّك بالله تمسّكًا قويًّا في مواجهة الشّيطان وأتباعه ، ولا بدّ أن نعرف الشّيطان ، فإذا كنّا لا نعرف الشّيطان أو نغفل عن وجوده فالشّخص يظنّ أنّ هذه الفكرة فكرته ، ولكنّها في الواقع وسوسة شيطان وليست فكرته ، الشّيطان يرمي في ذهنك هذه الفكرة ، والإنسان يظنّ أن الفكرة فكرته ، ما دام أنّ العمل سيّئ فاعلم أنّه من الشّيطان ، لذلك توقّف وتفكّر ، مثلًا تَرَوْنَ أنّ الشّخص الّذي يغضب يريد مباشرة أن يثأر ، ردّة فعل مباشرة ، ولكن توقّف قليلًا لترى أنّ هذه الدعوة منك أو من الشّيطان ، والعمل السّيّئ يكون حتمًا من وسوسة الشّيطان ، والشّيطان معك منذ صغرك ، فيعرف مداخل ومخارج نفسك ، يعرف نقاط قوّتك ونقاط ضعفك ، ويعرف الأشياء الّتي تؤثّر فيك ، يعرفك جيّدًا ، يعرفك أكثر من معرفتك بنفسك ، أنت قد تغفل عن بعض الأشياء ، ولكن شيطانك ملتفت إليها جيّدًا ، ويستغلّها في الوقت المناسب ، شخص يحبّ المال ، فيأتي الشّيطان إليه من هذا الطّريق ، ويأتي إلى كلّ شخص عن طريق الأشياء الّتي يحبّها ويرغب إليها ، شخص يحبّ الشهرة فيأتي إليه من هذه الجهة ، شخص يحبّ الرّئاسة فيأتي إليه من هذا السّبيل ، فلا بدّ أن ننتبه إلى الأفكار الّتي تأتي في الذّهن ، وهذا الانتباه لا يفعله المسلم فقط ، بل أيضًا المسيحيّ واليهوديّ والبوذيّ ، والدّيانات الوضعيّة تعتقد بوجود الشّيطان ، لذلك يرسمون له صورة معيّنة ، حتّى

الملحد الّذي لا يعتقد بوجود الإله لا بدّ أن ينتبه ، يسمع الصّوت الدّاخلي الّذي يأتي إلى ذهنه ، هذه الوسوسة الّتي تدعوه للقيام بالأعمال ، لا بدّ أن يسأل نفسه : من أين يأتي هذا الصّوت ؟

أيّ إنسان في العالم حينما يريد أن يُقْدِمَ على أيّ عمل لا بدّ أن يسأل نفسه : هذا العمل سيّئ أو فيه خير ؟

وفي الشّرق والغرب يوجد أناس صالحون ، والمسلمون يظنّون أنّ جميع اليهود وجميع المسيحيّين وجميع النّاس في العالم سيّئون ، حتّى في الدّيانات الوضعيّة يوجد أفراد صالحون ، أنت أيّها المسلم ادْعُ لهم بالهداية ، هؤلاء حينما يعتقدون بأديانهم يعتقدون بأنّ دينهم هو الحقّ ، هو أيضًا يقول لماذا المسلمون يتمسّكون بدينهم مع أنّ دينهم دين الإرهاب ، هو يعتقد أنّه على حق مثلما أنت تعتقد أنّك على حق ، وحينما تطعن بالآلهة والرموز الموجودة عنده هو لا يرضى كما أنّه أنت لا ترضى بالطّعن بالله سبحانه ، ولا بدّ أن تدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالّتي هي أحسن كما هي وصيّة القرآن .

"ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" [1] .

ادخل معه في نقاش علميّ ، وهو سيتقبّل منك ، وأمّا إذا بدأت بالسّبّ والتّكفير وأنّه من أهل النّار فلن يقبل النّقاش ، فعن طريق النّقاش العلميّ تذهب إلى كتبه الّتي يعتمد عليها ، وتستخرج منها

---

[1] النّحل : ١٢٥ .

النّقاط الّتي تريد أن تناقشه فيها ، ولن يعارض النّقاش ؛ لأنّه يرى أنّك إنسان هادئ تريد أن تناقش ، وفي العالم يوجد أناس صالحون كثيرون .

وفي الدّعاء مرّة تقول : "اللهمّ اغْفِرْ للمؤمنين والمؤمنات" ، فدائرتك ضيّقة ، ويمكنك توسيع الدّائرة ، يمكنك أن تقول : "اللّهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والصّالحين والصّالحات واقْضِ حوائجهم واشْفِ مرضاهم واغْفِرْ لموتاهم" ، ويوجد في العالم أناس صالحون ، فدعاؤك يصير دعاءً عالميًّا ، تقول إنّ ديني عالميّ ، فدعاؤك لا بدّ أن يكون دعاءً عالميًّا .

تدعو للنّاس الصّالحين في العالم ، نعم هو ضمن دين معيّن لأنّه إنسان قاصر ، ولم يصل إليه الإسلام الصّحيح ، وصل إليه الإسلام المشوَه ، مثلما أنّك تسمع عن دين معيّن ، ولا يأتي في ذهنك احتمال أنّ هذا الدّين هو دين الحقّ ، هو أيضًا لا يأتي في ذهنه أنّ الإسلام المشوَّه هو دين الحقّ ، فهو يسمع عن المشاكل الكثيرة الموجودة بين المسلمين ، وكثرة القتل والإرهاب في بلدان المسلمين ، وهو يقول بأنّه لو كان الإسلام هو الدّين الحقّ لكان وضع المسلمين أفضل وضع في العالم ، ولكنّه يرى المشاكل الكثيرة عند المسلمين فلا يؤمن بالإسلام ، وهذا الإنسان إنسان قاصر لا مقصِّر ، فهو عند الله قاصر ، وهو إنسان صالح ، والله ينظر إلى الإنسان الصّالح ، لذلك يقضي الله له بعض الحوائج الّتي يطلبها ، مثلًا صلة الأرحام تزيد في

الأعمار والأرزاق حتّى لو لم يكونوا مسلمين ، فيحصلون على الآثار التّكوينيّة الدّنيويّة ، والله يعطيهم في الدّنيا ، وهذا الإنسان الصّالح حينما تدعو له فالله يستجيب الدّعاء ، ولكن لا نعرف كيفيّة استجابة الله للدّعاء ، إمّا أن يعطيه في الدّنيا وإمّا في الآخرة ، فلسنا نحن الصّالحين الوحيدين في العالم ، ويوجد أناس صالحون من الأديان الأخرى ، ونحن نرغب أن يصير جميع النّاس صالحين حتّى لو لم يكونوا على ديننا ، فإذا صار إنسانًا صالحا فخيره سيعمّ على جميع النّاس ، وهو لم يَصِرْ مسلمًا بسبب المسلمين ، والمسلمون لا بدّ أن يغيّروا أساليبهم مع النّاس ، لا نقول فقط : "المسلمون يدخلون الجنّة ، وباقي النّاس كلّهم في النّار" ، أنت لست وكيلا لله على الأرض ، نسألك أنت يا من تقول هذا القول : هل أنت تضمن لنفسك الجنّة ؟

أنت تجيب بأنّه لا يوجد عندي ضمان بأنّني من أهل الجنّة ، ولا أحد يضمن نفسه ، فإذا كنت لا تضمن لنفسك الجنّة فلا تدخل الآخرين في نار جهنّم ، هذه ليست مسئوليّتك ، ويقول الله تعالى لنبيّه صلّى الله عليه وآله :

"فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ" [1] .

"وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ

---

[1] الغاشية : ٢١-٢٢ .

بِوَكِيلٍ" [1] .

والحساب على الله ، لا تجعل نفسك وكيلَ الله على الأرض ، أنت لست وكيلًا لله ، فأنت لا تضمن لنفسك ، وحتّى النّبيّ صلّى الله عليه وآله بين يدي الله تعالى ، الله يفعل بنا جميعًا ما يشاء ، مثلًا هذا الإنسان المسيحيّ تقول عنه بأنّه من أهل النّار ، نسألك : وكيف علمت ذلك ؟! هل عندك يقين بأنّه من أصحاب النّار ؟!

حتما لا يوجد عندك يقين ، فأنت لا يوجد عندك يقين عن مصيرك فكيف يكون عندك يقين عن مصير الآخرين ؟!

فهذا المسيحيّ في واقعه قد يكون معتقدًا بالله تعالى ومُوَحِّدًا ، فليس جميع المسيحيّين يقولون بأنّ المسيح هو ابن الله ، فبعض المسيحيّين يعتقدون بأنّ المسيح نبيّ من الأنبياء ، ويوجد يهود ضدّ الصّهاينة ، ويعملون في مواجهة الصّهاينة أكثر من كثير من المسلمين ، هؤلاء حسابهم على الله تعالى .

إذن لا نُدْخِلُ النّاس إلى نار جهنّم ، ونقول : نحن المسلمين فقط ندخل إلى الجنّة ، والسّنيّ يقول : أهل السّنّة فقط يدخلون إلى الجنّة ، والشّيعيّ يقول : الشّيعة فقط يدخلون إلى الجنّة ، والوهّابيّ يقول : الوهابيّون فقط يدخلون إلى الجنّة ، وباقي النّاس كلّهم في نار جهنّم .

إنّ دعوتنا دعوة عالميّة ، وديننا دين عالميّ ، والله يحاسب كلّ إنسان لوحده ، يُحْشَرُ الإنسانُ فردًا ، فأنت حسابك لوحدك ، وهو

---

[1] الأنعام : ١٠٧ .

حسابه لوحده ، ولا يكفي أن يكون الإنسان مسلمًا بالاسم فقط ويقول : "أنا فقط سأدخل الجنّة لأنيّ مسلم" ، فأنت سيحاسبك الله كما يحاسب غيرك ، يحاسبك على أساس عقائدك وصفاتك القلبيّة وأعمالك الخارجيّة ، فما هي اعتقاداتك ؟ وما هي صفاتك القلبيّة ؟ هل نفسيّتك صالحة أو لا ؟ وما هي أعمالك الخارجيّة ؟ هل أعمالك متطابقة مع الشّرع الذي تعتقد به ؟

قد شخص اسمه شيعيّ من أتباع أهل البيت عليهم السّلام ، ولكن النّاس ضجّوا منه ، اسمه فقط شيعيّ ، وداخل البيت يؤذي زوجته وأولاده ، حتّى أهله وأقرباؤه متأذّون منه ، وعنده مشكلة مع أخيه ، ومشكلة مع ابن عمه ، وهو قاطع للرّحم ، عنده مشاكل مع كلّ من حوله ، قد يختلس الأموال ، لا يوجد عنده حلال وحرام ، المهمّ أن يجمع المال ، وهذا حينما يموت يقولون الحمد لله ارتحنا منه ، فهل نقول : هذا الشّخص من الشّيعة ومن عنده ولاية أهل البيت عليهم السّلام فهو من أهل الجنّة فهذا من أهل الجنّة ؟!!

وقد يكون شخص اسمه سنّي ، ويقوم بنفس الأعمال السابقة ، فهل نقول : إنّه مسلم سنّي وكلّ مسلم يدخل الجنّة فهو من أهل الجنّة ؟!!

لا ، ليس بهذه الكيفيّة ، والأسماء والألقاب ليس لها قيمة إذا لم تكن تعبِّر عن حقيقة الشّخص ، والله لا ينظر إلى الأسماء والألقاب ، أنت اسمك سنّي أو شيعيّ أو يهوديّ أو مسيحيّ أو بوذيّ ، لا ينظر

الله إلى كل ذلك ، وإنّما ينظر إلى حقيقتك من اعتقاداتك الحقيقيّة لا اللّسانيّة الظّاهريّة ، ومن صفاتك القلبيّة الّتي تتّصف بها واقعًا ، ومن أعمالك الخارجيّة ، وما هي نيّتك حينما أتيت بالعمل الخارجيّ ، وهذا البوذيّ هل هو قاصر أو مُقَصِّر ، وهذا علمه عند الله وأنت لا تعلم بحقيقته ، والإنسان القاصر يختلف حسابه عند الله عن الإنسان المُقَصِّر ، والله يعلم بأنّ هذا الإنسان قاصر أو مقصِّر ، وأنت لا تعلم بوضعه الواقعيّ ، وعلى العكس أنت تعلم بوجود الله وتقول بأنّك تعتقد به ، ومع ذلك أنت مقصِّر في أداء واجباتك ، قد تتغاضى عن بعض الواجبات ، وقد ترتكب بعض المحرّمات .

إذن لا قيمة للأسماء والألقاب عند الله تعالى ، والمهمّ هو حقيقة الإنسان وواقعه ، وفي عالمنا الله ينظر إلى حقيقة كلّ إنسان وقت الحساب ، قد يكون اسمه مسيحيّ ، ولكنّه في حقيقته مؤمن يعتقد بالله ويعتقد بالآخرة ويقوم بالأعمال الصّالحة ، فلا تهتمّ بالاسم واللّقب ، وإنما اهتم بما يعكسه هذا الاسم من حقيقة ، فتكون مسلمًا حقيقيًّا ، وواقعك هو الإسلام .

يقول تعالى :

"إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" [1] .

---

[1] البقرة : ٦٢ .

توجد ثلاثة شروط لقبول الإنسان عند الله : الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر والعمل الصّالح ، ومن يحقّق هذه الشّروط له مقام عالي عند الله ، مقام لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، والآية ذكرت أنّ الإنسان من أيّ دين كان بحسب ظاهره ، المهمّ أن يحقّق هذه الشّروط واقعًا ، فالنّظر يكون إلى واقع الإنسان لا اسمه ولقبه الظّاهريّ ، ومن يعتقد بالله وبالآخرة حقيقةً وينعكس ذلك على حياته فإنّه يكون إنسانًا صالحًا ، وإذا صار صالحًا فإنّه يأتي بالأعمال الصّالحة ، والآية لا تتحدّث عن المسلمين فقط ، وسيأتي بحث عن "الحساب في القرآن" ، ويتبيّن أنّه لا فقط بعض المسلمين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وإنّما هناك طائفة من اليهود وطائفة من المسيحيّين وطائفة من الصّابئين ، وقد توجد طائفة من أصحاب الأديان الوضعيّة كالبوذيّين إذا كانوا قاصرين ، فجميعهم يدخلون الجنّة ، وسيأتي معنى القاصر والمقصِّر حينما نذكر أصناف النّاس .

والأصل عند الله هو الرّحمة ، وما يتناسب مع الرّحمة هو دخول أكثر النّاس إلى الجنّة ، لا أنّ أكثر النّاس يدخلون إلى النّار ، والله عزّ وجلّ حسابه دقيق ، لذلك لا نتعامل مع النّاس أنّهم كلّهم إلى نار جهنّم ، ودعوة الإسلام دعوة الرّحمة ، فتدعوهم إلى الدّين عن طريق الرحمة ، حتّى أن إبليس يوم القيامة يطمع في رحمة الله ؛ لأنّه يرى أنّ الله يحاسب النّاس على أساس الرّحمة .

عن الإمام الصّادق عليه السّلام : إذا كان يوم القيامة نشر الله

تبارك وتعالى رحمته حتّى يطمع إبليس في رحمته [1] .

والحمدلله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

---

[1] الأمالي للشّيخ الصّدوق ص٢٧٣ ح٢ .

عالميّة الإسلام

(١٨)

كيف يستفيد الإنسان من اسم الله ؟ [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمدلله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

أخذنا الاستعاذة ، وكان الكلام في البسملة ، ووصلنا إلى "**بِسْمِ اللهِ**" ، وفي الرّواية أنّ كلّ عمل لا يبدأ باسم الله فهو أَبْتَر ، أَبْتَر معناه مقطوع ، أي ليس له خلود ، والعمل الّذي يكون مقترنًا باسم الله يُكْتَبُ له الخلود لأنّ له أثرًا أخرويًّا ، وأمّا بدون الاقتران باسم الله فالعمل ينتهي ، ولا يستمرّ ، ولا يبقى له أثر ، فبمجرّد ما ينتهي الشّخص من العمل فعمله لا يبقى له أثر أخرويّ ، وأمّا مع الاقتران باسم الله فالعمل له بقاء وخلود واستمراريّة .

ويأتي السؤال التالي :

كيف يستفيد الإنسان من اسم الله ؟

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ٢٤ شعبان ١٤٣٩ هـ الموافق ٢٠١٨/٥/١١ م .

المقصود من الإنسان هو أيّ إنسان لا خصوص المسلم ، والمقصود من الله هو الإله الخالق للكون ، والموضوع موضوع عامّ ، ولا يختصّ بالمسلمين ، فأيّ إنسان يعتقد بوجود خالق للكون كيف يمكن له الاستفادة من اسم هذا الخالق ؟

الجواب :

ليس المراد من البدء في أيّ عمل باسم الله هو جريان الألفاظ على اللّسان فقط أي يقول اللّسان "**بِسْمِ اللهِ**" ؛ لأنّ الألفاظ لوحدها لا تفتح أبواب الخير ، ولا تحلّ المشاكل ، ولا تُتِمُّ العمل ، وإنّما المراد حينما ينطق الإنسان باسم الإله الخالق للكون هو تَخَلُّقُ الإنسان بهذا الاسم ، فمفهوم "**بِسْمِ اللهِ**" يجب أن يرتكز في قلب الإنسان وروحه وباطنه ، وعندما يتلفّظ بهذا الاسم لا بدّ أن يشعر أنّه قد دخل في حمى الله عزّ وجلّ ، كأنّه يوجد سور وهو الآن دخل وراء السور ، ويكون تحت حماية الله تعالى ، ويكون مستعينًا بالله ، ويبدأ باستمداد القوّة من الله ، هذه القوّة الّتي تجعله يُكْمِلُ العمل الّذي بدأ به ؛ لأنّه يعرف أنّ العمل الّذي بدأ به والّذي يكون مقترنًا باسم الله سيكون له بقاء واستمرار وخلود ، وأنّه لن يكون أَبْتَرَ مقطوعَ الآخِر منتهيًا منقطعًا ؛ لأنّه سيكون له أثر أخرويّ ، وهذه الأمور لا تحقّقها الألفاظ لوحدها ، مثلًا لو كان شخص نائمًا وقال "**بِسْمِ اللهِ**" ، هذه البسملة مجرّد ألفاظ لا تُعَبِّرُ عن شيء ، ولا تُعَبِّرُ عن ما هو موجود في قلب هذا الشّخص ، فقط ألفاظ جرت على اللّسان بلا معاني .

نلاحظ في كثير من الأحيان أنّ بعض الشباب يَبْدَءُونَ بمشروع دينيّ كجلسة أو عمل معيّن ، وفي أوّل عملهم يَبْدَءُونَ بحماس ، وبعد مرور أشهر نرى أنّ هذا الحماس يقلّ عندهم ، فما هو السّبب ؟

السّبب هو أنّ نظرهم يكون إلى نفس العمل ، لا العمل المقترِن باسم الله ، فالإنسان الّذي يرتبط بالله لا يقلّ الحماس عنده ، ولكنّه ينسى الله ويغفل عنه حتّى لو أنّه كان في بداية العمل وقال : "أعمل قربة إلى الله" ، هذا القول مجرّد ألفاظ على اللّسان ، ففي البداية يكونون ملتفتين إلى الله ، ولكن بعد فترة من الزّمن هذا الالتفات ينقطع ، ويغفلون عن اسم الله ، ويبدأ انهماكهم بنفس العمل فقط ، فينظرون إلى نتائج عملهم ، ويرون أنّ النّتائج قليلة ، فيقلّ عندهم الحماس ، والأثر الّذي يريدونه قد لا يتحقّق إلّا بعد مرور سنوات ، والإنسان بطبعه عجول ، ويريد الحصول على النّتيجة بسرعة ، فيغفل عن اسم الله ، ولو كان الإنسان ملتفتًا إلى ارتباط هذا العمل باسم الله فمن الطّبيعي أن لا يقلّ حماسه ، ويستمرّ في عمله بحماس دائم ، والنّظر لا يكون إلى نتيجة العمل ، وإنّما النظر يكون إلى العمل المقترِن باسم الله ، فلا يهمّ أنّك حقّقت النّتيجة الخارجيّة أو لم تحقّق النّتيجة الخارجيّة ، عملك خالد عند الله حتّى لو لم تتحقّق النّتيجة الخارجيّة ، والمفروض أنّ الحماس يستمرّ معك ، ولا يثبّط الإنسان العامل تأثّر أشخاص قليلين بالعمل ، ولا يقلّ حماسه لهذا السّبب ؛ لأنّ نظره يكون إلى الله ، والإنسان دائما يريد الحصول على النّتائج السّريعة ،

إذا لم يلتفت إلى الله فإنّه يطلب الأثر السّريع ، ولكن نتائج الأعمال عادةً لا يحصل عليها الإنسان بسرعة ، مثلًا الإنسان الّذي يدخل التّجارة لا يمكن أن يربح من أوّل شهر ، قد تستمرّ الخسائر معه لمدّة سنة أو سنتين ، وبعد ذلك تبدأ الأرباح ، وهو يريد الحصول على الأرباح بسرعة ، والإنسان يريد النّتائج سريعًا ، يريد استجابة النّاس أو نتيجة العمل بشكل سريع ، ولكن حينما يرتبط الإنسان بالإله الخالق فإنّه يعلم أنّ عمله خالد مهما كانت النّتائج ومهما كان عدد الأشخاص المتأثّرين بالعمل ، فلا يثبّطه عدم الحصول على النّتائج السّريعة ولا يقلّ حماسه بل يستمرّ في عمله لأنّه تحت نظر الله تعالى .

الإنسان حينما يدعو الله تعالى لا بدّ أوّلًا أن يكون القلب هو الدّاعي ، وبعد ذلك كلام القلب يترجم عن طريق الألفاظ ، حينما تدعو لا بدّ أن يكون قلبك من يدعو أوّلًا ، لا أنّك تنطق بألفاظ فقط ، هذا الكلام القلبيّ يتحوّل إلى ألفاظ على اللّسان ، كثير من النّاس يقولون يا الله ، ولكنّهم لا يلتفتون إلى المعنى ، يكون لسانه متعوّدًا على قول يا الله ، أو يقول "**بِسْمِ اللهِ**" بدون الالتفات إلى معنى هذا القول ، أوّلًا لا بدّ أن يكون القلب هو الدّاعي ، ثم تحوّل هذا الكلام القلبيّ إلى كلام لسانيّ وألفاظ على اللّسان ، لا أنّ الإنسان يقرأ القرآن أو يقرأ الدّعاء وهو غافل عن المعاني ، فيقرأ الدعاء وهو غافل ساهي ، والألفاظ بحدّ ذاتها لا تحدث أثرًا ، مثلًا شخص يقرأ دعاء كميل ، يستغرق مدّة نصف ساعة ، ولكنّه يقرأ وهو غير

ملتفت إلى جميع المعاني ، يكرّر الألفاظ وذهنه مشغول بمواضيع أخرى ، هذه الألفاظ لا تُحْدِثُ أثرًا للإنسان ، فالأثر لا يترتّب على مجرّد الألفاظ ، نعم الألفاظ تُحْدِثُ أثرًا إذا كانت انعكاسًا لما هو موجود في قلب الإنسان ، فلا بدّ أن نلتفت دائمًا حينما نريد أن ندعو الله تعالى ، أوّلًا لا بدّ أن يكون عندنا حديث قلبيّ ، أنت تريد حاجة من الله فأوّلًا لا بدّ أن تكون الحاجة حقيقيّة ، والحاجة تبدأ من القلب ، فالحاجة قلبيّة في مبدئها ، وبعد ذلك تحوّل هذه الحاجة القلبيّة إلى ألفاظ تجري على اللّسان ، هذا الدعاء يكون له قيمة ، فيرتبط باسم الله أي أوّلًا يكون الارتباط ارتباطًا قلبيًّا بالله تعالى .

مثلًا طالب يريد أن ينجح في المدرسة ، هو عنده حاجة حقيقيّة ، وقلبه يريد تحقّق هذه الحاجة في الخارج ، فيتوجّه بالدّعاء : "اللهمّ نجّحني" ، هذا الدّعاء دعاء حقيقيّ ؛ لأنّه يعبر عن حاجة حقيقيّة ، وهو ملتفت إلى الكلام القلبيّ والحاجة النّفسيّة الموجودة عنده .

والمصلّي في القنوت يرفع يديه ويبدأ بالدّعاء ، ولكن ذهنه في مكان آخر ، هو حافظ لهذه الألفاظ ويكرّرها في القنوت ، وكثيرًا ما يقرأ هذا الدّعاء ، "لا إله إلّا الله الحليم الكريم ، لا إله إلّا الله العليّ العظيم ، سبحان الله ربّ السّماوات السّبع وربّ الأرضين السّبع ، وما فيهن وما بينهن وربّ العرش العظيم" ، هي ألفاظ تجري على اللّسان وهو غير ملتفت إلى المعاني ، وهذه الألفاظ لا تعبّر عما هو موجود في قلبه ، مجرّد ألفاظ على اللّسان .

والشّخص قد يدخل إلى الصلاة ويستمرّ من أوّلها إلى آخرها ويأتي بالألفاظ فقط والقلب غافل ساهي ، هذه الصّلاة لا تُحْدِثُ أثرًا في النّفس ، حينما يُقْدِمُ على الصّلاة أوّلًا لا بدّ أن يكون قلبه هو المصلّي ، والصّلاة في أصلها قلبيّة ، وبعد ذلك يدخل إلى الصّلاة الخارجيّة ، وهذه الحالة القلبيّة تتحوّل إلى ألفاظ ، فحينما يقول : "الله أكبر" ، هل هو يعتقد فعلًا أنّ الله أكبر ؟

إذا كانت عنده مشكلة ييأس من حلّها ، إذا كان يعتقد أنّ الله أكبر فكيف يكون يائسًا من حلّ مشكلته ؟!!

المفروض أن لا يكون من اليائسين إذا كان اعتقاده حقيقيًّا ، والإنسان الّذي يشعر باليأس فمعنى ذلك أنّه لا يعتقد أنّ الله أكبر ، وإذا يقول : "الله أكبر" فالمفروض أن لا يكون من الغافلين .

وإذا كانت عنده حاجة من فلان فهو يعتقد أنّ فلانًا هو الأكبر ، ويغفل عن الله ، نعم تستعين بالأسباب ، ولكن لا تَنْسَ المسبِّب وهو الله تعالى ، ولا بدّ أن تلتفت إلى مسبِّب الأسباب ، حينما تقوم بأيّ عمل هل تعتقد أنّ الله أكبر أو لا ؟

إذا كان قلبك يشعر بأنّ الله أكبر فحينما تقول : "الله أكبر" فأنت تعبّر عن حالة قلبيّة موجودة عندك ، وكذلك في جميع الألفاظ اللسانيّة ، فقلبك أوّلًا لا بدّ أن يقول : "الله أكبر" ، فتدخل إلى الصّلاة تعبيرًا عن قلبك فتقول بلسانك : "الله أكبر" ، لا فقط ألفاظ وحروف .

والمسلمون يتعاملون مع الصّلاة على أنّها أقوال وأفعال ، يقومون بحركات معيّنة مع أقوال معيّنة ، على أساس الفقه العمليّ ، ولا يلتفتون إلى الفقه العقائديّ وارتباط هذا العمل بالله ، ولا يلتفتون إلى الفقه الأخلاقيّ والحالة القلبيّة ، يقتصرون فقط على الفقه العمليّ دون الفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ ، يقول : "أَنَا صَلَّيْتُ" ، يذهب إلى صلاة الجماعة في المسجد ويقول : "أَنَا صَلَّيْتُ" ، ولا يلتفت إلى الجماعة ، ولا توجد عنده علاقة ارتباط مع الجماعة ، فتصير صلاته فرديّة مع أنّه ضمن الجماعة ، فالمطلوب أوّلًا الحالة القلبيّة ، ثم نُحَوِّلُ هذه الحالة القلبيّة إلى ألفاظ .

وفي الإنستغرام تدخل على بعض الصّفحات وأنت تعرف أنّ صاحب هذه الصّفحة رجل غير ملتزم دينيًّا أو امرأة غير ملتزمة دينيّا ، وتلاحظون أنّهم يضعون لوحات فيها أسماء الله تعالى ، وأنت تعلم أنّ هذه اللّوحات لا تعبّر عن حالة هذا الإنسان ، ويضع لوحة فيها صباح الخير مع مجموعة من الكلمات ، وتعلم أنّ هذا الإنسان مثلًا يختلس الأموال ، فيكتب : "الغشّ حرام والله لا يرضى عن الّذي يغشّ المسلمين ويختلس الأموال العامّة" ، أو تعلم أنّ هذا الإنسان كثير الكذب ، ويكتب : "الكذب حرام" ، تعلم أنّ هذه الصّورة لا تعبّر عن حالة هذا الإنسان ، والله عزّ وجلّ يعلم بحالة كلّ شخص منّا ، وحينما يقول الكلمة هل هو صادق في كلامه أو لا .

والله يعلم بحالته القلبيّة ، ويسمع أقواله ، فيعلم أنّه صادق حينما

تتطابق ألفاظه مع حالته القلبيّة ، ويعلم أنّه كاذب حينما تخالف أقواله حالته القلبيّة ، ولا بدّ أن تكون الألفاظ متطابقةً مع الحالة القلبيّة للإنسان لكي يكون صادقًا في كلامه ، وإذا كانت الألفاظ لا تعبّر عن الحالة القلبيّة فالله يقول عنه إنّه كاذب ، وكذلك الصّلاة الّتي لا تعبّر عن الحالة القلبيّة لا تكون مقبولة .

عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله : إنّ من الصّلاة لما يُقْبَلُ نصفها وثلثها وربعها وخمسها إلى العشر ، وإنّ منها لما يُلَفُّ كما يُلَفُّ الثّوبُ الخَلِقُ فَيُضْرَبُ بها وَجْهُ صَاحِبِهَا ، وإنّما لك من صلاتك ما أقبلت عليه بقلبك [1] .

هو كان يأتي بركعات وألفاظ لم تكن معبِّرة عن واقعه القلبيّ ، لذلك هذه الصّلاة لا تنهاه عن الفحشاء والمنكر ؛ لأنّها مجرّد ألفاظ على اللّسان ، ولا يتكامل بواسطة هذه الصّلاة ، فقط كلمات ينطق بها ، مثلًا يشرب الخمر ويصلّي حينما يفيق من سكره ، هذه الصّلاة لا تنهاه عن المنكر ، فهو يُقْدِمُ على الصّلاة ويظنّ بأنّ الصّلاة المطلوبة هي الصّلاة التي تحتوي على ركعات وأقوال فقط دون أن تكون عاكسة لما في القلب ، فحالته القلبيّة أنّه يريد ارتكاب المعاصي ، وفي الصّلاة يقول : "أستغفر الله ربّي وأتوب إليه" ، فالله عزّ وجلّ يقول له أنت كاذب ، لو كنت تستغفر وتتوب ما كنت تعود إلى ارتكاب المعصية مرّة أخرى .

---

[1] بحار الأنوار ج٨١ ص٢٦٠ ح٥٩ .

ونلتفت إلى أنّه إذا أردنا أن نُقْدِمَ على أيّ عمل دينيّ يرتبط باسم الله لا بدّ أن نكون صادقين في كلماتنا إذا كانت هذه الكلمات تعبّر عن الحالة القلبيّة الموجودة عندنا ، لا بدّ أن نلتفت إلى هذا الأمر المهمّ ، فإذا تطابقت الألفاظ مع الحالة القلبيّة فهذا الإنسان يكون صادقًا ، والله يعلم بأنّه صادق ، وإذا لم تتطابق فهو كاذب ، وهو نفسه يعلم بأنّه كاذب ، والله يعلم بأنّه كاذب ، نعم قد يمدحه النّاس لأنّهم لا يعلمون واقعه ، فيقولون عنه إنّه نعم المؤمن ، ليس المهمّ فقط سمعة الإنسان عند النّاس ، أهمّ شيء سمعتك عند الله ، وصورتك القلبيّة أمام الله ، وقد يمدحه النّاس ، ولكن صورته القلبيّة مُشَوَّهَة أمام الله ، ماذا يفعل في خلواته ، والله مُطَّلِعٌ عليه في خلواته ، بل الله مطّلع على نيّة الإنسان ، فأمام النّاس يُقْدِمُ على العمل الدّينيّ ، ولكن المهمّ ما هي نيّته من أداء هذا العمل ؟ وما هو هدفه الّذي يريد أن يصل إليه ؟

يريد أن يكون رئيس الجماعة مثلًا ، يريد وجاهةً اجتماعيّةً ، يريد أن يستفيد من الأموال الّتي تحت يده ، فيستغلّ المنصب لأجل الوصول إلى مآرب وغايات أخرى ، مع أنّه أمام النّاس يؤدّي عملًا خَيِّرًا ، ولكنّه أمام الله يؤدّي عملًا سيّئًا .

إذن حالة التّطابق بين الألفاظ وبين الحالة القلبيّة للإنسان مهمّة جدًّا ، فحينما ينطق بألفاظ معيّنة ويقول باسم الله وأتقرّب بهذا العمل إلى الله فالله يعلم أنّه صادق في كلامه أو كاذب ، يحصل على ثواب

أو لا يحصل على ثواب ، يرضى الله عنه أو لا يرضى ، كلّ ذلك يكون على أساس الحالة القلبيّة الموجودة عنده ، هذا الأمر لا بدّ من أن يلتفت إليه الإنسان ، لا أن نتعامل مع الأعمال على أساس الألفاظ ، يدخل إلى شهر رمضان ويقول : "أصوم قربةً إلى الله" ، هذا التّقرّب إلى الله له مسئوليّات وحساب ، هل فعلًا يصوم قربةً إلى الله تعالى ؟

إذا كان كذلك فلا بدّ أن يراعي حرمة هذا الشّهر ، فتوجد أعمال خاصّة بهذا الشّهر ، ولا بد أن يعرف هذه الأعمال ، توجد أعمال خارجيّة كالامتناع عن الطّعام والشراب وباقي المفطّرات ، وتوجد أعمال قلبيّة ، والقرآن الكريم يقول :

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" [1] .

إنّ التّقوى حالة قلبيّة ، وليست عملًا خارجيًّا ، هو يريد أن يصل من خلال الصّيام إلى حالة التّقوى ، والتّقوى عبارة عن مراقبة الله في الخلوات ، فهو في خلواته ماذا يفعل ؟

بالنّسبة للإنسان المتّقي لا يفرق عنده بين أن يكون بين النّاس وبين أن يكون لوحده في غرفة معزولة ، يكون الله تحت نظره دائمًا ، وهو يعلم أنّه تحت نظر الله ، فلا يفرق بين أن يكون أمام النّاس وبين أن يكون خلف النّاس ، فهو يريد أن يصل إلى حالة التّقوى ، وحالة

---

[1] البقرة : ١٨٣ .

التّقوى تفرض عليه أن يراقب الله في جميع أعماله ، سواء اطَّلَعَ عليه النّاس أم لم يَطَّلِعُوا عليه ، فما دام أنّ العمل مقترن بالله فيكون نظره إلى الله ، وحالتك القلبيّة لا بدّ من أن تعبّر عن الحالة الواقعيّة الموجودة عندك ، فتكون هذه هي حالتك الواقعيّة ، وأنت تعلم بأنّ هذه هي حالتك الواقعيّة .

"بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ" [1] .

شخص يعتذر أمام النّاس ، ولكن حالته القلبيّة الحقيقيّة الله يعلم بها ، وعلم الله يجري على جميع النّاس ، فالله يعلم بالحالة القلبيّة لكلّ إنسان ، والله مطّلع على نيّات جميع النّاس ، حتّى الإنسان غير المسلم حينما يقوم بأيّ عمل لماذا يقوم بهذا العمل ؟

إذا كان إنسانًا صالحًا فهو يقوم بالعمل ويريد الخير للنّاس ، والله يعلم بنيّته الصالحة ، أو يقوم بهذا العمل يريد الشّهرة ، والله يعلم بدافعه إلى العمل ، وإذا كان إنسانًا صالحًا فإنّ الله يُثِيبُهُ في الدّنيا أو في الآخرة ، ويعطيه نتيجةً بسبب صلاحه ، لا فقط أنّ المسلم إنسان صالح ، يوجد شخص من الأديان الأخرى أو لا يعتقد بوجود الإله ويكون إنسانًا صالحًا يريد الخير للنّاس ، مع أنّه لا يوجد إنسان لا يعتقد بوجود الإله وإن كان يقول بلسانه إنّه لا يعتقد ، نعم يقول أحتمل احتمالًا كبيرًا أنّه لا يوجد إله خالق لهذا الكون ، ولكن في قرارة نفسه يعتقد ، لذلك حينما يصاب ابنه بمرض ميئوس من علاجه

---

[1] القيامة : ١٤-١٥ .

فهو لا ييأس ، يشعر بوجود قوّة خفيّة يمكن أن تشفي هذا الولد ، هذا الشّعور هو الارتباط بالإله ، فهو في قرارة نفسه يعيش هذا الارتباط ؛ لأنّ هذا الارتباط أمر فطريّ عند كلّ إنسان ولو كان يقول بلسانه لا أعتقد ، هذا مجرّد كلام ، فإذا أصيب بمصيبة فهو يعتقد بوجود قوّة يمكن أن تشفي المريض ويحلّ المشكلة ، ففي قرارة نفسه يعتقد بوجود إله خالق للكون ، والملحدون اليوم يقولون بأنّ الاحتمال الأكبر هو عدم وجود إله خالق للكون ، هو يُسَمَّى ملحدًا ، ولكنّه في الواقع ليس ملحدًا ، هو يقول لا يوجد عندي دليل على وجود الإله ، فالاحتمال الأكبر أنّه لا يوجد إله ، ولكن لو نظر إلى السّماء والأرض فإنّه يجد آيات كثيرة تدل على وجود خالق لهذا الكون ، ولو نظر إلى نفسه فإن الاتّساق والتّناسق الموجود في جسده يدلّ على وجود خالق ، الخلايا تتجمّع فيتكوّن القلب ، ونفس الخلايا تتجمّع فتتكوّن الكُلْيَة ، ونفس الخلايا تتجمّع فيتكون الكبد ، هذا التّنوّع من أين يأتي مع أنّ الخليّة هي الخليّة وتتجمّع الخلايا فتكوّن عضوًا معيَّنا وتتجمّع وتكوّن عضوًا آخر ؟

وهذا يدلّ على وجود إشراف من جهة خارجيّة على هذا التّجمّع بحيث يتكوّن القلب أو الكلية أو الكبد ، ولا يمكن أن يكون بلا مُوَجِّه خارجيّ .

الخليّة الحيّة من أين أتت ؟ هل تحوّلت من جماد إلى خليّة حيّة ؟ هذا التحوّل كيف يمكن أن يحدث ؟

الشّيء الّذي يكون في درجة أدنى لا يمكن أن يُنْتِجَ شيئًا أعلى منه في مرتبة الوجود ، وهذه قاعدة عقليّة ، ما يكون أقلّ درجة في سلّم الوجود لا يمكن أن يُنْتِجَ شيئًا أعلى منه درجةً ؛ لأنّ فاقد الشّيء لا يعطيه ، وهذه إشارة إلى القول بانتقال نوع إلى نوع آخر أرقى كما في نظريّة التطور ، فنقول إنّ هذا مستحيل ، فهل الأنواع تطوّرت ؟!

حينما نأتي إلى نظرية التّطوّر لداروين نطرح هذه النّقطة بالتّفصيل ، وعلى فرض صحّة النّظريّة فإنّه لا يمكن الانتقال من نوع إلى نوع أرقى إلّا بإشراف وتوجيه خارجيّ ، فلا نقول "نظريّة التّطوّر" ، بل نقول "نظريّة التّطوير" ، فالإله الموجِّه الخارجيّ هو الّذي يُطَوِّرُ وينقل نوعًا إلى نوع آخر أرقى ، فتكون عندنا "نظريّة التّطوير" لا "نظريّة التّطوّر" على فرض صحّة نظريّة تطوّر الأنواع .

خلاصة الكلام :

لا بدّ من أن يلتفت الإنسان إلى قلبه أوّلًا ، وحينما يريد أن يُقْدِمَ على أيّ عمل خارجيّ فأوّلًا لا بدّ أن يرتبط قلبه بالإله ، وثانيًا يأتي بالألفاظ فيقول : "أقوم بهذا العمل قربةً إلى هذا الإله الخالق" ، فالحالة القلبيّة مهمّة جدًّا بالنّسبة للإنسان ، لذلك قلبك ونفسك لا بدّ من أن تكون تحت الرّقابة الدّائمة ؛ لكي لا تطغى ولا تخرج عن طورها ، التفت دائمًا إلى قلبك ، وأيّ عمل تبدأ به لا بدّ أن تسأل نفسك : ما هو التّأثير القلبيّ عليّ من هذا العمل ؟

ولا تسأل فقط : ما هو العمل الخارجيّ وما هي النّتيجة الخارجيّة المترتّبة على هذا العمل ؟

اسْـأَلْ : هـل قلبي تأثّـر بهـذا العمـل أو لا ؟ ومـا هـو هـذا التّـأثير القلبيّ ؟ ماذا نَتَجَ في نفسي ؟ هل حصل لي تكامل أو تسافل ؟

الإنسان الّذي يصلّي مع الرّياء يحصل عنده حالة التّسافل ، والّذي يصلّي مخلصًا يحصل على التّكامل ، فنفس العمل بما هو عمل لا ينتج التّكامل ، فالصّلاة عمود الدّين ، ولكن مع ذلك قد يتسافل الإنسان من خلال صلاته حينما يؤدّيها رياءً .

روي عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال : "كلّ أمرٍ ذي بالٍ لم يُذْكَرْ فيه اسمُ اللهِ فهو أَبْتَرُ" [1] .

أي ليس له أثر ، ولا له خلود ، والإنسان يريد من كلّ عمل يقوم به أن يكون له أثر أخرويّ ، والأثر الأخرويّ مرتبط بحالتك القلبيّة لا بالعمل الخارجيّ لوحده ، العمل الخارجيّ إذا كان مقترنًا باسم الله ومعبِّرًا عن حالتك القلبيّة فهذا العمل تحصل عليه الثّواب ، وأمّا مجرّد الألفاظ والحركات فلا يعطيك نتيجة ، لا بدّ أن يكون العمل الخارجيّ انعكاسًا لما في القلب ، وهذا أمر مهمّ ، لا أنّ المطلوب فقط العمل الخارجيّ ، وقد يقول الشّخص : "أنا قمت بكثير من الأعمال ، ذهبت إلى الحجّ عشرين مرّةً "، ولكنّ السّؤال : كيف حالتك القلبيّة الآن بعد ذهابك إلى الحجّ بهذا العدد من المرّات ؟

---

[1] سفينة البحار للشّيخ عبّاس القميّ ، مادّة (سما) .

قد يذهب الشّخص إلى الحجّ مرّة واحدة ويظلّ عنده الأثر القلبيّ إلى آخر عمره ، وشخص آخر يذهب إلى الحجّ عشرين مرّة ، ولكن لا يحصل على الأثر القلبيّ ؛ لأنّه في نظره أنّه يأتي بأعمال ومناسك خارجيّة ، وهو غير ملتفت إلى التّأثّر القلبيّ .

يقول القرآن الكريم :

"الحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ" [1] .

شخص قد يكذب أثناء الحجّ ، والبعض يطلب "الآيسكريم" أو أكلًا معيّنًا ، ويعترض إذا لم يتوفّر الطّعام المعيّن ، وهنا يظهر ارتباطهم القلبيّ بالطّعام ، يريد "بُوفِيه" الطّعام ، ولا يقبل طعامًا بسيطًا ، ويحتجّ بأنّه قد دفع أموالًا للمجيء إلى الحجّ ، ولا بدّ أن يحصل على أفضل طعام ، فيكون نظره إلى الطّعام بدل الاستفادة القلبيّة من مناسك الحجّ ، وهو يظنّ بأنّه قد أتى بالحجّ ، وهذا الحجّ الظّاهريّ قد لا يكون مقبولًا عند الله تعالى ، وهذا يجري في جميع الأعمال العباديّة ، كلّ عمل تريد أن تتقرّب به إلى الله تعالى فلا بدّ أن تلتفت إلى الحالة القلبيّة عندك ، وهذا مهمّ بالنّسبة لكلّ إنسان يريد أن يتقبل الله عزّ وجلّ عمله ، وحتّى الإنسان غير المسلم حينما يقوم بالعمل لماذا يأتي به ؟

---

[1] البقرة : ١٩٧ .

مثلًا المسيحيّ يعتقد بالإله ، وكذلك اليهوديّ يعتقد ، وحتّى البوذيّ يعتقد بوجود الإله ، ولكن يظنّ بأنّ هذا الّذي يتوجّه إليه هو الإله ، حتّى الّذي يعبد بقرةً هذا الارتباط بالبقرة يعبّر عن الارتباط بالإله ، فهو مخطئ في تشخيص مصداق الإله ، فالارتباط القلبيّ بالإله موجود عنده ، ولو لم يكن عنده هذا الارتباط القلبيّ بالإله لما كان يعبد بقرةً أو أيّ شيء آخر ، وكلّ إنسان عنده الارتباط القلبيّ بالإله الخالق للكون ، لذلك يعبد ، ولكنه يخطئ في مصداق المعبود ، فيظنّ بأنّ معبوده هو الإله ، وديانات العالم تعدّ بالآلاف ، وكلّ شخص عنده ديانة وعنده معبود ، ولولا الارتباط الفطريّ بالإله لما اتّخذ معبودًا ، والإنسان الملحد في وقت المصائب يشعر بهذا الارتباط القلبيّ بالإله ، ولكنّه ينكر بكلامه ، وهو في واقعه معتقد بالإله ، وحينما نصل إلى الأدلة على وجود الإله سنبيّن الدّليل الفطريّ ، وأنّ الفطرة دالّة على وجود الإله ، وأنّ هذه الفطرة موجودة عند كلّ إنسان حتّى الّذي يقول بأنّه لا يعتقد بوجود الإله الخالق للكون .

وفي المحاضرة القادمة سنتكلم عن موضوع "الإسلام دين الرّحمة" ، وتوجد مواضيع مهمّة قادمة ، ذكرنا بعضها في المحاضرة الأولى الّتي كانت بعنوان "أسئلة تمهيديّة" ، والأدلّة على وجود الإله بحث مهمّ ، وسنتناولها في سلسلة من المحاضرات ، الأدلّة والإشكالات وأجوبتها ، وبعد ذلك ندخل في العدل والنّبوّة والإمامة والمعاد ، ثمّ ندخل في البحوث الأخلاقيّة ، ونأتي إلى القرآن الكريم لنرى كيف يطرح القرآن

الأخلاق ، ونريد أن نبحث عن أنّ المنهج القرآنيّ للأخلاق هل هو نفس المنهج الّذي يُطْرَحُ في الكتب الأخلاقيّة أو لا ، وبعد ذلك نأتي إلى الفقه العمليّ ، ونبدأ بموضوع "دخالة الظروف الزّمانيّة والمكانيّة في الأحكام" ، ما هو معناها ، وما هي الأدلّة على إثباتها ، وبعد ذلك ندخل إلى أحكام الفقه العمليّ ، ونبيّن الأحكام بناء على النّظريّتين : دخالة الزّمان والمكان في الأحكام العمليّة ، وعدم دخالتهما في الأحكام ، وانظروا أيّ الأحكام تتناسب مع عالميّة الإسلام ، مثلًا هل في الزّكاة نقتصر على الموادّ المذكورة في الفقه العمليّ أو نحتاج إلى موادّ أكثر من الموادّ المذكورة ؛ لكي يكون الإسلام دينًا عالميًّا ، ونحتاج إلى حلّ بعض المشاكل ، مثلًا من يذهب إلى القطب الشّماليّ كيف يصلّي ؟ وكيف نأخذ دخالة الزّمان والمكان في الأحكام لنبيّن أنّه في القطب الشّماليّ كيف يصلّي ؟ وكيف يصوم مع كون اللّيل ستّة أشهر والنّهار ستّة أشهر ؟

يقول القرآن الكريم :

"وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ" [1] .

كيف نستفيد من هذه الآية في مسألة الصّيام في القطب الشّماليّ ؟

كيف يصلّي من يذهب إلى القمر ؟ وكيف يصوم ؟

كيف يصلّي من يذهب إلى المرّيخ ؟ وكيف يصوم ؟

---

[1] البقرة : ١٨٧ .

سنبيّن هذه المسائل بناءً على النّظريّتين ، ونرى ما هي الأحكام الّتي تتناسب مع دعوتنا بأنّ الإسلام دين عالميّ ، لا ضمن قرية ولا ضمن مدينة ولا ضمن دولة ولا ضمن منطقة ، وكذلك النّظر إلى المشاكل العالميّة وكيف يمكن حلّها ، كيف ننظر إلى العلمانيّة والحداثة وما بعد الحداثة ، وما هو رأينا تجاه النّظريّات الحديثة الّتي يطرحها الغرب ، ونحاول طرح المواضيع بناءً على عالميّة الإسلام ، هل يمكن أن نطرح نظرية الحداثة الإسلاميّة في مقابل الحداثة الغربيّة ؟

نرى دائمًا أنّ النّظريّات الغربيّة تنتشر في العالم ، ولكنّ النّظريّات الإسلاميّة لا تنتشر لأن ليس لها صفة العالميّة ، مثلًا لو أردنا أن نحلّ مشكلة الفقر في العالم هل يوجد في الإسلام حلّ عالميّ أو لا يوجد ؟

إذا كان في الإسلام حلّ عالميّ لمشكلة الفقر فنطرح هذا الحلّ ، وإذا اقتنع الشّرق والغرب بهذا الحلّ العالميّ فسيأخذون به ، وكذلك بقيّة المشاكل .

هل توجد نظريّة اجتماعيّة في الإسلام ؟ هل الأصل هو الفرد أو المجتمع حيث إنّ الرّأسماليّة تقول بأصالة الفرد والاشتراكيّة تقول بأصالة المجتمع ؟ هل الإسلام يقول بأصالة الفرد أو بأصالة المجتمع أو له نظريّة ثالثة ؟

وأنصحكم بقراءة كتب الشّهيدين : السّيّد محمد باقر الصّدر والشّيخ مرتضى المطهّريّ رضوان الله عليهما ، وغيرهما من العلماء الّذين طرحوا مثل هذه المواضيع ، وحاولوا أن يستقصوا النّظريّات ،

وخاصّة الشّيخ المطهّريّ ، فإنّه ربط بين الأفكار الإسلاميّة والأفكار الغربيّة وكان يحلّلها ويناقشها ، فكتب الشّهيدين كتب قيّمة ، ولا بدّ أن يطّلع كلّ مسلم على هذه الكتب ، والبناء الفكريّ الثّقافيّ للمسلم مهمّ جدًّا ، ولا بدّ أن يلتفت المسلمون إلى هذا الأمر المهمّ ، وهذا ينبع من حبّ طلب العلم ، وإذا كان المسلم لا يحبّ طلب العلم فهذا يعني أنّ إيمانه يكون ناقصًا ، وأقلّ شبهة تَرِدُ عليه يمكن أن يترك الدّين بسببها ، مثلما يحصل مع الملحدين ، مسلمون يصيرون ملحدين ؛ لأنّ الخلفيّة الفكريّة الثّقافيّة عندهم ضعيفة ، فلأقلّ شبهة وإشكال يترك الإسلام .

إشكال مثل : الله يجعل الأمراض في العالم ، ولا بدّ أن يكون الخير فقط هو الموجود في العالم ، ولا معنى لوجود الشّرّ ؛ لأنّ الله خير كلّه ، فيستنتج أنّه لا يوجد إله خالق للكون ، وهذا إشكال من الإشكالات الّتي تُطْرَحُ على المسلمين ، وهو مشكلة الشّرور في العالم ، ويستدلّون بأنّ وجود الشّرور يدلّ على عدم وجود إله خالق للكون ، وهذا الإشكال كيف يَرُدُّ عليه المسلمون ؟

والعلماء ردّوا على هذا الإشكال وغيره من الإشكالات ، وإذا لم يستطيعوا الرّدّ عليه فالسّائل ينقلب إلى ملحد ، فالتّقصير يكون من المسلمين الّذين لا يطرحون النّظريّات ، وإذا كانت هناك نظريّات موجودة في بطون الكتب فالمسلمون لا يطّلعون ولا يقرؤون ولا يستمعون إلى المحاضرات إلّا القليل منهم .

والمسلم يقوم بأعمال خارجيّة كثيرة ، ولكنّه لا يملك الخلفيّة الفقهيّة العقائديّة والأخلاقيّة والعمليّة لكي ينظر إلى هذا العمل الخارجيّ على أساس الأنواع الثّلاثة من الفقه ، بالإضافة إلى الضّعف الفكريّ والثّقافيّ عند المسلمين بشكل عامّ ، وأوضاع المسلمين أوضاع ثابتة لا يحصل لها تكامل ، بل على العكس الأوضاع تتردّى يومًا بعد يوم .

إذن أوّلًا لا بدّ أن نطلب العلم ، وثانيًا أن نحوّل العلم إلى عمل ، وبذلك يمكن أن يصير المسلمون أقوياء .

رُوِيَ عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال : المؤمن القويّ خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضّعيف ، وفي كُلٍّ خير [1] .

ما دام أنّ المسلمين ضعفاء فمعناه أنّه في البداية لم يطلبوا العلم ، فالعلم هو الّذي يعطي النّور والبصيرة في تحرّك الإنسان ، نعم يأتي بأعمال خارجيّة من صلاة وصيام وغيرهما ، ولكن بلا أيّ تأثّر قلبيّ ، وما دام أنّ أوضاعنا ثابتة أو إلى تسافل فنعلم أنّ المسلمين مقصّرون ولا يتأثّرون قلبيًّا بالأعمال الّتي يؤدّونها ، فتأتي دولة فيها مليون شخص ويمكنهم السّيطرة على عالم المسلمين الّذي فيه مليار مسلم ، وهذا معناه أنّ المسلمين ضعفاء ، والمفروض أنّه سنة بعد سنة يحصل التّكامل عند جميع المسلمين ، نعم تجد أفرادًا يتكاملون ، ولكنّهم لا يشكّلون ظاهرةً ، والإسلام اليوم غير واضح عند المسلمين ، ويمكنك

---

[1] السّنن الكبرى للنّسائيّ ج٦ ص١٥٩ ح١٠٤٥٧ .

أن تجري استبيانًا عن النّظريّة الاجتماعيّة أو النّظريّة الاقتصاديّة أو النّظريّة السّياسيّة في الإسلام ، وهل يمكن أن نردّ على النّظريّات الشّرقيّة والغربيّة ، كم مسلم يمكنه الإجابة ؟

سترى العدد قليلًا جدًّا بحيث يمكن عدّهم على الأصابع .

ونسأل : لماذا لا يمكن لباقي المسلمين الإجابة ؟

لا بدّ من المسلم أن يطّلع على الإسلام لكي تتكوّن عنده الخلفيّة الفكريّة الثّقافيّة ويكون مؤمنًا قويًّا بحيث يمكنه الإجابة على الأسئلة والإشكالات ، ويتحرّك ويعمل على أساس العلم .

والحمدلله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(١٩)

الإسلام دين الرّحمة [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمدلله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

ما زال الكلام في عالميّة الإسلام ، وكنّا في البسملة ، وتكلّمنا عن الاسم ، وعن الله سبحانه ، وكلامنا الآن عن صفة "الرّحمة" في قوله تعالى : "**الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**" ، ونتناول في هذه اللّيلة موضوع "الإسلام دين الرّحمة" .

الرَّحِيم :

في البسملة في ١١٤ سورة نرى التّركيز في بداية كلّ سورة على "**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**" ، إلّا في سورة براءة ، وعوّضت عنها في سورة النّمل ، ولو لاحظنا المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ورجعنا إلى كلمة "رَحِمَ" ومشتقّاتها نجد عشرات أو مئات الآيات

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ٥ ذو الحجّة ١٤٣٩ هـ الموافق ٢٠١٨/٨/١٧ م .

تتحدّث عن الرّحمة ، فلماذا نبدأ بصفة "الرّحمة" ؟

نبدأ بصفة "الرّحمة" لأنّ الأصل عند الله هو الرّحمة لا العذاب والعقاب ، ويبدأ القرآن بالرّحمة حتّى يبعث في القلوب الأمل وعدم اليأس من رحمة الله ، فمن يذنب لا ييأس من رحمة الله ، فدائمًا عنده الأمل في أن يقبل الله توبته برحمته ، ويدخل عزّ وجلّ الإنسان إلى الجنّة برحمته ، ويفيض على جميع النّاس من رحمته بمختلف مصاديقها كالرّزق والشّفاء وغيرهما ، فالله رحيم أكثر من رحمة الأمّ بأبنائها .

يقول القرآن الكريم :

"وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" [1] .

ولم يقل الله تعالى بأنّه كتب على نفسه العذاب ، فعذاب الله أمر ثانويّ ، والأصل هو الرّحمة ، والله ينطلق من الرّحمة .

"وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ" [2] .

رحمة الله موجودة في كلّ شيء في هذا الكون ، حتّى الّذين لا يعتقدون بوجود الإله يكونون تحت رحمة الله ، فالله تعالى يرزقهم ، وَيُغْدِقُ عليهم من النّعم الكثيرة ، ويشفيهم من الأمراض ، ويقضي حوائجهم ، ويفيض عليهم من الفيوضات الكثيرة .

---

[1] الأنعام : ٥٤ .

[2] الأعراف : ١٥٦ .

إذن الأصل في الله عزّ وجلّ هو الرّحمة ، وأمّا العذاب فهو أمر ثانويّ جانبيّ .

سؤال : ماذا يستفيد الإنسان من رحمة الله تعالى ؟

الجواب :

الإنسان لا بدّ أن يكون رحيمًا ، والعلاقات بين جميع النّاس لا بدّ أن تقوم على أساس الرّحمة ، فالأصل في الله هو الرّحمة ، فلا بدّ أن يكون الأصل في الإنسان هو الرّحمة أيضًا ، ونحتاج اليوم إلى الرّحمة الإنسانيّة انطلاقًا من الرّحمة الإلهيّة ، وتكون الرّحمة الإنسانيّة انعكاسًا من الرّحمة الإلهيّة ، والعقاب عند الإنسان يكون أيضًا أمرًا ثانويًّا .

وحينما يدخل المجرم إلى السّجن فهذا عقاب له ، ولكنّ العقاب أمر ثانويّ جانبيّ ، فالهدف من إدخال المجرم إلى السّجن ليس العقاب فقط ، وإنّما الإصلاح والتّربية ، وفي بلدان المسلمين السّجن عبارة عن عقاب ، ولكن بعض السّجون في الغرب عبارة عن تربية وإصلاح ، لذلك يقال إنّ بعض السّجون في الدّول الغربيّة تُغْلَقُ بسبب عدم وجود مجرمين في مجتمعهم ، هذا المجرم يدخل إلى السّجن فتتمّ تربيته وإصلاحه ويرجع إلى المجتمع ، وهدف المسئولين الإصلاح والتّربية ، فالمجرم في السّجن يضعون له برنامجًا إصلاحيًّا ، مثلًا يشجّعونه على القراءة ، والشّخص الّذي يصير مثقّفًا لا يتحوّل إلى مجرم مرّة أخرى ، فمن أسباب الإجرام الجهل ، وأمّا الإنسان الّذي يكون مثقّفًا ويمكن أن يحصل على وظيفة فلا يحتاج إلى السّرقة ،

فالعقاب يكون كالكيّ لأنّ آخر الدواء هو الكيّ ، والأصل هو أن الإنسان تتمّ تربيته وإصلاحه لكي يكون مواطنًا صالحًا .

ويقال إنّ آيات العذاب في القرآن الكريم بنسبة ١٠% ، فكل آية تتحدّث عن العذاب يقابلها عشر آيات تتحدّث عن الرّحمة ، وبعض الملحدين يقولون بأنّ الأصل عند الله أنّه يعذّب النّاس ويدخلهم إلى نار جهنّم ، فنردّ عليهم بأنّ القرآن يطرح عشر آيات من الرّحمة في مقابل آية واحدة من العذاب ، فالأصل هو الرّحمة لا العذاب .

إنّ دور الإنسان أن يتخلّق بصفات الله عزّ وجلّ من علم وقدرة ورحمة ورأفة ولطف ، فكما أنّ الله عليم فلا بدّ أن تكون عالمًا ، والله رحيم ، فلا بدّ أن تكون رحيمًا ، والله فيه الرّأفة واللّطف بعباده فأنت لا بدّ أن تكون رَؤُوفًا لطيفًا بجميع النّاس ، فدور الإنسان أن يتخلّق بأخلاق الله تعالى وصفاته ، والرّحمة من الصّفات الإلهيّة ، فلا بدّ أن تتوفّر في الإنسان صفة الرّحمة ، وهذا أساس وأصل وقاعدة عند كلّ إنسان ، فتكون الانطلاقة من الرّحمة الإلهيّة .

الرَّحْمَن :

سؤال : ما هو الفرق بين الرّحمن والرّحيم ؟

الجواب :

الرّحمن هو من عنده الرّحمة العامّة الشّاملة لجميع المخلوقات ، فرحمانيّةُ الله تجعل فيوضاتِه ونِعَمَهُ شاملةً للمؤمنين وغير المؤمنين ، فالله

يرزق الإنسان الّذي لا يعتقد به على أساس رحمانيّته لأنّها شاملة لجميع المخلوقات ، والرّحمن اسم خاص يطلق على الله ، ولا يطلق على غيره ، فلا نقول إنّ الإنسان رحمن .

وأمّا الرّحيم فهو من عنده الرّحمة الخاصّة ، والرّحيم صفة تطلق على الله وعلى غير الله ، فنقول إنّ الله رحيم والإنسان رحيم ، فرحيميّة الله تجعل فيوضاتِه في الدّنيا والآخرة خاصّة بالمؤمنين ؛ لأنّ الرّحمة – لُغَةً – صفةٌ تدلّ على الاستمرار والثّبات ، لذلك تكون مختصّة بالمؤمنين .

والرّحمانيّة صفة لا تدلّ على الثّبات والاستمرار ، لذلك تكون عامّة شاملة لجميع النّاس بما فيهم الأشخاص الّذين لا يعتقدون بوجود إله خالق للكون .

إذن :

صفة الرّحمن تدلّ على الرّحمة العامّة الّتي تشمل المؤمن وغير المؤمن ، وصفة الرّحمة تدلّ على الرّحمة الخاصّة الّتي تشمل من يعتقد بالإله الخالق .

ويشهد بهذا الاختلاف ما رُوِيَ عن الإمام الصّادق عليه السّلام : الرّحمن اسم خاصّ بصفة عامّة ، والرّحيم اسم عامّ بصفة خاصّة [1] .

الرّحمن اسم خاصّ بالله ، وهو صفة عامّة تشمل جميع المخلوقات ، والرّحيم اسم عامّ يطلق على الله وعلى غيره ، وهو صفة خاصّة تشمل

---

[1] مجمع البيان للشّيخ الطّبرسيّ ج١ ص٥٤ .

المؤمنين فقط .

ويمكن أن تستعمل الكلمتان في معنى واحد ، كما في الآية الكريمة : **"إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ"** [١] .

الله رحيم بجميع النّاس ، فاستعمل الرّحيم بمعنى الرّحمن ، وهنا الرّحمة مبنيّة على أساس الرّحمانيّة ، فالكلمتان يمكن أن تستعملا بمعنى واحد ، ولكن مع وجود القرينة الدّالّة على المعنى المراد ، فبقرينة **"بِالنَّاسِ"** نعرف أنّ الرّحمة شاملة ، فتكون على أساس الرّحمانيّة .

"إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا" [٢] .

"بِكُمْ" أي بجميع النّاس ، فتكون الرّحمة على أساس الرّحمانيّة كالآية السّابقة .

وورد عن الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما السّلام : "يا رحمنَ الدّنيا والآخرةِ ورحيمَهما" [٣] .

الرّحمة هنا شاملة للدّنيا والآخرة ، وتكون شاملةً للمؤمنين وغير المؤمنين ، فتكون الرّحمة على أساس الرّحمانيّة ، والرّحيم بالمؤمنين في الدّنيا والآخرة ، فتكون الرّحمة على أساس الرّحيميّة .

"وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ" [٤] .

---

[١] البقرة : ١٤٣ .

[٢] الإسراء : ٦٦ .

[٣] الصّحيفة السّجّادية الكاملة ص٣٠٨ الدّعاء ٥٤ .

[٤] الأعراف : ١٥٦ .

رحمة الله الّتي وسعت كلّ شيء ، هذه هي الرّحمة الرحمانيّة الشّاملة لجميع الأشياء ، ويكتبها الله للّذين يتّقون ويؤتون الزّكاة ويؤمنون ، هذه هي الرّحمة الرّحيميّة الّتي تخصّ المؤمنين المتّقين فقط .

"وَرَبُّكَ الغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ" [١] .

الرّحمة الشّاملة فتكون الرّحمة الرحمانيّة .

"فَقُل رَّبُّكَمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ" [٢] .

رحمة واسعة شاملة ، فتكون الرّحمة الرّحمانيّة .

"وَبِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ" [٣] .

وهذه هي الرّحمة الرّحمانية الّتي تسع جميع الأشياء .

ومن صفات الله أنه "سَبَقَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبَهُ" [٤] .

الأصل هو الرّحمة لا الغضب والعقاب والعذاب ، فدائمًا الرّحمة عند الله هي السَّبَّاقة ، والله حينما يتعامل مع الكائنات يتعامل على أساس الرّحمة ، لذلك إبليس في يوم القيامة يطمع في رحمة الله ، فيرى أنّ الله يُفَعِّلُ رحمته لا غضبه ، فيطمع في الرّحمة الإلهيّة .

عن الإمام الصّادق عليه السّلام : إذا كان يوم القيامة نشر الله

---

[١] الأنعام : ١٣٣ .

[٢] الأنعام : ١٤٧ .

[٣] مصباح المتهجّد للشّيخ الطّوسيّ ص٧٤٤ ، دعاء كميل بن زياد عن أمير المؤمنين عليه السّلام .

[٤] بحار الأنوار ج٩١ ص٣٨٦ ، دعاء الجوشن الكبير .

تبارك وتعالى رحمته حتّى يطمع إبليس في رحمته [1] .

سؤال : لماذا نرجع إلى الآيات والرّوايات ؟

الجواب :

حينما نريد أن نناقش لا بدّ أن نذكر النّاحية النّظريّة أوّلًا ، وهي موجودة في القرآن الكريم ، فنستخرج النّواحي النّظريّة من القرآن ، وهذه النّواحي النّظريّة تشكّل الأصل ، وحينما نأتي إلى الرّوايات إذا كانت مخالفةً معارضةً للأصول القرآنيّة فهذه الرّوايات تُرْفَضُ ، فالأصل هو القرآن الكريم ، ونؤسِّس الأصول والقواعد من القرآن ، والانطلاقة تكون من القرآن ، والآن الأصل القرآنيّ الموجود عندنا هو الرّحمة ، فإذا جاءت بعض الرّوايات أو بعض القصص عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وكانت تخالف أصل الرّحمة ، فهذه الرّوايات والقصص تُرْفَضُ ، وسأذكر بعض القصص الّتي تُرْوَى وأنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله فعلها ، وسنبيّن أنّ هذه القصص تتعارض مع رحمة النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، والقصص موجودة في الكتب ، والبعض يذكرها في محاضراته على أنّها وقائع حصلت من النّبيّ صلّى الله عليه وآله .

دور الإنسان :

على الإنسان الجدّ والاجتهاد في الاتّصاف بالرّحمة بحيث إنّ النّاس يلاحظون أنّ الأصل عندك هو الرّحمة ، وهذا الأصل لا بدّ أن يكون موجودًا في الحاكم والمحكوم ، فالحاكم لا بدّ أن يتعامل مع رعيّته على

---

[1] الأمالي للشّيخ الصّدوق ص٢٧٣ ح٢ .

أساس الرّحمة لا العذاب والعقاب ، فالإنسان يتّصف بهذه الرّحمة الإلهيّة ، وهذه الصّفة الرّبوبيّة تكون بالنّسبة إلى جميع الخلائق ، والله رحمة لجميع الأشياء ، والنّبيّ صلّى الله عليه وآله رحمة للعالمين ، وكذلك أنت أيّها الإنسان لا بدّ أن تكون رحمةً للعالمين ، وإن لم تتمكّن من أن تكون رحمةً للعالمين فعلى الأقلّ تكون رحمةً لعالمك الّذي تعيش فيه ، فتكون رحمةً لأهل بيتك أوّلًا ، وتكون رحمةً للمحيطين بك ، وتكون رحمةً للمجتمع ، وتكون رحمةً لجميع من يعيش معك في بلدك ، وتكون رحمةً للعالم والأرض الّتي تعيش عليها .

الرّحمة النّبويّة :

ما مرّ كان عن الرّحمة الإلهيّة ، ونأتي الآن إلى ذكر الرّحمة النّبويّة ، فمن صفات النّبيّ صلّى الله عليه وآله قوله تعالى :

"لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ" [1] .

بالمؤمنين رحيم انطلاقًا من الرّحمة الرحيميّة ، ولا يمكن أن نقول الرّحمانية لأنّ الرّحمن اسم خاصّ بالله عزّ وجلّ ، وحينما تقول الآية برحمة النّبيّ صلّى الله عليه وآله بالمؤمنين فهذا لا يعني أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله ليس رحيمًا بجميع النّاس ، فهو رحيم بالمؤمنين ورحيم بالنّاس .

---

[1] التّوبة : ١٢٨ .

وقد وصف الله النّبيّ صلّى الله عليه وآله في الكتاب العزيز بأنّه رحمة للعالمين ، فيكون رحمةً لجميع الكائنات في جميع العوالم .

"وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ" [1] .

وحكى القرآن عن رأفة الرّسول صلّى الله عليه وآله :

"لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ" [2] .

"فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِم إِن لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الحَدِيثِ أَسَفًا" [3] .

بَخَعَ : قَتَلَ نَفْسَهُ غَمًّا وَحُزْنًا ، باخِع : قَاتِلُ نَفْسِهِ أو مُهْلِكُهَا ، أَسَفًا : غَيْظًا وَحُزْنًا ، وهو مفعول لأجله .

أيّها النّبيّ ، إذا لم يدخل النّاس إلى الإيمان فهل تُهْلِكُ نفسَك ؟!

الاستفهام هنا استفهام إنكاريّ ، فالله يستنكر أن يهلك النّبيّ صلّى الله عليه وآله نفسه إن لم يؤمن النّاس ، وهذا من رأفة النّبيّ صلّى الله عليه وآله ورحمته بهم ، فحينما يرى صلّى الله عليه وآله أنّ النّاس لا يؤمنون فكأنّه يريد أن يهلك نفسه غمًّا وَأَسَفًا وَحُزْنًا وَشَفَقَةً عليهم لأنّهم لم يؤمنوا بهذا الحديث أي القرآن ، والنّبيّ صلّى الله عليه وآله يريد أن يدخل جميع النّاس إلى الجنّة ولا يعذّبون بنار جهنّم ، وهذا هو دور النّبيّ صلّى الله عليه وآله في إبعاد النّاس عن النّار

---

[1] الأنبياء : ١٠٧ .

[2] الشّعراء : ٣ .

[3] الكهف : ٦ .

وإدخالهم إلى الجنّة ، والنّبيّ صلّى الله عليه وآله يحزن إذا لم يؤمن أحد من النّاس لأنّه يعلم أنّ مصير هذا الإنسان يكون إلى النّار ، طبعًا هذا الإنسان الكافر المقصِّر ، والكافر هو الإنسان المقصِّر عن الاعتقاد مع تيقّنه بوجود الإله .

"وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ" [١] .

إنّ الكافر هو من يجحد ما تيقّن به ، وأكثر النّاس في العالم لا يوجد عندهم جحود ، وأكثر النّاس يعتقدون بوجود إله خالق للكون ، فيؤمنون بالإله الخالق ، فالإيمان بوجود إله خالق موجود عند معظم النّاس ، ومن لا يعتقدون بوجود الإله الخالق هم نسبة قليلة ، قد تصل إلى ٥% من عدد سكّان العالم .

"فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ" [٢] .

وقد عفا النّبيّ صلّى الله عليه وآله عن الكفّار والمشركين بعد فتح مكّة ، قال : ماذا تظنّون أنّي فاعل بكم ؟ قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فأنتم الطّلقاء [٣] .

في زماننا لو كان يوجد قائد عسكريّ وانتصر على أعدائه فأوّل ما يفعله هو أنّه يقتلهم جميعًا ، ولكن لأنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله

---

[١] النّمل : ١٤ .

[٢] آل عمران : ١٥٩ .

[٣] بحار الأنوار ج٢١ ص١٣٢ .

انطلاقته الرّحمة فإنّه يعطي للكفّار والمشركين فرصةً لكي يؤمنوا ، ولو قضى عليهم فمصيرهم إلى النّار ، ولكن النّبيّ صلّى الله عليه وآله يعطيهم فرصةً للتّوبة ، فبعض من هؤلاء الكفّار والمشركين حينما يرون هذه الرّحمة من النّبيّ صلّى الله عليه وآله فحتمًا يدخلون إلى الإسلام ، لذلك يدخلون في دين الله أفواجًا .

الإمام الصّادق عليه السّلام يقول لأصحابه : "اتّقوا الله ، وكونوا إخوةً بَرَرَةً ، متحابّين في الله ، متواصلين ، مُتَرَاحِمِينَ ، تزاوروا وتلاقوا ، وتذاكروا أمرنا وأحيوه" [1] .

لا بدّ أن تكون علاقة المؤمنين بعضهم ببعض مبنيّة على أساس الرّحمة ، وكذلك علاقة النّاس بعضهم ببعض لا بدّ أن تكون قائمةً على الرّحمة ، وذكر المؤمنين في الآيات والرّوايات من باب المثال ، وحينما يقال بأنّ المؤمنين يكونون متراحمين فإنّ الرحمة لا تقتصر عليهم ، بل نوسّع الدّائرة إلى جميع النّاس ، فالنّاس لا بدّ أن يكونوا متراحمين أيضًا ، وهنا وصيّة الإمام عليه السّلام للمؤمنين لا تعني أنّ الإمام عليه السّلام لا يوصي النّاس ، بل نفس الوصيّة موجَّهة إلى النّاس أيضًا .

عن الإمام الصّادق عليه السّلام قال : "يحقّ على المسلمين الاجتهاد في التّواصل ، والتّعاون على التّعاطف ، والمواساة لأهل الحاجة ، وتعاطف بعضهم على بعض حتّى تكونوا كما أمركم الله عزّ

---

[1] الكافي ج٢ ص١٧٥ ح١ .

وجلّ : "**رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**" ، متراحمين ، مغتمّين لما غاب عنكم من أمرهم على ما مضى عليه معشر الأنصار على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله" [١] .

المواساة لأهل الحاجة لا المؤمنين فقط ، بل أهل الحاجة من النّاس أيضًا .

عن علي أمير المؤمنين عليه السّلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : "إنّ الله عزّ وجلّ رحيم يحبّ كلّ رحيم" [٢] .

الله عزّ وجلّ يحبّ كلّ رحيم ، ورحيم مطلقة ولا يختصّ بالرّحماء من المؤمنين ، بل الرّحيم من النّاس أيضًا ، فالله يحبّ كلّ رحيم من المؤمنين وغيرهم ، ويتّصف الإنسان بالرحمة لكي يحبّه الله الرّحيم ، ولا يوجد لا في الآيات ولا في الرّوايات : إنّ الله شديد العذاب ويحبّ من يعذّب .

عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله : والّذي نفس محمّد بيده لا يضع الله الرّحمة إلّا على رحيم . قالوا : يا رسول الله ، كلّنا رحيم . قال : ليس الّذي يرحم نفسه وأهله خاصّة ، ولكنّ الّذي يرحم المسلمين .

وقال صلّى الله عليه وآله : قال تعالى : إن كنتم تريدون رحمتي فارحموا [٣] .

---

[١] الكافي ج٢ ص١٧٥ ح٤ ، والآية من سورة الفتح : ٢٩ .

[٢] الأمالي للشّيخ الطّوسيّ ص٥١٦ ح١١٢٩ .

[٣] الرّسالة السّعديّة للعلّامة الحلّيّ ص١٦٥ .

الله تعالى رحيم رحمةً واسعةً تشمل المسلمين وغير المسلمين ، فرحمة الله مطلقة غير مقيَّدة ، وكلّ إنسان فيه شيء من الرّحمة ، ولكن تتّسع دائرة الرّحمة أو تضيق ، ورحمة المسلم لا بدّ أن تنتشر في العالم إذا كان يعتقد أنّ الإسلام دين عالميّ ، فلا بدّ أن تكون رحمة المسلمين رحمةً عالميّةً ، والإرهابيّون لا يعملون بالرّحمة ، فالأصل عندهم العذاب والقتل ، فعمل الإرهابيّين ليس قائمًا على أساس الإسلام ، نعم يأتون ببعض الآيات والرّوايات ، وسيأتي بحث عن آيات القتل والقتال في القرآن ؛ لكي نثبت بأنّ القتال ليس أصلًا في الإسلام ، فالأصل هو السّلام ، والقتال يكون لأجل الدّفاع فقط ، ولا يكون لأجل الاعتداء على الآخرين .

في قوله صلّى الله عليه وآله : "ولكنّ الّذي يرحم المسلمين" ، هنا المسلمون من باب المثال ، فالمراد من يرحم النّاس أيضًا ، وقوله : "إنّ كنتم تريدون رحمتي فارحموا" ، ولم يقل : فارحموا المسلمين فقط ، وإنّما المراد ارحموا جميع النّاس ، بل ارحموا حتّى الحيوانات .

عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله : من لا يرحم النّاس لا يرحمه الله [1] .

وهذه الرّواية صريحة عن الرّحمة بالنّاس ، إذا كنت تريد أن تحصل على رحمة الله تعالى فلا بدّ أن تكون رحيما ، ارْحَمْ تُرْحَمْ ، سبب ونتيجة ، وفّر السّبب تحصل على النّتيجة ، فمن لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ ، والإنسان الّذي لا يتّصف بصفة الرّحمة لا يتوقّع أن يرحمه الله ، ومن

---

[1] الجعفريّات لإسماعيل بن موسى بن جعفر ص١٦٧ .

لا يرحمه الله لا يتوقّع أن يدخل الجنّة .

إذن القاعدة القرآنيّة هي الرّحمة ، والقاعدة الرّوائيّة هي الرّحمة أيضًا ، لذلك فإنّ أيّ رواية أو قصّة منقولة تكون على خلاف هذه القاعدة فهذه الرّواية أو القصّة تكون مرفوضةً .

عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله : الرّاحمون يرحمهم الرّحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السّماء [1] .

المراد هم الرّاحمون من النّاس ، والقرينة على كون الرّاحمين من النّاس هي الرّحمة الرّحمانيّة الشّاملة لجميع النّاس ، فالإنسان الّذي يرحم يرحمه الله سواء كان مؤمنًا أم غير مؤمن ، وارحموا من في الأرض من النّاس ، وليس المراد ارحموا المؤمن خاصّةً .

يقول القرآن الكريم :

"وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا" [2] .

الإنسان يطلب من الله الرحمة لوالديه لأنهما اهتما بشؤونه منذ الصغر ، وهذا غير مختص بالمؤمن ، فالوالدان غير المؤمنين يهتمان بصغيرهما أيضا ، فيستحقان الرحمة الإلهية .

"وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ" [3] .

عن عليّ أمير المؤمنين عليه السّلام : واللهِ لو أُعْطِيتُ الأقاليم

---

[1] عوالي اللّآلي لابن أبي جمهور الأحسائيّ ج١ ص٣٦١ ح٤٢ .

[2] الإسراء : ٢٤ .

[3] المؤمنون : ١١٨ .

السّبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرةٍ ما فعلت" [1] .

طبعًا مقامنا ليس مثل مقام الإمام عليه السّلام ، فالإنسان العاديّ يرى نملةً حاملةً شعيرةً فمن الممكن أن يأخذ الشّعيرة منها بدون سبب إلّا من أجل التّسلية واللّعب ، وفي البيت أنت تتخلّص من النّمل ، ولكن أمير المؤمنين عليه السّلام لا يفعل ذلك ؛ لأنّ رحمة النّبيّ صلّى الله عليه وآله والإمام عليه السّلام تسع حتّى الحيوان ، وبعض الأحكام الشّرعيّة مختصّة بمقام المعصوم عليه السّلام من نبيّ أو إمام ، وأنت يمكنك أن تعمل كما يعمل المعصوم ، فبدل من أن تقتل النّمل تجمعها وترميها خارج بيتك ، فتكون أبا ذرّ زمانك ، فلا تطأ النّمل ، نعم النّملة الّتي تقرص أحد أبنائك تضطرّ إلى قتلها .

وهنا يأتي سؤال : هل يجوز في الحيّ الّذي تعيش فيه أن تقتل القطط بلا سبب ؟ فهل يجوز قتل الحيوانات بلا سبب ؟

من الممكن أن يأتي جواب الاستفتاء بأنّه يجوز ، ولكن إذا نظرنا إلى عالميّة الإسلام فإنّ الجواب هو أنّه لا يجوز ، فالحيوانات لها دور في التّوازن البيئيّ ، فإذا قضيت على القطط فإنّ الفئران ستزداد في الحيّ الّذي تعيش فيه ، فالقطط لها دور في تقليل عدد الفئران في الحيّ ، فهنا إذا لاحظنا التّوازن البيئيّ فإنّ الحكم يختلف ، فلا يجوز قتل الحيوانات إلّا الحيوان الفرد المعيّن المضرّ ، ولا يسري الحكم إلى

---

[1] نهج البلاغة ج٢ ص٢١٨ .

باقي أفراد نفس النّوع من الحيوان ، ولا يجوز قتل جميع الذّئاب في العالم ، نعم الذّئب الفرد المعيّن الّذي يضرّ قطيعك من البقر أو الأغنام مثلًا هذا الفرد المعيّن تقتله لتتخلّص من ضرره ، ولا تقتل جميع الذّئاب في المنطقة .

والتّوازن البيئيّ في العالم يجب الحفاظ عليه ، وجميع الكائنات لها دور في هذا التّوازن ، فتوجد سلسلة من الحيوانات لأجل المحافظة على التّوازن ، لذلك إذا قضينا على حيوان معيّن فمن الممكن أنّ باقي الحيوانات في السّلسلة تَفْنَى أيضًا أو يزداد عدد بعضها ، فيحدث خلل في البيئة إمّا بنقص عدد نوع معيّن من الحيوان وإمّا بزيادته ، والنّقص أو الزّيادة يؤدّي إلى خلل في التّوازن البيئيّ .

إذن يوجد جوابان : جواب يقول بجواز قتل الحيوانات بلا أيّ سبب ، وجواب آخر مبنيّ على عالميّة الإسلام يقول بعدم جواز قتل الحيوانات إلّا الحيوان الفرد المعيّن المضرّ .

والإسلام ينظر إلى التّوازن البيئيّ العالميّ ، وحينما نأتي إلى الفقه العمليّ سنرى أنّ بعض الأحكام الشّرعيّة تتغيّر إلى حكم آخر بناءً على عالميّة الإسلام .

والحمدلله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(٢٠)

الرّحمة الإلهيّة [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمدلله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

نرى في القرآن الكريم أنّ ١١٣ سورة تبدأ بالبسملة المشتملة على **"الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"** ، وسورة واحدة وهي سورة براءة لا تبدأ بالبسملة ، وَعُوِّضَتْ هذه البسملة في سورة النّمل ، ومن المهمّ جدًّا في مواضيعنا أن نبيّن أنّ الأصل هو الرّحمة لا العذاب ، وهذا سيأتي بحثه في موضوع "تجديد الخطاب الدّينيّ" .

نرى الآن أنّه حينما نتحدّث فإنّنا دائمًا نبيّن أنّ الله شديد العقاب ، مع أنّ العذاب أمر ثانويّ ، وأنّ أكثر النّاس يوم القيامة يكونون مرحومين ، وأنّ القلّة يكونون خالدين في نار جهنّم .

إذن في الخطاب الدّينيّ لا بدّ أن نركّز على أصل الرّحمة حينما

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ١٢ ذو الحجّة ١٤٣٩ هـ الموافق ٢٠١٨/٨/٢٤ م .

نتحدّث مع النّاس وخاصّة مع الشّباب ، وفي تربيتنا للأطفال والأجيال النّاشئة لا بدّ أن نبيّن أنّ الله رحيم ؛ لكي لا ينفروا من الدّين ، فيظنّون بأنّ الله يعذّب على أقلّ الأشياء ، والآن يتمّ التّركيز على أنّ عذاب القبر هو الأصل ، توجد حيّات وعقارب بحجم الجبال ، وأنّ عذاب الآخرة هو الأصل ، مع أنّه مذكور في القرآن الكريم : **"وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ"** [1] .

وفي الرّوايات أنّ إبليس يوم القيامة يطمع في رحمة الله لما يراه من الرّحمة الإلهية ، مع أنّه يعلم أنّ مصيره إلى النّار ، ولكنه يعيش الأمل .

عن الإمام الصّادق عليه السّلام : إذا كان يوم القيامة نشر الله تبارك وتعالى رحمته حتّى يطمع إبليس في رحمته [2] .

وهذا الأمل يعيشه الإنسان أيضًا بسبب رحمة الله ، فأيّ مشكلة يقع فيها الإنسان وأيّ بلاء يُصَابُ به فإنّه دائمًا لا يترك الأمل في حلّ المشكلة ورفع البلاء ، وحتّى لو كان مصابًا بمرض خبيث ، والأطبّاء يقولون بأنّه لا علاج لهذا المرض ، لكنّه يعيش الأمل بالشّفاء ؛ لأنّه يعرف أنّ رحمة الله واسعة .

وفي كيفيّة تعامل الله مع النّاس أذكر مثالًا عرفيًّا ، وهو أنّ الأستاذ الّذي يصحّح أوراق الامتحانات يحاول أن يجد لهذا الطّالب المسكين عبارة صحيحة هنا أو هناك لكي يعطيه درجات إضافيّة لينجح في

---

[1] الأعراف : ١٥٦ .

[2] الأمالي للشّيخ الصّدوق ص٢٧٣ ح٢ .

الامتحان ، والله عزّ وجلّ أكثر من ذلك ، والطّالب الّذي يحصل على ٩٨% مثلا يرفعه الأستاذ إلى ١٠٠% ، فيتغاضى عن إجاباته الخاطئة ، هذا هو الأستاذ في المدرسة ، فما بالك بالله تعالى ، فالله تعالى أكثر من ذلك ، فإنّه تعالى يبدّل السّيّئات إلى حسنات ، ومثل رحمة الله تعالى لا يوجد لها نظير .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا" [1] .

إذن على أساس المغفرة والرّحمة يبدّل الله السّيّئات إلى حسنات ، وعلينا في الخطاب الدّينيّ أن نركّز على رحمة لله ، وبعض الملحدين يقولون بأنّنا نرى أنّ الله يعذّب على أقلّ الأشياء .

وحينما نتكلّم عن العذاب لا بدّ أن نبيّن أنّ العذاب أمر ثانويّ ، ففي القرآن في مقابل كلّ آية فيها ذكر العذاب توجد عشر آيات فيها ذكر الرّحمة ، ولكن يتمّ التّركيز على آيات العذاب ، ونتغافل عن آيات الرّحمة ، نعم الله شديد العقاب ، ولكن رحمته أكثر من عذابه ، ولا بد أن يكون التّركيز على رحمة الله ، فنقدّم الله للنّاس في العالم على أساس الرّحمة ، وحينما نقول إن الله رحيم فلا بدّ أن تظهر الرّحمة في ممارسات المسلمين ، والإنسان المسلم لا بدّ أن تكون أخلاقه مبنيّةً على أساس انعكاس صفات الله على قلبه ، فالرّحمة الإنسانيّة انعكاس

---

[1] الفرقان : ٧٠ .

للرّحمة الإلهية .

ونسأل :

هل ممارسات المسلمين اليوم تعبّر عن الرحمة الإلهية ؟

الجواب :

ممارسات المسلمين اليوم لا تعبّر تمامًا عن الرّحمة الإلهيّة ، ونغضّ الطّرف عن الإرهابيّين الّذين لا يتّصفون بأيّ رحمة ، والمسلمون مع بعضهم البعض لا يتعاملون على أساس الرّحمة ، ولو كان على أساس الرّحمة فالمفروض أنّ المسلم أخو المسلم ، والمؤمن أخو المؤمن ، فلا بدّ أن يتحرّى المسلم أحوال أخيه المسلم ، والآن نحن في الصّيف في موسم السّفر ، وعدد كبير من المسلمين يسافرون في مشارق الأرض ومغاربها لأجل السّياحة ، فنسأل : هل يفكر المسافر في أمور المسلمين الّذين يعانون الفقر ؟ هل يأتي في ذهنه ولو للحظة أنّ هناك عوائل مسلمة فقيرة تحتاج إلى مبالغ لقضاء حوائجها اليوميّة وهو يسافر لأجل السّياحة والتّرفيه مع أنّه وردت الرّواية عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله : "من أصبح لا يهتمّ بأمور المسلمين فليس بمسلم" [1] ؟

لا فقط أنّ الإنسان يعيش الأنانيّة ، أنا أريد أن أُزَفِّهَ عن نفسي ، بهذه المبالغ يمكن أن يعيش المسلمون الفقراء في راحة ، لا فقط المسلمون ، جميع النّاس في العالم ، ويوجد كثير من الفقراء من غير المسلمين ، والآن البشريّة بشكل عامّ هل تفكّر في النّاس المحتاجين في

---

[1] الكافي ج٢ ص١٦٣ ح١ .

العالم ؟

عن عليّ أمير المؤمنين عليه السلام : "إنّ الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء ، فما جاع فقير إلّا بما مُتِّعَ به غنيّ ، والله سائلهم عن ذلك" [1] .

حينما تجد هناك فقيرًا ففي المقابل هناك إنسان غنيّ صرف كثيرًا من الأموال لكي يشعر بالمتعة بدل أن يعطي هذا الفقير ، فوجود فقير واحد في العالم سِمَةُ عارٍ على جبين جميع البشر لا فقط المسلمين ، فالأموال الموجودة في العالم تكفي جميع النّاس ، وموارد الأرض تكفي جميع البشر ، فإذا وجدنا إنسانًا محرومًا فاعلم أنّه في المقابل يوجد شخص أسرف في أمواله ، فهذا الغنيّ أخذ حقّ هذا الفقير ، والله سيسأل الغنيّ عن ذلك .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِّلسَّائِلِ وَالمَحْرُومِ" [2] .

والقرآن الكريم سَمَّاهُ حقًّا للسّائل والمحروم ، وهذه الآية تتحدّث عن الصّدقات المستحبّة وتطلق عليها حقًّا ، فكيف بالأموال الواجبة الدّفع ؟!

إنّ في أموالك حقًّا للمحتاجين ، وهذه قاعدة لا بدّ أن تكون موجودة عند كلّ إنسان ، توجد حقوق للفقراء والمساكين استولى

---

[1] نهج البلاغة ج٤ ص٧٨ ح٣٢٨ .

[2] المعارج : ٢٤-٢٥ .

عليها الأغنياء ، وأنت تسعى في قضاء حوائج المؤمنين والمسلمين بل في حوائج النّاس بشكل عامّ ، فعلى كلّ إنسان أن يسعى في قضاء حوائج إخوانه في الإنسانيّة ، وأنت تَدَّعِي أنّ رسالتك الإسلامية دين عالميّ ، فالمفروض أنّ ذهنك لا يقتصر على المؤمنين والمسلمين فقط ، بل لا بدّ أن تعمل لجميع النّاس في العالم ، لذلك الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشّريف ينشر العدل في العالم ، فالإنسان الفقير غير المسلم سيحصل أيضًا على حقّه ، فالإمام عليه السّلام سَيُرْجِعُ حقوق المظلومين من النّاس لا فقط خصوص حقوق المظلومين المسلمين ، ونحن ندّعي أنّ ديننا عالميّ ، والآن على النّطاق الضّيّق من دائرة المؤمنين والمسلمين نحن لم نُغَطِّ هذه الدّائرة ، فضلًا عن دائرة النّاس بشكل عامّ ، وفي الآية : **"إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ"** [1] ، وفي الرّواية : "المسلم أخو المسلم" [2] ، فهل أنت تعمل بهذه الآية والرّواية ؟!

على الأقلّ حينما تريد أن تسافر تفكّر أنّ هناك أناسًا يحتاجون إلى هذا المال الّذي تصرفه على سفرك ، كم من ملايين الدّنانير تُصْرَفُ في هذه السّفرات مع أنّه يوجد حتّى في بلدنا عوائل محتاجة ؟

فلا بدّ أن يقضي المسلمون حوائج المسلمين بل حوائج النّاس ، فإذا لم تُقْضَ هذه الحوائج فمعنى ذلك أنّه يوجد في المقابل "ما مُتِّعَ

---

[1] الحجرات : ١٠ .

[2] الكافي ج٢ ص١٦٧ ح١١ .

به غنيّ" ، أي يوجد إسراف عند البعض .

إذن يتعامل النّاس مع بعضهم البعض على أساس الرّحمة ، ولو أنّ العالم يرى بأنّ المسلمين يتراحمون فيما بينهم لدخلوا في دين الله أفواجًا ، ولكنّ أوضاع المسلمين أوضاع سيّئة ، نقول كما يقول القرآن الكريم : **"إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ"** [1] ، ولكنّ المسلمين اليوم لا يعبِّرون عن هذا الإسلام ، ويقول المسلمون إنّ الإنسان الكافر الّذي لا يسلم يذهب إلى نار جهنّم ، فنقول بأنّك أيّها المسلم لم تعكس الصّورة الحقيقيّة لله سبحانه ، ولم تُظْهِرِ الصّورة الحقيقيّة للإسلام ، فكيف تطلب من النّاس أن يدخلوا إلى الإسلام ؟!!

يوجد تقصير من المسلمين ، وأثر هذا التّقصير هو أنّ النّاس لا يدخلون إلى الإسلام ، فهل ذاك الإنسان فقط يُحَاسَبُ أو أنت أيّها المسلم سَتُحَاسَبُ أيضًا لأنّك لم تعكس الصّورة الحقيقيّة للإسلام ؟

الآن حينما يسمع النّاس في العالم عن الإسلام فأوّل صورة تأتي إلى أذهانهم هي صورة الإرهاب ، هذه هي الصّورة المنعكسة في العالم عن الإسلام ، فذاك الإنسان غير المسلم يقول : "أنا أدخل إلى الإسلام لكي أصير إرهابيًّا" ، ألا يكون معذورًا ؟!

إذن المسلمون اليوم مسئولون عن الصّورة المنعكسة للإسلام ، فإذا عكسنا الإسلام الحقيقيّ وكان المسلمون يتعاملون فيما بينهم على أساس الإسلام فإنّه تتكوّن صورة مثاليّة عن الإسلام ، وفي هذه الحالة

---

[1] آل عمران : ١٩ .

يدخل النّاس إلى الإسلام .

وهذه الرّحمة نجدها في الرّواية التّالية :

عن أبي عبدالله الصّادق صلوات الله عليه قال : قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : ما من أهل بيت يدخل واحد منهم الجنّة إلّا دخلوا أجمعين الجنّة . قيل : وكيف ذلك ؟ قال : يَشْفَعُ فيهم فَيُشَفَّع ، حتّى يبقى الخادم فيقول : يا ربِّ ، خويدمتي قد كانت تقيني الحرّ والقرّ – أي البرد – فيشفّع فيها [1] .

وطبعا توجد شروط معيّنة ، ولكنّ المجال مفتوح للشّخص لكي يشفع لأهل بيته ، بل أكثر من ذلك ، فأقلّ ما يشفع الإنسان المؤمن في ثلاثين شخصًا ، وسيأتي بحث عن الشّفاعة لكي نبيّن شروط الشّفاعة ، وكيف يمكن لإنسان أن يشفع لإنسان آخر يوم القيامة .

عن حمران قال : سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول : إنّ الكفّار والمشركين يَرَوْنَ أهل التّوحيد في النار ، فيقولون : ما نرى توحيدكم أغنى عنكم شيئًا ، وما أنتم ونحن إلّا سواء ؟ قال : فيأنف لهم الرّبّ عزّ وجلّ ، فيقول للملائكة : اشفعوا . فيشفعون لمن شاء الله ، ويقول للمؤمنين مثل ذلك ، حتّى إذا لم يَبْقَ أحد تبلغه الشّفاعة ، قال تبارك وتعالى : أنا أرحم الرّاحمين ، اخْرُجُوا برحمتي . فيخرجون كما يخرج الفراش [2] .

---

[1] مستدرك سفينة البحار للشّيخ عليّ النّمازيّ الشّاهروديّ ج٦ ص٤ .

[2] المصدر السّابق ج٦ ص٤-٥ .

يظهر من هذه الرّواية أنّ بعض المسلمين يكونون في النّار بسبب أعمالهم ، فيوم القيامة الله تعالى يشفع ، والملائكة تشفع ، والمؤمنون يشفعون ، ويخرجون من النّار كما يخرج الفراش حينما تطير تخرج في مجموعات ، وطبعا توجد شروط معيّنة ، والله برحمته سيخرج مجموعة من أهل النّار ويدخلهم إلى الجنّة برحمته ، ولا بدّ أن نبيّن أنّ الله رحيم بعباده في الدّنيا والآخرة .

إن الصّورة الحقيقيّة لله عزّ وجلّ جاذبة لجميع البشريّة ، ولكنّ المسلمين اليوم نقلوا صورة أخرى لله سبحانه بحيث لا يقبله النّاس في العالم ، فنقلوا في الرّوايات ما يفيد أنّ الله يعذّب على أقلّ شيء ، وأنّ من يفعل بعض الأمور الصّغيرة فإنّه يكون خالدًا في نار جهنّم ، وأنّ التّوبة لا تُقْبَلُ في بعض الحالات ، فأظهروا الله سبحانه بصورة القاسي المعذِّب الشّديد العقاب ، ولكنّ الصّورة الحقيقيّة لله تعالى هي أنّ رحمتَه سبقت غضبَه ، وأنّه أرحم الرّاحمين ، وأنّ رحمته وسعت كلّ شيء ، والله يحبّ عباده ، ويريد لهم الخير دائمًا ، ويرحم حتّى الّذين ينكرون وجوده سبحانه ، فيرزقهم ويشفيهم من الأمراض ويقضي حوائجهم لعلّهم يلتفتون إليه ، وينبّههم مرّات ومرّات ، وكأن الله يقول لكلّ إنسان : أنا هنا بجنبك أرعاك ، وكلّما تحتاجني فأنا أقضي حاجتك ، وأنا أهتمّ بك ، فالتفت إليّ ، فأنا الرّب الرّحيم بك لا الجبّار المنتقم ، حتّى وأنت لا تؤمن بي ، ولكن أنا موجود أراك وأرعاك ولا أنتقم منك .

هذا هو إله جميع النّاس ، الإله الرّحيم بهم ، القاضي لحوائجهم ، الشّافي لأمراضهم ، الرّازق لهم ، والبعض من الّذين دخلوا في الإلحاد كان بسبب أنّ المسلمين طرحوا الله بأنّه شديد العقاب في الدّنيا والآخرة ، فقالوا هكذا إله لا نريده ، فالإله لا بدّ أن يكون رحيمًا بعباده ، عطوفًا عليهم ، مُحِبًّا لهم ، يريد الخير لهم ، فالمسلمون أعطوا صورة زائفة عن الله سبحانه ، فبعض الملحدين لم يلحدوا بشكل مطلق بالله ، وإنّما ألحدوا بهذا الإله الشّديد العقاب الّذي يعذّب على أقلّ شيء ، والّذي ينتقم من النّاس ، فهم يريدون إلهًا رحيمًا ، فهم في الواقع ليسوا ملحدين بالله الرّحيم بعباده ، وإنّما ألحدوا بالإله الّذي أعطى المسلمون له صورة زائفة ، نعم لو قالوا برفض الإله الرّحيم يكونون ملحدين ، فبعضهم يُطْلَقُ عليهم "ملحدون" وهم في الواقع ليسوا ملحدين ، وحتّى دوكينز رأس الإلحاد سيتبيّن لاحقًا أنّه ليس ملحدًا ، وإنّما هو من اللّاأدريّين ، ولكنّه من ناحية عمليّة يتعامل كأنّ الإله غير موجود ، وسنأتي بكلماته من كتبه فيما بعد .

سؤال : الإنسان المؤمن حينما يتعامل مع الله هل يتعامل على أساس الخوف من الله أو على أساس الحب لله ؟

الجواب :

يقول الله تعالى :

"وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا للهِ" [1] .

---

[1] البقرة : ١٦٥ .

انطلاقة المؤمن تكون من حبّ الله لا من الخوف ، فالإيمان يؤدّي إلى شدّة الحب لله لا إلى شدّة الخوف من الله ، وإذا كان على أساس الحبّ من جهة المؤمن ، فمن جهة الله هذا الحبّ يُقَابَلُ بالرّحمة ، حبّ من العبد ، ورحمة من الله ، ولو كان على أساس الخوف من جهة العبد فيكون على أساس العقاب من جهة الله ، فالحبّ يتناسب مع الرّحمة ، والخوف يتناسب مع العقاب .

ولو بيّنّا للعالم أنّ الله هو الرّحيم بالنّاس لآمنوا به بكلّ سهولة ، ولحلّت جميع الإشكالات الّتي تطرح بناءً على أنّ الله شديد العقاب فقط ، لذلك تأتي إشكالات الشّرور والفيضانات والبراكين والأمراض وانتشار ظلم الإنسان لأخيه الإنسان في العالم ، وحينما نأتي إلى بحث الشّرور سنبيّن أنّ هذه الشرور هل هي في واقعها شرور أو لا ، وحينما يأتي الله بالأمراض والبراكين فهل يكون على أساس العقاب أو على أساس الرّحمة ، ومن صفات الله أنّه "سَبَقَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبَهُ" .

من أدعية يوم عرفة :

. . . هذا مكان البائس الفقير ، هذا مكان المضطرّ إلى رحمتك ، هذا مكان المستجير بعفوك من عقوبتك ، هذا مكان العائذ بك منك ، أعوذ برضاك من سخطك ، ومن فجأة نقمتك ، يا أملي ، يا رجائي ، يا خير مستغاث ، يا أجود المعطين ، **يَا مَنْ سَبَقَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبَهُ** ، يا سيّدي ومولاي وثقتي ورجائي . . . [1] .

---

[1] مصباح المتهجّد للشّيخ الطّوسيّ ص٦٩٥-٦٩٦ .

ونرى في الدّعاء أنّ الانطلاقة تكون من الرّحمة والعفو والرّضا والأمل والرّجاء والجود ، وحينما يسمع الإنسان هذه الكلمات فإنّ نفسه تشتاق إلى الله الرّحيم وإلى صفاته المبنيّة على الرّحمة .

من دعاء الجوشن الكبير :

. . . يا من لا سلطانَ إلا سلطانُه ، **يا من وَسِعَتْ كلَّ شيءٍ رحمتُهُ ، يا مَنْ سَبَقَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبَهُ** ، يا من أحاط بكلّ شئ عِلْمُهُ ، يا من ليس أحدٌ مثلَه . . . [1] .

عن زرارة عن أبي جعفر عليه السّلام قال : إذا قمت باللّيل من منامك فقل : الحمد لله الّذي ردّ عليّ روحي لأحمدَه وأعبدَه ، فإذا سمعت صوت الدّيك فقل : سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ ربّ الملائكة والرّوح ، **سَبَقَتْ رَحْمَتُكَ غَضَبَكَ** ، لا إله إلّا أنت وحدك ، عملت سوءًا وظلمت نفسي فاغفر لي ، فإنّه لا يغفر الذّنوب إلّا أنت ، فإذا قمت فانظر في آفاق السماء وقل : اللّهم لا يواري منك لَيْلٌ داجٍ ، ولا سماءٌ ذاتُ أبراجٍ ، ولا أرضٌ ذاتٌ مهادٍ ، ولا ظلماتٌ بعضُها فوقَ بعضٍ ، ولا بحرٌ لُجّيٌّ تدلج بين يدي المدلج من خلقك ، تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصّدور ، غارت النّجوم ، ونامت العيون ، وأنت الحيّ القيّوم ، لا تأخذك سِنَةٌ ولا نوم ، سبحان ربّي ربّ العالمين ، وإله المرسلين ، والحمد الله ربّ العالمين [2] .

---

[1] بحار الأنوار ج٩١ ص٣٨٦ .

[2] الكافي ج٢ ص٥٣٨ح١٢ .

الرّحمة بالحيوان :

المطلوب من جميع النّاس الرّحمة بالحيوان ، والإسلام يدعو إلى الرّحمة بالحيوان ، واللّجان الّتي تدعو إلى حقوق الحيوان المفروض أن تكون عند المسلمين ، وبالطّبع أوّلًا لجان حقوق الإنسان ، وفي الغرب إذا وقعت حرب في مكان في العالم وَقُتِلَ النّاس والحيوانات فإنّ لجان حقوق الحيوان تعترض على قتل الحيوانات ، ولا تتكلم عن قتل الإنسان ، ولجان حقوق الإنسان المفروض أن تكون عند المسلمين .

عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله : نَظِّفُوا مَرَابِضَ الغَنَمِ ، وامسحوا رُغَامَهُنَّ [1] .

عن الإمام الصّادق عليه السّلام : للدّابّة على صاحبها ستّة حقوق : لا يُحَمِّلُهَا فوق طاقتها ، ولا يتّخذ ظهرها مجالس يتحدّث عليها ، ويبدأ بعلفها إذا نزل ، ولا يَسِمُها ، ولا يضربها في وجهها فإنّها تسبّح ، ويعرض عليها الماء إذا مرّ به [2] .

حقوق الدّابّة التي ذكرها الإمام الصّادق عليه السلام :

١- لا يحمّلها فوق طاقتها : أي لا يحمل عليها أكثر مما تتحمّل .

٢- لا يتّخذ ظهرها مجالس يتحدّث عليها : أي إذا التقى شخصان وكان كلّ منهما على ظهر دابّته فعليهما أن ينزلا من الدّابّة ويتحدّثا .

---

[1] وسائل الشّيعة للحرّ العامليّ ج٨ ص٣٧٥ ح١٠ ، مرابِض الغنم : حظيرة الحيوانات ، الرُّغَامُ : ما يخرج من الأنف .

[2] الكافي ج٦ ص٥٣٧ ح١ .

٣- يبدأ بعلفها إذا نزل : أي أوّلًا طعام الحيوان قبل طعامه هو .

٤- لا يَسِمُها : أي لا يضع عليها علامة أو شعارًا عن طريق الكيّ بحديدة حارّة ، وهذا محرّم لأنّه يسبّب عذابًا للحيوان .

٥- لا يضربها في وجهها فإنّها تسبّح : فالحيوانات تسبّح الله ، ولكن لا نعرف كيفيّة تسبيحها ، فكلّ الكائنات تعبد الله تعالى .

٦- يعرض عليها الماء إذا مرّ به : أي إذا مرّ بمكان فيه ماء كنهر أو غدير فإنّه يترك هذا الحيوان ليشرب الماء .

وفي رواية عن الإمام الصّادق عليه السلام : ولا يضربها على النّفار [١] .

أي إذا نَفَرَتِ الدّابّة فلا يضربها بسبب النِّفَار ، ونَفَرَتِ الدّابّة : جَزَعَتْ وَتَبَاعَدَتْ .

والحمدلله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

---

[١] الأمالي للشّيخ الصّدوق ص٥٩٧ ح٢ .

عالميّة الإسلام

(٢١)

الرّحمة النّبويّة [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمدلله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

إنّ مشروع عالميّة الإسلام من المواضيع المهمّة جدًّا ، وخاصّة في زماننا الحاليّ حيث نرى أنّ هناك هجومًا كبيرًا على الإسلام والقرآن ، وتوجد تساؤلات كثيرة تحتاج إلى أجوبة ، ونحن نقول بأنّ الإسلام صالح لكلّ زمان ومكان ، وهذه المقولة تحتاج إلى إثبات ، فهو ادّعاء ، والادّعاءات تحتاج إلى إثباتات ، وليست هذه المقولة أمرًا بديهيًّا ، وفي الشّرق والغرب يتساءلون كثيرًا عن الإسلام ، فلا بدّ أن تكون عندنا بحوث تثبت عالميّة الإسلام ، وهذه البحوث لا بدّ أن يقوم بها العلماء الأفاضل ؛ لكي نقدّم أطروحة الإسلام للعالم ، وهذا يمهّد لظهور الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشّريف .

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ١٩ ذو الحجّة ١٤٣٩ هـ الموافق ٢٠١٨/٨/٣١ م .

إذن هذا المشروع مشروع كبير جدًّا ، وفيه جوانب كثيرة ، وسوف نطرح مقدارًا وجزءًا من هذه الجوانب ، ونقدّم الأطروحة المناسبة لعالميّة الإسلام حسب وجهة نظري ، واختلاف وجهات الأنظار أمر طبيعيّ باعتبار أنّ البحث نظريّ ، ومن الطّبيعيّ في أيّ بحث نظريّ أن يوجد اختلاف في الآراء ، فالمشروع مشروع كبير ويحتاج إلى بحوث كثيرة ؛ لكي يمكننا تقديم الإسلام للعالم بحيث إنّ البشريّة تتقبّل الإسلام ، ولا بدّ أن يكون ما نقدّمه متناسبًا مع فطرة الإنسان أو عقل الإنسان أو أعراف الإنسان لكي يكون موضع القبول من جميع النّاس .

وأوّل ما نأتي إليه هو القرآن الكريم ، ولا بدّ أن نستخرج المبادئ الإنسانيّة العامّة ؛ لكي نبيّن أنّ الإسلام لا يفترق عن هذه المبادئ ، وإذا وجدنا حكمًا يختلف مع هذه المبادئ فلا بدّ أن نراجع هذا الحكم ، وهناك مجموعة من المسائل الّتي لا تتقبّلها النّفس البشريّة ، منها قتل المرتدّ ، فالنّفوس لا تتقبّل هذا الحكم حتّى الإنسان المسلم لا يقبل ، فلا بدّ أن نوفّق بين أنّ القرآن لم يطرح حكم المرتدّ ، ولكن هناك روايات طرحت هذا الحكم ، وفي البداية نرى أنّ النّفس البشريّة لا تتقبّل ، يقولون أنت تدخل الإسلام ، ولكن إذا أردت أن تخرج منه فإنّك تُقْتَلُ ، أو أنّك مولود من أبوين مسلمين ، ولا تريد الإسلام فإنّك تُقْتَلُ ، والنّفس البشريّة حينما تسمع هذا الحكم لا تتقبّله ، فلا بدّ أوّلًا أن نرجع إلى القرآن الكريم لكي نستخرج الأسس

الّتي على أساسها نتحرّك في كلّ موضوع ، وأصول الأحكام موجودة في القرآن ، وبعد ذلك نأتي إلى الرّوايات ، فإذا وجدنا شيئًا في الرّوايات لم يطرحه القرآن فلا بدّ أن نوفّق بين عدم طرح القرآن لهذا الحكم وبين طرح الرّوايات لهذا الحكم ، ونحتاج إلى نوع من التّوفيق بينهما ، وإذا يوجد تعارض أوّليّ غير مستقرّ فنحاول أن نوفّق بينهما ، وأمّا إذا كان التّعارض تامًّا مستقرًّا بحيث لا يمكن علاجه ، فنقدّم القرآن على الرّوايات ، فالقرآن هو الأصل ، وَنُقَيِّمُ الرّوايات على أساس القرآن ، وأصول الأحكام موجودة في القرآن ، ونجعل القرآن حَكَمًا وَقَاضِيًا على الرّوايات لا العكس ، فالرّوايات لا تكون حَكَمًا وَقَاضِيًا على القرآن الكريم .

نتحدّث اللّيلة عن الرّحمة النّبويّة ، وصفة الرّحمة صفة من صفات النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، وحينما نأتي إلى بحث النّبوّة سنأتي إلى القرآن لنستخرج منه صفات النّبيّ صلّى الله عليه وآله بالتّفصيل ، وكذلك الأحداث التّاريخيّة الّتي حصلت للنّبيّ صلّى الله عليه وآله نستخرجها من القرآن ، وسيأتي بحث مستقل عن هذا الموضوع ، فنستخرج الأسس العامّة للنّبوّة ، وبعد ذلك نأتي إلى الرّوايات والقصص لكي نرى أنّ الرّوايات والقصص هل تتّفق مع القرآن الكريم أو لا ، وتوجد بعض الأحداث التّاريخيّة الّتي لا تتناسب مع صفات النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، وسنذكر حادثةً أو حادثتين من الحوادث المذكورة عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، ونأتي إلى القرآن لنرى أنّ هذه

الحوادث هل تتوافق مع رحمة النّبيّ صلّى الله عليه وآله أو لا ، ونبيّن حادثة من هذه الحوادث وقصّة من القصص بعد تأسيس الأسس القرآنيّة ، ويمكنكم مراجعة كتاب "الصّحيح من سيرة النّبيّ صلّى الله عليه وآله" للسيّد جعفر مرتضى العامليّ ، وكتاب "سيرة سيّد المرسلين" للشّيخ جعفر السّبحاني ، و"موسوعة التّاريخ الإسلاميّ" للشّيخ هادي اليوسفي ، حفظهم الله ، وهذه الكتب نافعة جدًّا .

من صفات النّبيّ صلّى الله عليه وآله في القرآن :

"فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّلِينَ" [1] .

"**فَبِمَا رَحْمَةٍ**" ما زائدة ، إذا ألغيتها فلا تؤثّر في المعنى ، والمعنى هو "فَبِرَحْمَةٍ" ، "**مِنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ**" أي أنّ لِينَكَ لهم يؤدّي إلى دخولهم في الإسلام ، وهذه الرّحمة من الله ، فالرّحمة النّبويّة انعكاس من الرّحمة الإلهيّة ، فالله فاض على النّبيّ صلّى الله عليه وآله هذه الرّحمة ، "**وَلَوْ كُنتَ فَظًّا**" أي فيك جفاء وسوء خُلُقٍ ، و"**غَلِيظَ القَلْبِ**" أي قاسي الفؤاد غير ذي رحمة ، "**لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**" ، وتفرّق عنك المحيطون بك حتّى المقرّبون ، "**فَاعْفُ عَنْهُمْ**" ما بينك وبينهم من الأمور ، "**وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ**" ما بينهم وبين الله ، فتستغفر لهم بسبب ذنوبهم [2] .

---

[1] آل عمران : ١٥٩ .

[2] راجع مجمع البيان للشّيخ الطّبرسيّ ج٤ ص٥١٢ .

"وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ" [1] .

"وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ" ، أي يستمع ، تقول هذا الشّخص أُذُنٌ أي يستمع إليك ، فتذكر آلة السّمع وقصدك الاستماع ، فتأتي بعضو من الأعضاء وتجعله صفةً للإنسان ، مثل الجاسوس تقول هو عَيْنٌ ، فتذكر العضو الّذي بواسطته يَرَى ، فهو صلّى الله عليه وآله أُذُنٌ فيستمع إلى ما يقال له ويصغي إليه ويقبله ، **"قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ"** أي يستمع إلى ما هو خير لكم وهو الوحي ، أو هو يسمع الخير ويعمل به ، **"يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ"** أي لا يضرّه كونه أذنا فإنّه أذن خير لا يقبل إلّا الخير الصّادق من الله تعالى ، ويصدّق المؤمنين أيضًا يخبرونه ويقبل منهم دون المنافقين ، وقيل : **"يُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ"** أي يؤمنهم فيما يلقي إليهم من الأمان ، فيعطيهم الأمان ، **"وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ"** أي وهو رحمة لهم ؛ لأنّهم نالوا الإيمان بهدايته ودعائه إيّاهم [2] .

"فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ" [3] .

"ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ" [4] .

---

[1] التّوبة : ٦١ .

[2] راجع مجمع البيان ج٥ ص٤٤-٤٥ .

[3] فاطر : ٨ .

[4] القلم : ١-٤ .

قوله تعالى : "**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**" ، ينفعنا في موارد كثيرة ، وهو مهمّ جدًّا ، فأيّ حدث تاريخيّ مذكور في الكتب نسأل : هل هذا الحدث يتناسب مع أخلاق النّبيّ صلّى الله عليه وآله أو لا ؟

"**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**" أي على دين عظيم ، وقيل : معناه إنّك متخلّق بأخلاق الإسلام ، وعلى طبع كريم ، وقيل : سُمِّيَ خلقه عظيمًا لاجتماع مكارم الأخلاق فيه ، وروي عنه صلّى الله عليه وآله أنّه قال : "إنما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق" ، وروي عنه صلّى الله عليه وآله : "أدّبني ربّي فأحسن تأديبي" ، فالنّبيّ صلّى الله عليه وآله مجمع لجميع مكارم الأخلاق [1] .

وهذا أصل قرآنيّ ، ونقيس الرّوايات والقصص على هذا الأصل ، فالنّبيّ صلّى الله عليه وآله على خُلُقٍ عظيم ، وصفة الرّحمة من خلقه العظيم .

أمثلة من رحمة النّبيّ صلّى الله عليه وآله :

رحمة النّبيّ صلّى الله عليه وآله مع الجارية :

عن الإمام الصّادق عليه السّلام قال : جاء رجل إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وقد بَلِيَ ثوبه (أي ثوب النّبيّ) ، فحمل (أي الرّجل) إليه اثني عشر درهمًا (أي الرّجلُ أعطى النبيَّ) ، فقال صلّى الله عليه وآله : يا عليّ ، خذ هذه الدّراهم فاشْتَرْ لي ثوبًا ألبسه . قال عليّ عليه السّلام : فجئت إلى السّوق فاشتريت له (أي للنّبيّ) قميصًا

---

[1] راجع مجمع البيان ج١٠ ص٣٣٣-٣٣٤ .

باثني عشر درهمًا ، وجئت به إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فنظر إليه (أي نظر النّبيّ إلى الثوب) . فقال : يا علي ، غَيْرُ هذا أَحَبُّ إليّ ، أَتَرَى صاحبُه يُقِيلُنَا ؟ (يُقِيلُنَا أي يقبل أن يأخذ الثّوب ويردّ الثّمن ، فلا بدّ أن يُقِيلَهُ لأنّ عقد البيع قد تمّ ، ولا يمكن للمشتري أن يفسخ العقد إلّا برضا البائع ، نعم إذا كانت البضاعة فاسدةً فيجب على البائع القبول بإرجاع البضاعة لأنّ العقد باطل ، وأمام المشتري ثلاثة أيّام لإرجاع البضاعة ، وإذا لم يرجعها خلال ثلاثة أيّام فإنّ حقّ المشتري يسقط ويتمّ البيع ، فمعناه رضا المشتري بالبضاعة مع عيبها ، والنّبيّ صلّى الله عليه وآله يريد ثوبًا بقيمة أقلّ ، وهذا يعطينا درسًا ، بالنّسبة لثيابنا اليوم سعر القماش يختلف ، قد تجد المتر بأربعة دنانير ، وقد تجد المتر بستّين دينارًا أو أكثر من ذلك ، بالطّبع تقتصر على القليل الثّمن مع جودته أيضًا ، فلا تشتري قماشًا يَبْلَى بسرعة ، ولكن لا تشتري قماشًا يبقى معك ثلاثين سنة ، فتشتري قماشًا يظلّ معك سنتين أو ثلاثة مثلًا ، والبعض يدفع كثيرًا من الأموال في خياطة الثّوب) فقلت : لا أدري . فقال صلّى الله عليه وآله : انْظُرْ . فجئت إلى صاحبه فقلت : إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قد كَرِهَ هذا ، يريد ثوبًا غيره فَأَقِلْنَا فيه . فردّ عليّ الدّراهم ، وجئت بها (أي بالدّراهم) إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فمشى معي إلى السّوق ليبتاع قميصًا ، فنظر (أي النّبيّ) إلى جارية قاعدة على الطّريق تبكي ، فقال لها رسول الله صلّى الله عليه

وآله : ما شَأْنُكِ (النّبيّ صلّى الله عليه وآله التفت إليها ولم يتركها ، فهو صلّى الله عليه وآله يهتمّ بأمور المسلمين ، فإذا رأيت شخصًا يبكي فاسأله عن سبب بكائه لتعرف السّبب ، وقد يكون الحلّ بيدك ، ترى في التّلفاز مناظر لأطفال يبكون ، هذه المناظر تهزّ مشاعرك ، لا فقط ناحية عاطفيّة ، لا بدّ أن تسأل نفسك : ماذا أستطيع أن أفعل لهم بحسب إمكاناتي ؟ ، لا بدّ أن تهتمّ بأمورهم ، والبعض تتحرّك عنده العاطفة لفترة قصيرة ، وبعد ذلك ينسى الموضوع ، لا بدّ أن يتحرّك للمساهمة في حلّ المشاكل ، وما أكثر المناظر اليوم في القنوات الفضائيّة لشعوب تُقْتَلُ ، حركة عاطفيّة ، وحركة عمليّة ، وهذا تكليف على كلّ إنسان يرى هذه المناظر ، وبعض النّاس يسافرون ولا يهتمّون بأمور المسلمين ، والمطلوب الاهتمام بالمستضعفين المسلمين وغير المسلمين ، فديننا عالميّ ، والبعض يسافرون خلال أسبوع أو أسبوعين ويصرفون خمسة آلاف دينار أو أكثر ، ولكنّهم لا يفكّرون أنّ هناك مسلمين وغير مسلمين يحتاجون إلى هذه الأموال ، فيسافرون للسّياحة والتّرفيه ، حتّى الّذي يذهب إلى زيارة الأماكن المقدّسة لا بدّ أن يفكّر أيضًا بأمور المستضعفين والمظلومين في العالم لكي يساهم في حلّ مشاكل النّاس ، يوجد تكليف على كلّ مسلم بل على كلّ إنسان بأن يقضي حوائج إخوانه في الإنسانيّة ، فساهم في قضاء حوائج النّاس ، وبعد ذلك سافر ، ولكن ما دام أنّ حوائج المسلمين وغير المسلمين لم تُقْضَ ،

فالتّكليف على كلّ إنسان من باب الوجوب الكفائيّ أن يقضي حوائج النّاس ، والوجوب الكفائيّ هو ما إذا قام به العدد الكافي فيسقط عن الباقين ، ولكن إذا ظلّت الحوائج موجودةً فالتّكليف باقٍ على جميع المسلمين بل على جميع النّاس ، وهم محاسبون على وجود فقير بينهم ، فلا تظن أنّك بلا تكليف تجاه حوائج النّاس) ؟ قالت : يا رسول الله ، إنّ أهلي أعطوني أربعة دراهم لأشتري لهم بها حاجة فضاعت ، فلا أجسر أن أرجع إليهم . فأعطاها رسول الله صلّى الله عليه وآله أربعة دراهم (مباشرةً بدون أيّ تردّد ، والنّبيّ صلّى الله عليه وآله صدّقها لأنّه أدرك أنّها صادقة ، وبالنّسبة لك لا بدّ أن تتحقّق من كلام الشّخص حينما تريد أن تعطيه مالًا ، لا أن تعطي أيّ متسوّلٍ وأنت لا تعرفه ؛ لأنّك قد تشجّعهم على التّسوّل ، فليس كلّ متسوّل يكون فقيرًا واقعًا) ، وقال : ارجعي إلى أهلك . ومضى رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى السّوق فاشترى قميصًا بأربعة دراهم ، ولبسه وحمد الله (ونحن أيضًا لا بدّ أن نحمد الله ونشكره حينما يصير عندنا شيء جديد ، لا فقط أن ننظر إلى جمالنا في المرآة ، يقول الله تعالى : **"لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ"** [1]) ، وخرج فرأى رجلًا عريانًا يقول : من كساني كساه الله من ثياب الجنّة . فخلع رسول الله صلّى الله عليه وآله قميصه الّذي اشتراه وكساه السّائل (في زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله كان من الصّعب على بعض النّاس أن يشتروا الثّياب ،

---

[1] إبراهيم : ٧ .

وفيما يُنْقَلُ أنّ بعض المسلمين حينما يصلّون كانوا يلبسون ثوبًا يغطّي إلى السّاق ، وحينما ينزلون إلى السّجود تظهر عوراتهم ، ومن يصلّي خلفه ينتظر إلى أن يقوم مَنْ أمامه من السّجود ثمّ يقوم هو ، والفقر كان منتشرًا في ذاك الزّمان) ، ثمّ رجع إلى السّوق فاشترى بالأربعة الّتي بقيت قميصًا آخر ، فلبسه وحمد الله ، ورجع إلى منزله وإذا الجارية قاعدة على الطّريق تبكى ، فقال لها رسول الله صلّى الله عليه وآله : ما لك لا تأتين أهلك ؟ قالت : يا رسول الله ، إنّي قد أبطأت عليهم (أي تأخّرت عليهم) وأخاف أن يضربوني . فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : مُرِّي بين يديّ ودلّيني على أهلك . فجاء رسول الله صلّى الله عليه وآله حتّى وقف على باب دارهم ، ثمّ قال : السّلام عليكم يا أهل الدّار . فلم يجيبوه ، فأعاد السّلام فلم يجيبوه ، فأعاد السّلام فقالوا : عليك السّلام يا رسول الله ورحمة الله وبركاته . فقال لهم : ما لكم تركتم إجابتي في أوّل السّلام والثّاني ؟ قالوا : يا رسول الله ، سمعنا سلامك فأحببنا أن تستكثر منه . فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : إنّ هذه الجارية أبطأت عليكم ، فلا تؤاخذوها . فقالوا : يا رسول الله ، هي حرّة لمشاك (فأعتقوها كرامةً لمجيء رسول الله صلّى الله عليه وآله ، والآن تصوّر عالمًا من العلماء يذهب في وساطة لشخص معيّن ، يريد أن يتوسّط بين زوجين بينهما مشاكل ، فهل يقبلون وساطة العالم ويعيشان بلا مشاكل كرامةً لمجيء العالم ؟ ، بشكل عامّ لا يقبل النّاس ، وأحيانًا يأتي بعض الأزواج فأقول لهم بأنّي

أحلّ مشكلتكم في ثلاثين ثانية فهل أنتما مستعدّان لتطبيق الحلّ ؟ يقولون نعم ، ونعطيهم الحلّ ، ولكن للأسف لا يلتزمان بالحلّ الّذي طرحناه لهما ، وبعد فترة أسمع أنّه وقع الطّلاق بينهما) . فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : الحمد لله ، ما رأيت اثني عشر درهمًا أعظم بركةً من هذه ، كسى الله بها عريانين (أي هو صلّى الله عليه وآله والفقير) ، وأعتق بها نسمة (فالجارية صارت حرّة ، وأنت تملك أموالًا ، ويمكن أن تجعل البركة في أموالك بحسب الموارد الّتي تصرفها فيها ، والبعض يقول معاشي إلى نصف الشّهر ينتهي ، والسّبب هو أنّه لا يجعل البركة في ماله ، لو كان يجعل البركة في ماله فهذا المال يبقى شيء منه في آخر الشّهر ، فالبركة لها أثر ، اجعل جزءًا من هذه الأموال للمحتاجين ، فالله يجعل البركة في مالك ، سترى أنّ مالك يبقى إلى آخر الشّهر ببركة الصّدقات ، وبشكل عامّ النّاس لا يعطون قيمةً كبيرةً للصّدقات ، وبعض المؤمنين يتصدّون لحلّ مشاكل النّاس ، ولكن أكثر المؤمنين والمسلمين يفكّرون بأنفسهم فقط ، سعادتي وسعادة أولادي فقط ، ولا يفكّر أنّه يوجد أولاد يدرسون ويحتاجون إلى دفع أقساط المدرسة ، وبعض المسلمين مرضى يحتاجون إلى علاج ودفع مصاريف المستشفى ، وبعضهم يعيش بدون مكيّفات تبريد في الجوّ الحارّ ، أو بدون تدفئة في الجوّ البارد ، كم مسلم يتصدّى لحلّ مشاكل الناس ؟ كم مسلم مستعدّ أن يلغي السّفر ويجعل مال السّفر قربةً إلى الله عزّ وجلّ في قضاء حوائج المحتاجين ، ولا تجد إلّا

ما ندر) [1] .

رحمة النّبيّ صلّى الله عليه وآله مع اليهوديّ :

عن عليّ أمير المؤمنين عليه السّلام قال : إنّ يهوديًّا كان له على رسول الله صلّى الله عليه وآله دنانير فتقاضاه ، فقال له : يا يهوديّ ، ما عندي ما أعطيك . فقال : فإنّي لا أفارقك – يا محمّد – حتّى تقضيني . فقال : إذن أجلس معك . فجلس معه حتّى صلّى في ذلك الموضع الظّهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والغداة ، وكان أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله يتهدّدونه ويتواعدونه (ليس من حقّ المسلمين أن يهدّدوا اليهوديّ لأنّ الحقّ معه ، وهو يطالب بحقّه لأنّه قد حان موعد تسديد القرض ، إلّا إذا قبل أن يؤجّل) ، فنظر رسول الله صلّى الله عليه وآله إليهم فقال : ما الّذي تصنعون به ؟ فقالوا : يا رسول الله ، يهوديّ يحبسك . فقال صلّى الله عليه وآله : لم يبعثني ربّي عزّ وجلّ بأن أظلم معاهدًا ولا غيره . فلمّا علا النّهار قال اليهوديّ : أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله (دخل الإسلام بسبب أخلاق النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، والآن لو أنّ أخلاق المسلمين كانت أخلاقًا إسلاميّة لدخل النّاس إلى الإسلام ، ولكن المسلمين فاشلون ، وأوضاع المسلمين اليوم لا تعبّر عن الإسلام ، تجد أفرادًا يلتزمون بالأخلاق ، ولكنّهم لا يشكّلون ظاهرةً عامّةً في المجتمع ، لو كان الإسلام مطبّقًا بين المسلمين وكانت

---

[1] الأمالي للشّيخ الصّدوق ص١٤٤ .

ظاهرةً عامّةً وكانت أخلاقهم تعبِّر عن الأخلاق الإسلاميّة لأسلم العالم ، ولكنّ المسلمين متخلّفون ، ولو نطلب من النّاس في العالم أن يدخلوا إلى الإسلام فإنّهم يردّون علينا بأنّكم تريدون منّا أن نكون مسلمين لكي نصير مثلكم ، لنتحوّل إلى إرهابيّين ومتخلّفين ؛ لأنّ صورة المسلمين اليوم في العالم ليست حسنة ، إذا كان المسلمون يريدون من العالم أن يسلم ويريدون الإسلام ينتشر في العالم ويثبتون عالميّة الإسلام فلا بدّ أوّلًا أن يلتزم المسلمون بالإسلام ، ولكن أيّ إسلام ؟ هل الإسلام الإرهابيّ ؟

الإسلام الإرهابيّ موجود ضمن نظريّة بعض المسلمين ، فبعض من يحسب على علماء الدّين يطرحون الإسلام على أنّه دين إرهاب ، ويستدلون بالقرآن الكريم :

"تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ" [1] .

ويقولون بأنّه إذا فعل كذا يُسْتَتَابُ ، وإذا لم يَتُبْ يُقْتَل ، ومن الأمثلة أنّ المصلي إذا أراد أن يصلّي وجهر بالنّيّة فإنّه يُسْتَتَابُ ، وإذا لم يَتُبْ يُقْتَل ، وإذا مسلم يأكل الحيّات والعقارب يُسْتَتَابُ ، وإذا لم يَتُبْ يُقْتَل ، وبعض مدارس المسلمين تتبنّى مثل هذه الأحكام ، ومن خلف هؤلاء الإرهابيّين توجد نظريّة محسوبة على الإسلام ، والإرهابيّون يأتون بآيات وروايات وأقوال لبعض العلماء ، فمن خلال الآيات والرّوايات وأقوال العلماء أسّسوا لهم نظريّة تدعو إلى الإرهاب

---

[1] الأنفال : ٦٠ .

والقتل ، وفي مقابل هؤلاء إذا أردنا أن ننشر الإسلام في العالم نحتاج إلى نظريّة أخرى نستخرجها من القرآن والرّوايات وأقوال العلماء الآخرين بحيث نبيّن أنّ الإسلام دين رحمة ، وأنّه لا يدعو إلى الإرهاب والقتل .

وفي هذه المحاضرات نحاول أن نبيّن أنّ الإسلام دين الرّحمة ، وأنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله نبيّ الرّحمة ، وأنّ الإسلام فيه قابليّة الانتشار في العالم ، ولكن لا بدّ من أن نقرأ الإسلام قراءة جديدة ، فبعض أحكام الإسلام تحتاج إلى تجديد ، والإسلام له قراءات متعدّدة ، وكلّ مدرسة أو مذهب له قراءة معيّنة عن الإسلام ، فالنّصوص ثابتة ، ولكنّ القراءات والأفهام مختلفة ، فهل يمكن لنا الآن أن نقدّم قراءة جديدة للإسلام أو لا يمكن ؟

لا فقط تجديد الخطاب الدّينيّ ، بل تجديد الفكر الدّينيّ أيضًا ، وهذا سيأتي في موضوع مستقلّ ، فبعض الأحكام مطروحة اليوم ، فهل يمكن من خلال الدّليل أن نقول إنّ هذا الدليل لا يدلّ على هذا الحكم بل يدلّ على حكم آخر ؟

مثلًا حكم قتل المرتدّ ، كيف يمكن أن نعالج هذا الحكم ؟

حكم قتل المرتدّ لا يُقْبَلُ عالميًّا ، لا فقط من غير المسلمين ، بل حتّى من المسلمين ، وتوجد أيضًا أحكام أخرى ، وهذه البحوث نطرحها حينما نأتي إلى أحكام الفقه العمليّ ، فمنهج البحث أنّنا نبدأ بالفقه العقائديّ ثمّ الفقه الأخلاقيّ ثمّ الفقه العمليّ ، مع أنّ

الفقه العمليّ والأحكام الموجودة في الرّسالة العمليّة هي الموضوع الحسّاس ، مثلًا الإنسان الكافر يُعْرَضُ عليه الإسلام فإمّا أن يُسْلِمَ وإمّا أن يُقْتَلَ ، وبالنّسبة لأهل الكتاب إمّا أن يُسْلِمَ وإمّا أن يدفع الجزية وإمّا أن يُقْتَلَ ، وحينما يطرح المسلمون اليوم هذه الأحكام فإنّ الإسلام لا يُتَقَبَّلُ عالميًّا .

مثل هذه الأحكام كيف يمكن أن نطرحها ؟ وهل هي بالفعل أحكام إسلاميّة ثابتة ؟ وهل توجد أدلّة على هذه الأحكام أو أنّها دالّة على أحكام أخرى ؟

حتّى المسلم حينما يسمع هذه الأحكام لا يقبلها ، فما بالك بغير المسلم ؟

لذلك تُطْرَحُ إشكالات على هذه الأحكام ، وهذه الأحكام تحتاج إلى علاج ، فهل يمكن أن نقدّم قراءةً جديدةً للأدلّة الدّالّة على هذه الأحكام ؟

وبالطّبع القراءة لا تكون عشوائيّة ورأي بلا دليل ، والبعض يُشْكِلُ بأنّه هل نريد أن نرضي الغرب ؟

والجواب أنّه لا نريد أن نرضي الغرب ، وليس هدفنا في هذه المحاضرات إرضاء الغرب أو الشّرق ، هم يقولون فنحن نقول ، نريد أن نأتي إلى الأدلّة لنرى أنّ الدّليل يدلّ على هذا الحكم أو لا يدلّ ، فنأتي إلى الآية والرّواية ونحاول أن نفهم على ماذا يدلّان ، وتوجد نظريّتان : نظريّة عدم دخالة الزّمان والمكان في الأحكام ، ونظريّة

دخالة الزّمان والمكان في الأحكام ، فبناءً على النّظرية الأولى يأتي الحكم الأوّل ، وبناءً على النّظريّة الثّانية نصل إلى الحكم الثّاني ، وانظر أيّ الحكمين يتناسب مع عالميّة الإسلام .

وحينما نصل إلى الفقه العمليّ سنأتي إلى الإشكالات الّتي تُطْرَحُ على الإسلام ، وتوجد إشكالات على القرآن ، والإشكالات تحتاج إلى أجوبة ، والإشكالات موجَّهة من أهل الكتاب ومن الملحدين ، وحتّى المسلم عنده إشكالات وتساؤلات ، لا بمجرّد أنّه يطرح إشكالًا أو تساؤلًا نقول له أنت مرتدّ ، ونقول له لا تسأل .

لا توجد خطوط حمراء ، لا بدّ أن يوجد جواب لكلّ سؤال ، وكلّ موضوع مفتوح ، ولا يوجد عندنا قفل للمواضيع ، هذا الشّابّ عنده أسئلة ، ومع انفتاح العالم هذه الأسئلة تنتقل عبر العالم من خلال وسائل التّواصل ، فهذه الأسئلة تحتاج إلى أجوبة ، ولا يمكن أن نقول بأنّه لا اهتمام عندنا ولا شغل لنا بهذه الأسئلة ، ويمكن جمع جميع الإشكالات والأسئلة والإجابة عليها ، بعضها في الفقه العقائديّ ، وبعضها في الفقه الأخلاقيّ ، وبعضها في الفقه العمليّ ، وبعضها على القرآن ، وهذا الشّابّ حينما يسمع الإشكال ينتظر الجواب ، وإذا لم يسمع الجواب فمعنى ذلك عنده أنّ الإشكال صحيح ، فيثبت عنده أنّ القرآن ليس كتابًا منزلًا من عند الله تعالى ، وبعض الإشكالات على القرآن إشكالات تاريخيّة ، ويقولون بأنّ التّاريخ لا يُثْبِتُ هذه القصّة القرآنية عن الأنبياء عليهم السّلام ، وسيأتي بحث

مستقلّ عن القرآن الكريم ، ونحن نعتقد أنّ هذا القرآن الموجود اليوم هو القرآن الكامل ، لا يوجد فيه لا زيادة ولا نقصان ولا تحريف ، وهذا يحتاج إلى إثبات ، وهم يُشْكِلُونَ بأنّه لا توجد مخطوطات للقرآن من القرون الأولى ، فكيف يمكن لنا أن نثبت أنّ القرآن الموجود اليوم هو نفس القرآن الذي كان يقرأه النّبيّ صلّى الله عليه وآله ؟

وإذا أثبتنا أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله هو الّذي جمع القرآن فيمكن إثبات صحّة القرآن الموجود اليوم ، وأمّا إذا قلنا بأنّ المسلمين هم الّذين جمعوا القرآن فتأتي الإشكالات لأنّ كلّ عمل بشريّ يكون عملًا ناقصًا ، ونحن نعتقد بأنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله هو الّذي جمع القرآن في زمانه ، لذلك حينما يقول النّبيّ صلّى الله عليه وآله : "إنّي تارك فيكم الثّقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي" – فلا بدّ أن يكون كتاب الله مجموعًا في زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، وتوجد مصاحف لبعض المعاصرين للنّبيّ صلّى الله عليه وآله ، مثل مصحف عبدالله بن مسعود ، وهذا يدلّ على أنّ القرآن كان مجموعًا في زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، لا أنّه جُمِعَ بعد زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، وبمجرّد ما نقول بأنّ جمع القرآن عمل بشريّ فيكون القرآن ناقصًا أو زائدًا أو محرَّفًا ، فمهما جَدَّ البشر في عمل معيّن فلا بدّ أن يوجد فيه نقص) .

ونأتي إلى تتمّة كلام اليهوديّ ، قال : وشطر مالي في سبيل الله (هو الآن دخل في الإسلام فقال بأنّ جزءًا من ماله في سبيل الله ،

هل المسلم عنده هذه الحالة ، وذلك بأن يعطي جزءًا من ماله في سبيل الله في كلّ شهر ؟) ، أما والله ما فعلت بك الّذي فعلت إلّا لأنظر إلى نعتك في التّوراة (إذن التّوراة في زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله كان يحتوي على اسمه وصفاته ، فالنّبيّ صلّى الله عليه وآله مذكور في كتب أهل الكتاب ، ولكن بعد ذلك تمّ تحريف التّوراة والإنجيل) ، فإنّي قرأت نعتك في التّوراة : محمد بن عبد الله مولده بمكة ، ومهاجره بطيبة ، وليس بفظّ ولا غليظ ولا صخّاب ، ولا متزيّن بالفحش ، ولا قول الخناء ، وأنا أشهد أن لا إله إلّا الله ، وأنّك رسول الله ، وهذا مالي ، فاحكم فيه بما أنزل الله . وكان اليهوديّ كثير المال [1] .

لولا أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله كان رحيمًا مع اليهوديّ لما دخل الإسلام ، وهذا درس نتعلّمه من رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فلو كان المسلمون يتعاملون برحمة مع كلّ إنسان في هذا العالم ، أوّلًا مع بعضهم البعض ، وهذه الحالة غير موجودة ، والدّليل هو وجود الفقراء بين المسلمين ، فوجود الفقراء دليل على أنّ المسلمين لا يرحمون بعضهم البعض ، فالمسلمون يدّعون عالميّة الإسلام ، فهم ليسوا مسئولين عن الفقراء المسلمين فقط بل هم مسئولون عن جميع الفقراء في كلّ العالم ، فأنتم أيّها المسلمون تقولون بأنّ ديننا عالميّ ، فإذا كان دينكم عالميًّا فمسئوليّتكم عالميّة ، هذه نتيجة لادّعائكم ، وإذا كانت مسئوليّتكم عالميّة فماذا قدّمتم للمسلمين أوّلًا وللعالم ثانيًا ؟

---

[1] بحار الأنوار ج١٦ ص٢١٦-٢١٧ ح٥ .

لكي تثبتوا أنّ دينكم دين عالميّ فلا بدّ أن تكون اهتماماتكم اهتمامات عالميّة ، لا فقط نعيش الأنانيّة ، فقط تقول أنا ، هذه الأموال لي فقط ، أنا كسبتها بعرق جبيني ، مع أنّه يذهب إلى العمل يوقّع ويخرج ، لا تعب ولا عرق ، الأموال بيدك ، ولكنها أمانة من الله تعالى ، وأنت مسئول عن هذه الأموال فيم تصرفها ، وهذه مسئوليّة كلّ إنسان ، فما دام أنّه يوجد بيننا فقير فالجميع مسئول على نحو الوجوب الكفائيّ ، والجميع محاسَب إلى أن تُقْضَى حوائج الفقراء ، فإذا لم تُقْضَ حوائجهم فالجميع محاسَبون إلّا الّذي يسعى في قضاء حوائجهم ، فيسقط عنه التّكليف ، ولكنّ الباقي يبقى عليهم هذا الوجوب ، هو يسافر ولا يفكّر أنّه يوجد عليه تكليف بقضاء حوائج الفقراء ، يصرف الأموال الكثيرة ، ولكنّه لا يفكّر أنّه توجد عليه مسئوليّة ، وهو محاسَب على ذلك ، بالإضافة أنّه في السّفر كم محرّم يرتكبه الشّخص ، كم صلاة تفوته ، وكم صلاة يؤخّرها ، وكم صلاة تخرج عن وقتها ، وهذه حسابات أخرى ، ويظنّ بأنّه حصل على السّعادة بالسّفر ، ولكن كم محرّم ارتكب ، وكم واجب فاته ، وكم حرام أكل ، وهذا كلّه يدخل في الحساب .

والحمدلله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(٢٢)

وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمدلله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

ما زال الكلام في رحمة النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، ونقرأ بعض الرّوايات :

رحمة النّبيّ صلّى الله عليه وآله مع من يطلب منه شيئًا :

عن جابر بن عبدالله قال : ما سُئِلَ رسول الله صلّى الله عليه وآله شيء قطّ قال : لا [٢] .

النّبيّ صلّى الله عليه وآله لا يردّ أحدًا ، كلّ من يطلب منه شيئًا فهو بالخدمة ، ما دام أنّ هذا الطّلب تحت قدرته وإمكاناته فلا يرفض طلبًا لأحد ، وهذا يعطينا درسًا ، أيّ شخص يطلب منك شيئًا

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ٢٦ ذو الحجّة ١٤٣٩ هـ الموافق ٢٠١٨/٩/٧ م .

[٢] بحار الأنوار ج١٦ ص٢٣١ .

وأنت يمكنك أن تُنَفِّذَ له هذا الطّلب فافعل ، أحيانًا بعض الأشخاص عندهم حاجات ، وهذه الحاجات لا تُقْضَى إلّا من طريق شخص واحد ، فالمفروض أن يستجيب ، وخاصّة إذا كان الطريق مُتَعَيِّنًا عليه هو فقط ، ولا يستطيع صاحب الحاجة أن يتكلّم مع شخص آخر عن موضوعه .

عن جميل عن الإمام الصادق عليه السّلام ، قال : سمعته يقول : المؤمنون خَدَمٌ بعضهم لبعض . قلت : وكيف يكونون خدمًا بعضهم لبعض ؟ قال : يفيد بعضهم بعضًا [1] .

ونوسّع الدّائرة أكثر من ذلك ، فكلّ إنسان خادم لأخيه الإنسان ، وهذا موجود في المجتمعات بشكل عامّ ، الطّبيب عنده من يقدّم له الشّاي ، فمن يقدّم الشّاي خادم للطّبيب ، وإذا مرض يكون الطّبيب خادمًا له ، فيفحصه ويشخّص مرضه ويكتب له الدّواء المناسب ، فيكون الطّبيب في خدمة هذا الإنسان ، وأوضاع المجتمع قائمة على أساس الخدمة ، كلّ شخص في المجتمع يخدم الآخر ، ونحن نلتفت إلى أنّ الطّبيب عنده منصب ويفتخر بمنصبه ، ولكن غالبًا لا نلتفت إلى أنّه حينما يأتي إليه من يصبّ الشّاي فالطّبيب يكون خادمًا له ، والنّاس ينظرون إلى أن الّذي يصبّ الشّاي في منزلة اجتماعيّة أقلّ من الطبيب ، فالطّبيب خادم لمن يصبّ الشّاي ، ومن يصبّ الشّاي يكون خادمًا للطبيب ، فالجميع

---

[1] الكافي ج٢ ص١٦٧ ح٩ .

خادم للجميع ، ومن رحمة النّبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه يكون في خدمة الآخرين ، وينكسر قلبه عليهم .

بكاء النّبيّ صلّى الله عليه وآله على ابنه إبراهيم :

عن أنس بن مالك قال : رأيت إبراهيم ابن رسول الله صلّى الله عليه وآله وهو يجود بنفسه فدمعت عيناه (من رقّة قلبه ورحمته) ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا أقول إلّا ما يرضي ربّنا ، وإنّا بك يا إبراهيم لمحزونون [١] .

أخلاق النّبيّ صلّى الله عليه وآله :

أخلاق النّبيّ صلّى الله عليه وآله هي مكارم الأخلاق .

عن عليّ عليه السّلام قال : سمعت النّبيّ صلّى الله عليه وآله يقول : بُعِثْتُ بمكارمِ الأخلاقِ ومحاسنِها [٢] .

النّبيّ صلّى الله عليه وآله عنده أفضل الأخلاق ، وهو قمّة في الأخلاق ، وهذا ينفعنا فيما إذا نُقِلَتْ رواية لا يظهر فيها أخلاق النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، فهذه الرّواية تكون مرفوضةً .

"لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ" [٣] .

العَنَت : شِدَّةُ التَّعَب .

---

[١] بحار الأنوار ج١٦ ص٢٣٥ .

[٢] الأمالي للشّيخ الطّوسيّ ص٢٧ .

[٣] التّوبة : ١٢٨ .

يعزّ على النّبيّ صلّى الله عليه وآله أن يعيش المسلمون بل جميع النّاس في تعب ، فهو صلّى الله عليه وآله أتى برسالة من المفروض أنّها تخفّف الآلام ، وخاصّة الآلام النّفسيّة للإنسان .

عن الإمام الصّادق عليه السّلام : **"عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ"** أي شديد عليه عَنَتُكُمْ وما يلحقكم من الضّرر بترك الإيمان ، **"حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ"** أي على من لم يؤمن (النّبيّ صلّى الله عليه وآله يحمل همّ غير المؤمن به ؛ لأنّ رسالته عالميّة ، فيحزن إذا كان هناك إنسان غير مؤمن ، لا أنّه يلعن غير المؤمن ، وإنّما يحمل همّه ويحزن لأجله ، فيرجو أنّ غير المؤمن يؤمن لكي يدخل إلى الجنّة ، وهذا يعطينا درسًا ، فما دام أنّ رسالتنا رسالة عالميّة فلا بدّ أن نكون حريصين على كلّ من يوجد في هذا العالم حتّى الإنسان الّذي لا يؤمن ، فنحمل همّه ، ونرجو أن يؤمن ، لا مباشرةً نقول يجب أن يقتل ولعنة الله عليه ، وإنّما ندعو له بالهداية لعلّ الله يستجيب دعاءنا ، وأحيانًا يستهين المسلم بالدّعاء ، تدعو بالهداية للإنسان الكافر والملحد الّذي لا يعتقد بالله ، ومن الممكن أنّ الله يستجيب ، وبطريقة ما يدبّر الأمر معه لكي يدخل في الإسلام) ، **"بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ"** ، الرّأفة : شدّة الرّحمة [1] .

يقول الشّيخ الطّبرسيّ : رءوف بالمطيعين ، رحيم بالمذنبين ، أو رءوف بأقربائه ، رحيم بأوليائه ، أو رءوف بمن رآه ، رحيم بمن لم يره (وهذه احتمالات من الشّيخ الطّبرسيّ) ، وقال بعض السّلف : لم

---

[1] بحار الأنوار ج١٦ ص٣٠٣ .

يجمع الله لأحد من الأنبياء بين اسمين من أسمائه إلّا النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، فإنّه قال : "**بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**" وقال : "**إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ**" [1] .

إذن :

الله تعالى بجميع النّاس رءوف رحيم ، هو الّذي خلق النّاس ، وهو الّذي يهتمّ بهم ، والنّبيّ صلّى الله عليه وآله انعكاس لصفات الله ، فيكون بالنّاس رءوفًا رحيمًا ، والمؤمنون لا بدّ أن يكونوا انعكاسًا للنّبيّ صلّى الله عليه وآله ، فيكونون بالنّاس رءوفين رحيمين ، وما دام أنّنا نريد أن نتخلّق بأخلاق النّبيّ صلّى الله عليه وآله فلا بدّ أن تظهر هذه الأخلاق علينا ، ورسالتنا رسالة عالميّة ، فلا بدّ أن يكون اهتمامنا بجميع النّاس في العالم .

يقول الشّيخ ناصر مكارم الشّيرازي : أفضل تفسير لهما هو أنّ الرّءوف إشارة إلى محبّة خاصّة في حقّ المطيعين ، في حين أنّ الرّحيم إشارة إلى الرّحمة تجاه العاصين ، إلّا أنّه يجب أن لا يُغْفَلَ عن أنّ هاتين الكلمتين عندما تُفْصَلانِ يمكن أن تُسْتَعْمَلا في معنى واحد ، أمّا إذا اجتمعتا فتعطيان معنًى مختلفًا أحيانًا [2] .

يقول الشّيخ محمّد رضا المظفّر : ونعتقد أنّ النّبيّ كما يجب أن يكون معصومًا يجب أن يكون مُتَّصِفًا بأكملِ الصّفات الخُلُقِيَّة

---

[1] مجمع البيان ج٥ ص١٤٩ ، والآية من سورة الحج : ٦٥ .

[2] الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ج٦ ص٢٨٤ .

والعقليّة وأفضلِها ، من نحو الشّجاعة والسّياسة والتّدبير والصّبر والفطنة والذّكاء ؛ حتّى لا يدانيه بشر سواه فيها ؛ لأنّه لولا ذلك لما صحّ أن تكون له الرّئاسة العامّة على جميع الخلق (فما دام هو الرّئيس فلا بدّ أن يكون هو الأكمل ، ولو كان يوجد شخص أكمل لكان ذاك الأكمل هو النّبيّ ، فالنّبيّ صلّى الله عليه وآله هو في القمّة في كلّ صفة خُلُقِيّة) ، ولا قوّة إدارة العالم كلّه ، كما يجب أن يكون طاهر المولد ، أمينًا ، صادقًا ، مُنَزَّهًا عن الرّذائل قبل بعثته أيضًا (لا فقط بعد البعثة ، بل حتّى قبل البعثة ، فلا بدّ أن تكون له الصّفات الخُلُقِيّة الكاملة ، لا أن يكون إنسانًا عاصيًا قبل البعثة ، وبعد البعثة يكون إنسانًا صالحًا ، وهذا ما يعتقده أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السّلام) ؛ لكي تطمئنَّ إليه القلوب ، وتركن إليه النّفوس ، بل لكي يستحقّ هذا المقام الإلهيّ العظيم (فلا بدّ أن يكون أكمل الخَلْقِ ، فيستحقّ أن يكون نبيًّا على جميع الخَلْقِ ، فكما أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله متّصف بأفضل الأخلاق ، ونحن الّذين ندّعي أنّنا أتباع رسول الله صلّى الله عليه وآله – فلا بدّ أن تظهر علينا هذه الأخلاق في تعاملنا مع بعضنا البعض ، وفي تعاملنا مع غير المسلمين) [1] .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"مُحَمَّدٌ رَّسُول اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ" [2] .

---

[1] عقائد الإماميّة ص٥٥ ، ١٨– عقيدتنا في صفات النّبيّ .

[2] الفتح : ٢٩ .

سؤال : هل يكون المسلمون أشداء على جميع الكفّار ؟

الجواب :

لا ، يكونون أشدّاء على الكفّار المحاربين فقط ، أي الّذين يحملون السّلاح ، لذلك يكونون أشدّاء عليهم ، فيقاتلون من يقاتلهم .

وسيأتي بحث مستقلّ عن كيفيّة التّعامل مع غير المسلمين ، فكيف يتعامل المسلم مع غير المسلم على ضوء القرآن الكريم ؟

والكافر على قسمين : كافر محارب ، وكافر مسالم ، والمسلمون أشدّاء على الكافر المحارب في ساحة المعركة ، وأمّا الكافر المسالم فهو محقون الدّم محفوظ العِرْض والمال ، وليس من حقّ أحد أن يعتدي على الكافر المسالم ، لنفرض مسلمًا عنده جار لا يؤمن بالله فليس من حقّه أن يأخذ من ماله بلا إذنه ، هو اكتسب هذا المال بعرق جبينه ، فلا يجوز للمسلم التّعرّض للكافر المسالم بأيّ نحو من الأنحاء ، نعم يمكن للمسلم أن يناقشه مناقشةً علميّةً كما يناقش أيّ مسلم آخر ، فباب النّقاش مفتوح إذا هو وافق على النّقاش ، ولا يحقّ لك أن تجبره على النّقاش .

إذن الكافر المسالم محفوظ الدّم والعِرْض والمال ، ولا يجوز للمسلم الاعتداء عليه بأي نحو من الأنحاء .

إذن :

الكافر ينقسم إلى قسمين : كافر حربيّ أو محارب أو مقاتل في ساحة المعركة ، وكافر مسالم غير مشارك في القتال الدّائر بين الكفّار

المحاربين والمسلمين ، وسيأتي موضوع مستقلّ عن كيفيّة تعامل المسلمين مع الكفّار ، هل يخيّرونه بين أن يدخل في الإسلام وبين القتل ، كما هي المسألة المطروحة اليوم ، وكذلك مع أهل الكتاب إمّا أن يسلموا وإمّا أن يدفعوا الجزية وإمّا أن يُقْتَلُوا ، وسنأتي إلى بحث الجزية ، وهل توجد جزية على أهل الكتاب أو لا توجد من خلال الآية الكريمة : **"حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ"** [1] ؟

وسنأتي للبحث في القرآن ونبيّن ما معنى دفع الجزية في هذه الآية ، تارةً نستقطع الآية من سياقها ونخرج بحكم ، وتارةً نأخذ الآية ضمن السّياق القرآنيّ فنخرج بحكم آخر ، والمشكلة في آيات الأحكام الخمسمائة أنّهم استقطعوا هذه الآيات من سياقها القرآنيّ ، فحينما يُسْتَنْبِطُ من هذه الآية حكم شرعيّ يكون بدون النّظر إلى السّياق ، وإذا وضعنا الآية ضمن السّياق فمن الممكن أن نخرج بحكم آخر ، وبحث الجزية سيكون ضمن بحوث الفقه العمليّ .

وقبل الدّخول في بحوث الفقه العمليّ لا بدّ من بحث موضوع فلسفة الدّين ، وفلسفة الفقه العمليّ ، وبعد ذلك ندخل إلى أبحاث الفقه العمليّ لنرى ما هي الأحكام العمليّة الّتي تتناسب مع عالميّة الإسلام ، وبحث المرتد وغيره من البحوث سيأتي في محلّه .

المسلمون يقولون بعالميّة الإسلام وأنّ الإسلام صالح لكلّ زمان ومكان ، وهذا القول يحتاج إلى أدلة لإثباته لا أن تكون عندنا

---

[1] التّوبة : ٢٩ .

ادّعاءات فقط ، فبعض الأحكام الّتي يقال عنها بأنّها أحكام دينيّة حسب أفهام العلماء لا تتناسب مع عالميّة الإسلام ، فالعالَم لا يقبل مثل هذا الّذي يقال عنه بأنّه حكم دينيّ لأنّ النّفس البشريّة لا تقبل لا لأنّ آراء الشّرق والغرب لا تقبل ، بل لأنّ النّفس البشريّة بشكل عامّ لا تقبل ، أنت كمسلم لا تقبل قتل المرتدّ ، ولا تقبل بعض الحدود ، إذا قلنا قطع الأيدي فقلبك ينقبض ، إذن هناك شيء في النّفس ، ولا بدّ أن ننظر إلى هذه النفس لماذا تقبل بعض الأحكام ولماذا لا تقبل بعض الأحكام الأخرى ؟ فهل هناك شيء داخل النّفس أو أنّ هذا الحكم لا يتناسب مع زماننا الحاليّ ؟

وهنا يأتي موضوع دخالة الزّمان والمكان في الأحكام ، وأشير إشارةً سريعةً إلى موضوع ، وسآتي له تفصيلًا في بحث مستقلّ ، وهي أنّ آيات القرآن الكريم تارةً تذكر المفهوم ، وتارةً أخرى تذكر المصداق ، فحينما تذكر الآية شيئًا لا بدّ أن ننظر إلى أنّه مفهوم أو مصداق ، فإذا كان مفهومًا فالمفهوم مستمرّ إلى يوم القيامة ، وإذا كان مصداقًا فالمصاديق قد تتغيّر عبر الزّمان والمكان ، فيكون القرآن قد أشار إلى مثال ومصداق ، مثلًا في الجنّة النّعيم المذكور في القرآن لها مصاديق كثيرة ، فيأتي السؤال التالي :

ما هو المفهوم ؟

الجواب :

المفهوم هو ما تشتهي النّفس ، والآية تقول :

"يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" [1] .

إذن المفهوم في الجنّة هو **"مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ"** ، وفي الآية **"يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ"** ، هذا مصداق ، والحور العين مصداق ، وكذلك بقيّة الأمور الّتي يذكرها القرآن عن الجنّة ، جنّات تجري من تحتها الأنهار مصداق ، فالقرآن الكريم ذكر المفهوم ، وذكر أمثلةً من المصاديق ، فالمفهوم هو "ما تشتهي نفسك" ، والباقي مصاديق وأمثلة .

ويأتي الإشكال على أنّكم تطرحون أنّ من نعيم الجنّة الحور العين وتركّزون عليه ، نقول في الجواب إنّ هذا مصداق ذكره القرآن ، فمن يريد يأخذ أيّ مصداق يريده ، وإذا لا يريد فيطلب مصداقًا آخر ، وكذلك بقيّة النّعم الّتي ذكرها القرآن هي من باب المصاديق ، ولا تقتصر في الجنّة على هذه النّعم الّتي ذكرها القرآن ، ويمكن أن تشتهي شيئًا آخر في الجنّة غير مذكور في القرآن ، فالله يعطيك لأنّ هذا هو المفهوم وأنت تطلب أيّ مصداق تشتهيه ، إذن المصاديق كثيرة .

وهذا يفتح لك بابًا في القرآن ، وهو أنّ هناك مفاهيم مذكورة في القرآن ، وهذا المفهوم يكون مستمرًّا ، والقرآن في بعض الآيات يذكر مصاديق ، والمصاديق تتغيّر ، فتأتي نظريّة وحدة المفهوم وتعدّد المصداق ، فالمفهوم واحد والمصاديق تتغيّر ، ففي القرآن حينما يذكر

---

[1] الزّخرف : ٧١ .

شيئًا لا بدّ أن تنظر إلى أنّ هذا مفهوم أو مصداق ، فإذا كان مفهومًا فهو مستمرّ ، وإذا كان مصداقًا فهذا المصداق يتناسب مع زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، ومن الممكن أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله يذهب من مكّة إلى المدينة وتكون هناك مصاديق أخرى .

وهذا يأتي في بحث الزّكاة ، المفهوم هو زكاة المال ، والمصاديق في زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله كانت التّمر والزّبيب والقمح والشّعير وغيرها ، وهذه المصاديق تتغيّر عبر الزّمان والمكان ، فتوجد وحدة المفهوم وتعدّد المصداق .

وكذلك نذكر نقطة أخرى في القرآن الكريم ، ومن المهمّ أن نلتفت إليها ، القرآن تارةً يذكر قضيّة حقيقيّة ، وتارةً أخرى يذكر قضيّة خارجيّة ، في القضيّة الحقيقيّة يكون الحكم مستمرًّا ، وفي القضيّة الخارجيّة لا يكون الحكم مستمرًّا ؛ لأنّ الكلام يكون عن شيء خارجيّ موجود في زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، وهذا الحكم لا يستمرّ إلى يوم القيامة ؛ لأنّ الّذي جرى في زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله كان ضمن ظروف زمانيّة ومكانيّة معيّنة .

مثلًا آية الجزية هل كانت على نحو القضيّة الحقيقيّة التي يستنبط منها حكم شرعيّ مستمرّ إلى يوم القيامة أو على نحو القضيّة الخارجيّة الموجودة في زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله والقرآن تحدّث عن هذه القضيّة الخارجيّة ؟

يقول القرآن الكريم :

"قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِاليَوْمِ الآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ" [1] .

نقرأ الآية الّتي قبلها :

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا المَسْجِدَ الحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ" [2] .

وبعد ذلك جاءت الآية السّابقة ، فهل الآيات تتحدّث عن قضيّة حقيقيّة أو قضيّة خارجيّة ؟

وهذه البحوث من عمل الفقيه ، فهو لا بدّ أن يحدّد قبل استنباط الحكم الشّرعيّ ، طبعًا المسألة المطروحة اليوم أنّ هذه الآيات على نحو القضيّة الحقيقيّة ، لذلك الآن توجد مسألة وجوب الجزية على أهل الكتاب ، ولكن إذا أُخِذَتِ الآيات على نحو القضيّة الخارجيّة فتكون في زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله لأناس معيّنين موجودين في ذاك الزّمان لأنّهم رفعوا السّلاح في وجوه المسلمين ، هم أرادوا أن يذلّوا المسلمين فالنّبيّ صلّى الله عليه وآله عاملهم بالمثل ، فأراد أن يذلّهم ، فيعطون الجزية عن يد وهم صاغرون أي يكونون أذلّاء مُهَانِينَ ، ويكون الحاكم جالسًا وذاك الشّخص من أهل الكتاب الّذين رفعوا

---

[1] التّوبة : ٢٩ .

[2] السّورة السّابقة : ٢٨ .

السّلاح يعطيه الجزية وهو واقف إهانةً له ، وبحثنا هنا بحث نظريّ لا بحث فتوائيّ ، نبحث نظريًّا فقط ، والفتوى بيد الفقيه يحدّد أنّ هذه الآية على نحو القضيّة الحقيقيّة أو القضيّة الخارجيّة ، والفقيه لا بدّ أن يبحث هذه البحوث قبل الدّخول في استنباط الحكم الشّرعيّ .

وفي بحوثنا في عالميّة الإسلام سنطرح الآراء من باب الاحتمال ، فهذه الآيات ممكن أن تأتي بالاحتمال الآخر أي على نحو القضيّة الخارجيّة .

وأمّا بالنّسبة لأهل الكتاب فالتّقسيم المعروف هو أنّ الكافر ينقسم إلى الكتابيّ وغير الكتابيّ ، وهذا البحث سيأتي تفصيلًا فيما بعد ، فنسأل أهل الكتاب : هل أنتم تكفرون بالله سبحانه ؟

يجيبون : لا لسنا جميعًا من الكفّار ، فينقسمون إلى قسمين : من يعتقد بالله ، ومن يكون ملحدًا وإن كان في أصله من أهل الكتاب ، وحتّى المسلمون ينقسمون إلى هذين القسمين : قسم يعتقد بالله ، وقسم ملحد لا يعتقد بالله وإن كان مولودًا من أبوين مسلمين ، فتقسيم الكافر إلى كتابيّ وغير كتابيّ تقسيم غير تامّ ، فليس كلّ كتابي يكفر بالله ، فهم يعتقدون بالله أو بالإله الخالق للكون ، تقول بأنّ المسيحيّين يعتقدون بأنّ الإله مركّب من ثلاثة ، فنقول بأنّهم يعتقدون بأنّه واحد ، ولكن هذا الواحد مركّب من ثلاثة ، فعندهم اعتقاد بأنّ الإله واحد ، ولكنّهم اشتبهوا بأنّه مركّب من الأب والابن وروح القُدُس ، وهم يفسّرون ذلك بطريقة ما ، وهم يعتقدون بأنّ تفسيرهم

صحيح ، ولكن أنت كمسلم لا تقبل تفسيرهم ، فهم يعتقدون بالواحد المركّب ، فهم من الموحِّدين أيضًا ، ولكنّهم اشتبهوا في تفسير الواحد ، وأمّا اليهود فيعتقدون بالإله الواحد ، فكيف نطلق عليهم أنهم كفّار ؟!

وسيأتي بحث تفصيليّ عن أهل الكتاب في القرآن الكريم قبل أن نذهب إلى روايات المسلمين ، وبعد ذلك نأتي إلى الرّوايات الّتي تتحدّث عن أهل الكتاب .

إذن :

هذا التّقسيم بأنّ كلّ كتابيّ يكون كافرًا بالله تقسيم غير تامّ ، فأهل الكتاب فيهم الكفّار الملحدون ، وفيهم الموحِّدون الّذين يؤمنون بالإله الخالق للكون ، وهذا التّقسيم يأتي في المسلمين أيضًا ، فالمسلمون اليوم فيهم الموحِّدون ، وفيهم الملحدون الّذين يصرّحون بالإلحاد وإن كان مسلمًا سابقًا أو مولودًا من أبوين مُسْلِمَيْنِ .

يقول القرآن الكريم في عدّة مواضع :

"الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ" [1] .

هنا "مِنْ" تبعيضيّة ، والمعنى : الّذين كفروا وهم بعض أهل الكتاب ، و"مِنْ" ليست بيانيّة بمعنى أنّ الّذين كفروا هم أهل الكتاب ، فيكون جميع أهل الكتاب من الكفّار ، وهذا ليس

---

[1] البقرة : ١٠٥ ، الحشر : ٢ ، السّورة السّابقة : ١١ ، البيّنة : ١ ، السّورة السّابقة : ٦ .

صحيحًا ؛ لأنّ في أهل الكتاب يوجد الموحِّدون الّذين يعتقدون بالإله الخالق للكون .

إذن :

المسلمون يكونون أشدّاء على الكفّار المقاتلين الّذين لا يفهمون إلّا منطق القوة ، فتواجه القوّة بالقوّة ، فإذا كانوا في ساحة المعركة فتواجههم بالسّلاح ، وإذا كانت المعركة فكريّة فتواجههم بالفكر .

والآن قوى الاستكبار لا تأتي عن طريق الاستعمار العسكريّ ، وإنّما يأتون عن طريق الاستعمار الفكريّ ، ينشرون أفكارهم في مجتمعات المسلمين ، وللأسف أنّ مجتمعات المسلمين مجتمعات ضعيفة ، والمسلمون ضعفاء يقبلون فكر الآخرين ، وطبعًا من خلال الإعجاب بهم ترى أنّ الآباء يحرصون على تعليم أولادهم لغات المستعمرين ، تارةً تعلّمهم اللّغة من باب معرفة اللّغات الأخرى ، وتارةً أخرى تطغى هذه اللّغة على لسان الطفل بحيث لا يعرف التّحدّث باللغة العربية ، يتكلّم اللّغة الأجنبيّة فقط ، وداخل البيت يتحدّثون معه بهذه اللّغة فقط لأنّه لا يعرف التّحدّث بالعربيّة ، وهذا يعبّر عن الغزو الفكريّ الثّقافيّ ، فكما أنّهم يعتزّون بلغتهم ، فعلينا أن نعتزّ بلغتنا الّتي هي لغة القرآن ، والمشكلة الكبيرة اليوم أنّ العرب لا يعرفون اللّغة العربيّة ، اسأل عن الإعراب لا يعرفون ، وعن البلاغة لا يعرفون ، وكلامهم كلام ملحون فيه أخطاء كثيرة ، والمفروض أن يكون عند المسلمين اهتمام باللّغة العربيّة ، فالله عزّ وجلّ اختار أن

يكون القرآن بهذه اللّغة ، وهذا لا بدّ أن يعطيك اعتزازًا بلغتك ، وفي الرّواية أنّ كلام أهل الجنّة يكون باللّغة العربيّة ، فتكون عندك الاعتزاز بهذه اللّغة ، وفي بعض الدّول الأجنبيّة إذا تتكلّم معه بلغة أجنبيّة أخرى لا يردّ عليك ، فالفرنسيّ إذا تتحدّث معه بالإنجليزيّة لا يردّ عليك مع أنّه يعرف الإنجليزيّة ؛ لأنّه يعتزّ بلغته ، ويريد منك أن تتعلّم لغته ، ولكنّ المسلمين يتنازلون عن لغة القرآن بكلّ سهولة ، لا فقط اللّغة ، فالمسلمون تنازلوا عن كلّ شيء ، حتّى عن الأخلاق القرآنية متنازلون ، والآن المسلمون لا يعبِّرون عن الإسلام ، يوجد فرق بين النّظريّات الإسلاميّة وبين أفعال المسلمين ، وسنأتي إلى موضوع مستقلّ عن عقل المسلم ، كيف يفكّر ؟ وما هي الأمور المهمّة اليوم عند المسلمين ؟

توجد أمور مهمّة في الإسلام ، وتوجد أمور مهمّة عند المسلمين ، ويوجد فرق كبير بينها ، وإذا تريد أن تعرف الإسلام فلا يمكن أن تعرفه عن طريق المسلمين ، فلا يمكن الوصول إلى الإسلام من خلال أفعال المسلمين ، تعرف الإسلام من خلال القرآن الكريم ، لا من خلال الرّوايات ؛ لأنّ كلّ مدرسة من مدارس المسلمين عندهم روايات لا توجد عند المدارس الأخرى ، وسنأتي إلى ذكر بعض الرّوايات الّتي تعارض القرآن الكريم ، وقضيّة الوضع في الرّوايات أمر معروف ، فيوجد الكثير من الرّوايات الموضوعة ، لذلك فالعلماء دائما ينقّحون الرّوايات في جميع مدارس المسلمين ، وقد تجد في

مقدّمة بعض كتب الرّوايات قول المؤلف مثلًا أنّه من ٦٠ ألف أو ٦٠٠ ألف رواية اختار ٦ آلاف رواية ، فاقتصر على ١٠% أو ١% فقط من الرّوايات ، وهذا موجود عندنا أيضا ، فكتاب بحار الأنوار للعلّامة المجلسيّ يحتوي على ١١٠ مجلّدات ، ليست كلّها روايات صحيحة ، وأحد العلماء كتب كتابًا بعنوان "صحيح الكافي" ، واستخرج من الكافي الرّوايات الصّحيحة فقط ، وقد صحّح ٣٠% تقريبًا من روايات الكافي ، وبعض العلماء استخرج الرّوايات الصّحيحة من بحار الأنوار ، وأيضًا روايات قليلة بالنّسبة لحجم بحار الأنوار ، وهذا ديدن العلماء أنّهم يبحثون في الرّوايات ، فرواية تكون صحيحةً عند العالم الأوّل ، ولكنّها تكون ضعيفةً عند العالم الثّاني ، وباب الاجتهاد مفتوح عند أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السّلام ، فباب الاجتهاد لم يُغْلَقْ ، وكلّ سؤال له جواب ، ولا توجد عندنا خطوط حمراء ، لذلك فالشّيعيّ يجد نفسه حرًّا للسّؤال في أيّ باب تريد ، ولا يوجد أحد من علماء مدرسة أهل البيت عليهم السّلام يقول لك لا تفكّر في هذا الموضوع ، بعكس المدارس الأخرى الّتي يقول علماؤهم لأتباعهم لا تسأل عن هذا الموضوع ولا تفكّر فيه ، نقول اسْأَلْ دائمًا ، وَفَكِّرْ دائمًا ، والعلماء يشجّعون المؤمنين على السّؤال والتّفكير لكي يتعلّموا دينهم ، ولا نقول بأنّ هذه المنطقة يحرم دخولك فيها ، بل يمكنك السّؤال في جميع المواضيع .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ" [1] .

المسلمون رحماء ، فالمفروض أن يعطف بعضهم على بعض .

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله : "مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو تَدَاعَى له سائر الجسد بالسّهر والحمّى" [2] .

نسأل : هل هذا مُطَبَّقٌ الآن بين المسلمين ؟

الجواب :

في زماننا الحاليّ المسلم يحمل السّلاح في وجه أخيه المسلم ، بدل أن ينصر أخاه المسلم يحمل السّلاح لقتله ، وللأسف هذه أوضاعنا اليوم .

يقول القرآن الكريم :

"عَبَسَ وَتَوَلَّى أَن جَاءَهُ الأَعْمَي" [3] .

هذا النّبيّ الّذي يكون بهذا المستوى العالي من الأخلاق يقول عنه القرآن : **"وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ"** [4] ، وتأتي آية تقول : **"عَبَسَ وَتَوَلَّى أَن جَاءَهُ الأَعْمَي"** ، نحمل هذه الآية الّتي يُحْتَمَلُ أنّها نزلت في النّبيّ صلّى الله عليه وآله أو نزلت في شخص آخر بدلالة **"وَإِنَّكَ لَعَلَى**

---

[1] الفتح : ٢٩ .

[2] صحيح مسلم ج٨ ص٢٠ .

[3] عبس : ١-٢ .

[4] القلم : ١-٤ .

خُلُقٍ عَظِيمٍ" نحملها على غير رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فعندنا شيء واحد وهو أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله على خلق عظيم ، وحسب الرّوايات توجد عدّة احتمالات ، والاحتمال الّذي يتعارض مع القرآن لا نأخذ به حتّى لو كانت الروّاية صحيحة السّند ، هذا العبوس ليس من صفات النّبيّ صلّى الله عليه وآله لأنّه لا يتناسب مع أخلاقه ، وكذلك يتصدّى للأغنياء ويتلهّى عن الفقراء لا يشبه أخلاقه .

ويقول القرآن الكريم :

"وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ" [1] .

تفسير نزول الآية في النّبيّ صلّى الله عليه وآله يتعارض مع آيتين ، فلا نأخذ بالتفسير الّذي يقال بأنّ الآية نزلت في رسول الله صلّى الله عليه وآله ، بل نزلت في شخص آخر ، فرحمة النّبيّ صلّى الله عليه وآله من الأمور المهمّة عندنا ، فأيّ رواية تخالف رحمة النّبيّ صلّى الله عليه وآله هذه الرّواية تُرْفَضُ ولو كانت صحيحة السّند ، فكلّ ما يخالف القرآن فهو زخرف وَيُرْمَى به عرض الجدار .

إذن في جميع البحوث أوّلًا لا بدّ أن نأتي إلى القرآن لنرى ماذا يقول القرآن في هذا الموضوع ، وبعد ذلك نأتي إلى الرّوايات لنرى أنّ هذه الرّواية تتوافق مع القرآن أو لا تتوافق ، فالرّوايات الّتي تتوافق مع القرآن نأخذ بها ، والرّوايات الّتي تعارض القرآن نرفضها ، وهذا منهج

---

[1] آل عمران : ١٥٩ .

العلماء وليس شيئًا جديدًا ، ولكنّ الاختلاف يكون في المصاديق ، في أنّ هذه الرّواية تتعارض أو لا تتعارض مع القرآن ، فيقع الاختلاف بين العلماء في المصاديق ، وهذا طبيعيّ لأنّ البحث النّظريّ والاجتهاديّ يقع فيه الاختلاف ، وما دام أنّه بحث نظريّ فمن الطّبيعيّ أن يقع فيه اختلاف وجهات النّظر بين العلماء .

إذن رحمة النّبيّ صلّى الله عليه وآله لا بدّ أن نركّز عليها ، ولا بدّ أن يتّصف المسلمون بل جميع البشر بصفة الرّحمة ، ولا يتّصفون بصفة غلظة القلب ، والإنسان المؤمن إنسان رحيم ، قلبه رقيق ، يرقّ على الفقراء والمحتاجين ، فحينما يرى وضعًا أليمًا فإنّ قلبه ينكسر ، ونحن مقبلون على شهر محرّم الحرام فلا بدّ أنّ قلوبنا المتّصفة بالرّحمة تسير مع الإمام الحسين عليه السّلام ، فيكون عندك رقّة القلب في المجالس الحسينيّة ، وإذا كان الإنسان عنده غلظة في القلب فلا بدّ أن يراجع أعماله ، فقد يكون عنده كثير من المعاصي الّتي تغطّي على رقّة قلبه ، فرحمة الله تعالى ورحمة النّبيّ صلّى الله عليه وآله أمر مهمّ للإنسان المؤمن .

إنّ رحمة الله تعالى ستحلّ كثيرًا من الإشكالات ، إشكال الشّرور في العالم ، وإشكال البراكين والفيضانات والأمراض وغيرها من الإشكالات الّتي تُوَجَّهُ إلى رحمة الله عزّ وجلّ ، ولا بدّ أن نبيّن أنّ مشكلة الشّرور في العالم كيف يمكن أن تتناسب مع رحمة الله تعالى ، ووجود الأمراض والبراكين والفيضانات كيف تتناسب مع رحمة الله عز

وجلّ ، وإدخال الكافرين في نار جهنّم كيف تتناسب مع رحمة الله سبحانه ، وهذه الإشكالات بحاجة إلى حلول .

والحمدلله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(٢٣)

حريّة البحث العلميّ [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمدلله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

لا بدّ أن نأتي إلى أسس البحث في الرّوايات والأحداث التّاريخيّة وخاصّة سيرة النّبيّ صلّى الله عليه وآله ؛ لكي تكون هذه الأسس بأيدينا حينما نأتي إلى أي رواية مرويّة عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله والمعصومين عليهم السّلام ، وكذلك حينما نأتي إلى الأحداث التّاريخيّة ، وبالخصوص سيرة النّبيّ صلّى الله عليه وآله .

إنّ الأساس الأوّل هو أنّ البحوث النّظريّة يقع فيها الاختلاف بين الباحثين ، فيوجد اختلاف في وجهات النّظر ، وكلّ باحث ينظر إلى الأدلّة الّتي تدلّ على أمر معيّن ، ونجد أنّ الباحثين يختلفون في النّتائج ، ولا يصلون إلى نفس النّتائج ، مع أنّ الدّليل واحد ، مثلًا

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ٩ صفر ١٤٤٠ هـ الموافق ٢٠١٨/١٠/١٩ م .

آية قرآنية واحدة نجد أنّه لدينا مائتا تفسير فيها ، ولو كان لها تفسير واحد لما كان يوجد داعٍ لوجود كتب التّفسير المختلفة ، وذلك لأنّ المفسِّرين يختلفون في فهم الآيات ، وكذلك الفقهاء في الفقه العمليّ في الرّسائل العمليّة يستندون إلى نفس الرّوايات ، ولكن يصلون إلى نتائج مختلفة ، تجد أحد الفقهاء يقول بالوجوب ، والفقيه الثّاني يقول بالاستحباب ، مع أنّ بأيديهم نفس الأدلّة .

إذن يوجد اختلاف في النّتائج الّتي يصل إليها الباحثون في القضايا النّظريّة ، وأقصد من القضايا النّظريّة أنّه توجد مجموعة من الأدلّة تدلّ على نتيجة ، وهذا الاختلاف موجود بين العلماء بشكل عامّ ، نجد اختلاف آراء العلماء في المسألة الواحدة ، فنحتاج إلى الحرّيّة الفكريّة في البحوث النّظريّة ، وبدون الحرّيّة الفكريّة وحريّة البحث العلميّ لا يمكن لأيّ أمّة من الأمم أن تتطوّر وتتقدّم ، فأمّة بلا فكر ولا ثقافة ولا علم لا يمكن أن تتقدّم ، لذلك فالمسلمون اليوم لا يمكن لهم أن يتطوّروا ؛ لأنّه لا يوجد عندهم اهتمام بالفكر والعلم والثّقافة ، فالاهتمام الجدّيّ غير موجود بحيث إنّ جزءًا من وقت المسلم في يومه يجعله لاكتساب العلم والفكر والثّقافة ، ويعمل بهذا بشكل جدّيّ ، ووضع المسلمين اليوم تجاه الفكر والعلم والثّقافة يمكن معرفته من خلال اهتماماتهم ، ادخل إلى وسائل التّواصل الاجتماعيّ وانظر أيّ المواقع والصّفحات يتابعون ، أيّ صفحات الإنستغرام يتصفّحون ، أيّ المحاضرات في اليوتيوب والمواقع يستمعون ، تجد

المفكّرين والعلماء يستمع لهم ٥٠ أو ١٠٠ شخص ، وشخص عنده قناة على اليوتيوب يضع مواضيع تافهة وكلمات لا قيمة لها تجد أنّ عنده ١٠٠ ألف متابع ، وترى فلانة أو فلانًا عندهما مليون متابع ، وترى المفكّرين عندهم مائة أو ٢٠٠ أو ألف متابع ، فصفحات الفكر والثّقافة والعلم مهملة ، وهذا وضع المسلمين اليوم ، لذلك لا نتوقّع من المسلمين أن يتقدّموا ، وترى أوضاعهم ثابتة لا يوجد فيها تقدّم لأنّه لا يوجد عندهم اهتمام بالعلم ، في جائزة نوبل للعلوم نجد بأنّه من الدّولة المحتلّة يحصل ٢٠٠ عالم على هذه الجائزة ، ومن المسلمين يحصل عالم أو عالمان أو ثلاثة على الجائزة ، ولكنّهم لا يعيشون في بلدان المسلمين ، يعيشون في الغرب ؛ لأنّه في الغرب توجد حرّيّة فكريّة وحرّيّة البحث العلميّ ، والحرّيّة الفكريّة العلميّة إذا أخذت الأمّة بها فإنه يمكن لها أن تتقدّم ، سواء في القضايا الدّينيّة أم في القضايا الطّبيعيّة ، لذلك في العلوم الطّبيعيّة تطوّر الغرب بسبب وجود الحرّيّة الفكريّة العلميّة عندهم ، فلا توجد عندهم خطوط حمراء في العلوم الطّبيعيّة ، حتّى لو لمئات السّنين كانوا يعتقدون بأنّ الأرض مركز المجموعة الشّمسيّة ، يأتي عالم ويغيّر كلّ هذه النّظريّة ، ويقول بأنّ الشّمس هي مركز المجموعة الشّمسيّة ، طبعًا في البداية كان العلماء يُقْتَلُونَ بسبب آرائهم ، ولكن بعد الثّورات الّتي حدثت صار عندهم إمكان الكلام في أيّ موضوع يريدون ، يمكن أن يخالف جميع العلماء السّابقين ، ويأتي برأي جديد ، ولكن بناءً على الدّليل ،

فينظرون في الدّليل ، هذا في العلوم الطبيعيّة ، لذلك تطوّر الغرب ، وفي القرنين السّابقين تطوّر الغرب تطوّرًا لم تحصل عليه البشريّة خلال آلاف السّنوات السابقة ، وقد يكون في الخمسين سنة الأخيرة ؛ لأنّ الباب مفتوح عندهم ، ولا توجد عندهم خطوط حمراء .

إذن في البحوث النّظريّة يمكن أن يقع الاختلاف في وجهات النّظر ، والباحث اليوم إذا أراد أن يبحث في مسألة دينيّة ينظر إلى العلماء السّابقين ماذا قالوا ، ولكنّ الأهمّ من ذلك أن ينظر إلى أدلّة هؤلاء العلماء ، وهذا هو المهمّ ، لا فقط يعرف الرأي ، بل ما هو الدّليل على هذا الرّأي ؛ لأنّ العالم السّابق فهم من الدّليل فهمًا معيّنًا ، والآن العالم قد ينظر إلى نفس الدّليل ويفهم شيئًا آخر لم يصل إليه السّابقون ؛ لأنّ العالم السّابق كان يتحرّك بناءً على الظّروف الزمانيّة والمكانيّة المحيطة به ، وبناءً على المنظومة الفكريّة الموجودة عنده ، والآن المنظومة الفكريّة عند العلماء أوسع بكثير من العلماء السّابقين ، لأنّه يوجد تراكم في المعلومات ، هذا التّراكم موجود في العلوم الطّبيعيّة وفي العلوم الدّينيّة ، وكلّ عالم يأتي وينظر إلى دليل العالم السّابق ، ومن الممكن أن يخالف رأي العالم السّابق ، مع أنّ الدّليل هو نفس الدّليل ، فهذا النّصّ الواحد فيه تعدّد في القراءات ، ولكن مبنيّة على الدّليل ، فقراءة النّصّ الدّينيّ وفهمه لا بدّ أن يكونا مبنيّين على الدّليل ، والعالم الباحث ينظر في الدّليل ليعطي قراءته ورأيه وفهمه له .

سؤال : هل من الممكن أنّ العالِم في زماننا الحاليّ يخالف رأي جميع العلماء السّابقين أو لا يمكن ؟

الجواب :

نعم يمكن ؛ لأنّه توجد عنده قراءة جديدة وفهم جديد لهذا النّصّ القرآنيّ أو النّصّ الرّوائيّ ، من الممكن أنّ كثيرًا من الأحكام الموجودة في الفقه العمليّ تتغيّر إلى أحكام أخرى بناءً على الدّليل ، وندور مدار الدّليل وفهم العالم للدّليل ، والعالم يتحرّك بناءً على منظومته الفكريّة ، مثلًا هل ضمن هذه المنظومة الفكريّة تدخل قضيّة عالميّة الإسلام أو لا تدخل ، هذا له تأثير في فهم النّصّ الدّينيّ ، هل حينما ينظر إلى الآية القرآنيّة والرّواية ينظر إلى أنّ هذا القرآن قرآن عالميّ وكلام المعصوم كلام عالميّ أو لا ، هذا الأمر يدخل في فهم النّصّ الدّينيّ ، فإذا كنّا ننظر إلى النّصّ بناءً على عالميّة الإسلام فإنّ بعض الأحكام ستتغيّر ، بالإضافة إلى أنّ الظّروف الزّمانية والمكانيّة المحيطة بنا لها تأثير في الفهم ، فهذا العالم حينما يأتي إلى الرّواية يرى أنّ العلماء يختلفون في الرّجال ، عالم يتبنّى أنّ هذا الرّاوي ثقة ، والعالم الثّاني لا يتبنّى ذلك ، فبناءً على السّند يحكم بصحّة الرّواية أو بضعف الرّواية أو بجهالة الرّاوي ، فهذا مسلك في أنّهم ينظرون إلى السّند ، والمسلك الآخر ينظر إلى مضمون الرّواية ، فيعتمد على الاطمئنان والوثوق بصدور الرّواية من المعصوم عليه السّلام ، قد تكون الرّواية بسند ضعيف ، ولكن يعتمد على المضمون ، فيرى هذا المضمون

وينظر إلى القرائن الّتي تتجمع عنده ليحكم بالوثوق بصدور الرّواية من المعصوم عليه السلام ، فتارةً ننظر فقط إلى السّند ، وتارة أخرى ننظر إلى المضمون ، والسّند عبارة عن قرينة من القرائن ، فإذا كانت الرّواية صادرة من زرارة فتعطي احتمالًا أكبر لصحّة المضمون ، ولكن إذا كان الرّاوي مجهولًا فالاحتمال يكون أقلّ بصدور الرّواية من المعصوم عليه السّلام ، فهذا العالم الباحث يبحث عن الاطمئنان بصدور الرّواية من المعصوم عليه السّلام ، وأمّا المسلك الأوّل فيبحث عن السّند فقط ، فإذا كان السّند صحيحًا فيعتمد على الرّواية ، وإذا كان السّند ضعيفًا فلا يأخذ بالرّواية ، وقد تكون هذه الرّواية من حيث المضمون مخالفةً للقرآن ، ولكن ما دام أنّها صحيحة السّند فإنّه يعتمد عليها .

مثلا آية قرآنية تقول :

"لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" [1] .

هو يرى أنّ هناك رواية صحيحة السّند تقول بأن الله ينزل إلى السّماء الدّنيا ، ولازمه الصّعود ، فهنا لا يعرض الرّواية على القرآن ليرى أنّها موافقة للقرآن أو مخالفة للقرآن .

والرّواية هي أنّ رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلّم قال : ينزل ربّنا تبارك وتعالى كلّ ليلة إلى السّماء الدّنيا حين يبقى ثلث اللّيل الآخر ، يقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من

---

[1] الشّورى : ١١ .

يستغفرني فأغفر له [1] .

إذن في الأحكام الدّينيّة نحتاج إلى الحرّيّة الفكريّة بحيث إنّ العالم الباحث يمكن أن يبحث في أيّ مسألة دينيّة ، ولكن انطلاقًا من الأدلّة ، طبعًا مع وجود مجموعة من المقدّمات عند الباحث ، لا أنّه يأتي إنسان جاهل لا يوجد عنده اطّلاع على أيّ مقدمة من مقدّمات فهم الآيات والرّوايات ويريد أن يعطي رأيًا ، هذه المقدّمات العلميّة لا بدّ أن يدرسها ، والعلوم الحوزويّة كمقدّمات لا بدّ أن يعرفها ، لا أنّه يأتي إلى القرآن ويريد أن يعطي رأيًا بدون أن تكون عنده المقدّمات العلميّة ، وحال العلوم الدّينيّة حال العلوم الطّبيعيّة ، شخص لا يوجد عنده اطّلاع على مقدّمات علم الفيزياء ويريد أن يعطي رأيًا في مسائل الفيزياء ، لا بدّ أن يكون قد درس عدّة سنوات وعنده مقدّمات الفيزياء فيعطي رأيًا ، ومن غير الممكن أن يأتي جاهل جهلًا تامًّا ويريد أن يعطي رأيًا في أيّ مسألة من المسائل في أيّ علم من العلوم .

ونرى الآن أنّه في القضايا الدّينيّة جميع النّاس يتكلّمون ويعطون رأيًا ، ومن يريد أن يعطي رأيًا في أيّ علم من العلوم لا بدّ أن يمتلك مقدّمات هذا العلم ، وفي العلوم الدّينيّة الحرّيّة الفكريّة وحرّية البحث العلميّ لا بدّ أن تكون موجودةً أيضًا ، وهو عبارة عن فتح باب

---

[1] صحيح البخاريّ ، كتاب التّهجّد ، باب الدّعاء في الصّلاة من آخر اللّيل ح١١٠٦ .

الاجتهاد ، وهو موجود في مدرسة أهل البيت عليه السّلام ، فعند علمائنا باب الاجتهاد مفتوح ، فالعالم يمكن أن يعطي رأيًا في أيّ مسألة دينيّة ، وقد يخالف القول المشهور الموجود عند العلماء السّابقين ، وقد يخالف الإجماع ، والعالم لا يعتمد على الإجماع إلّا إذا كان يعطيه اليقين ، ويوجد مسلكان في الإجماع ، المسلك الأول يقول بالاعتماد على الإجماع مطلقًا ، فما دام أنّه يوجد إجماع على حكم فإنّه يعتمد عليه ، وكذلك يعتمد على الشّهرة ، فالإجماع بذاته وبعنوانه حجّة عند جميع العلماء ، وكذلك الشّهرة حجّة عند بعض العلماء ، والمسلك الثّاني يقول بالاعتماد على الإجماع إذا يعطيه اليقين ؛ لأنّه سبب لليقين ، فيكون الاعتماد على اليقين ، وأمّا إذا لم يسبّب الإجماع يقينًا له فلا يأخذ بهذا الإجماع ، وكذلك الشّهرة ، وهذا هو رأي السّيد الشّهيد محمد باقر الصّدر رضوان الله عليه ، فالإجماع بحدّ ذاته وبعنوانه ليس حجّة ، وكذلك الشّهرة ، إلّا إذا سَبَّبَا اليقين عند العالم ، فيكون الاعتماد على اليقين ؛ لأنّ اليقين حجّة عند جميع العلماء ، ونرى أنّ آراء العلماء مختلفة في المسائل ، وكلّ عالم لا بدّ أن يحدّد القواعد والأسس والأصول الّتي يعتمد عليها ، وبعد ذلك يعطي رأيًا في المسائل ، ولكن توجد في العلوم الدّينيّة بعض القوالب الفكريّة الّتي لا يمكن أن يتعدّاها الباحث ، وهذا ملاحظ ، فيوجد نوع من الخطوط الحمراء حتّى في القضايا الدّينيّة ، فمن يقول بأنّ الإجماع حجّة فإنّه لا يمكن أن يخالف الإجماع ، فهذا

خطّ أحمر ، وما دام أنّ الحكم إجماعيّ فلا يمكنه أن يخالف هذا الإجماع لمن يتبنّى هذا المسلك ، والمسلك الآخر يقول لا ، الإجماع بذاته ليس حجّة ، فالإجماع ليس خطًّا أحمر بالنّسبة له ، فلا يأخذ بالإجماع إذا كان لا يسبّب له اليقين .

والباحث حينما يريد أن يدخل إلى أيّ مسألة فهناك بعض القوالب الفكريّة الموجودة عنده والّتي لا يمكن له أن يتعدّاها ، فقد يجد آية قرآنيّة أو رواية تعارض هذا القالب الفكريّ ، فيقدّم القالب الفكري على الآية أو الرّواية ، وهذا موجود بشكل عامّ ، فلو سمع رأيًا جديدًا فلا يمكنه قبوله حتّى لو كان يوجد دليل على هذا الرّأي الجديد ، فيقال له إنّ هذا مخالف لإجماع العلماء ، مع أنّ هذا الباحث لا يتبنّى حجّية الإجماع بذاته ، وهذا يكون مبناه وقاعدته ، طبعًا لا بدّ أن يكون المبنى قائمًا على الدّليل ، فيقول إنّ العلماء السّابقين حينما فهموا النّصّ الدّينيّ كان بناءً على منظومتهم الفكريّة ، والعالم السّابق كان يفهم النّصّ وأنا أيضًا أحاول أن أفهم النّصّ بناءً على منظومتي الفكريّة .

مثلًا حينما يقول القرآن : **"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا"** ، هل أنت الآن في زماننا الحاليّ مخاطَب أو غير مخاطَب بهذه الآية ؟

طبعًا كلّ مسلم مخاطَب ، و المسلم مخاطَب أيضًا في زماننا الحاليّ ، فيأتي السّؤال التّالي : هل الخطابات القرآنيّة كانت للنّبيّ صلّى الله عليه وآله والمعاصرين له في زمانه أو أنّ القرآن يجري مع الزّمان

فيخاطب كلّ مسلم بل يخاطب كلّ إنسان عبر الزّمان والمكان ؟

أيّها العالم الباحث حدّد مبناك أوّلًا ، إذا كان المبنى يقول بأنّ القرآن خطاب للمعصومين فقط ، فهم الّذين يفهمون القرآن ، والنّتيجة هي أنّ أيّ شخص غير معصوم لا يفهم القرآن ، والمبنى الثّاني يقول بأنّ المخاطَبين بالقرآن هم المعاصرون للنّبيّ صلّى الله عليه وآله ، فتكون النّتيجة أنّ المسلمين بعد زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله غير مخاطَبين بالقرآن ، فيكون المسلمون في زماننا الحاليّ غير مخاطّبين بالقرآن ، والمبنى الثّالث يقول بأنّ القرآن خطاب للمعصومين عليهم السلام وللمعاصرين للنّبيّ صلّى الله عليه وآله ولمن بعد زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، والنتيجة هي أنّ المسلمين في كلّ زمان ومكان يكونون مخاطَبين بالقرآن ، فأنت في زماننا الحاليّ مخاطَب أيضًا ، فحينما يقول القرآن : **"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا"** فالخطاب مُوَجَّهٌ لك أنت أيضًا ، وهذه الآية ماذا تريد منك ؟

وأفهام النّاس مختلفة ، العالم يفهم عشرة معاني في الآية القرآنيّة ، والإنسان العاديّ يفهم معنًى واحدًا ، فالعالم يقول إنّ في الآية عشرة معاني ، وأنت تقول فيها معنى واحد ، ثمّ يأتي العالم ويرجّح بين هذه المعاني بواسطة الدّليل ، ويختار معنًى واحدًا من بين المعاني العشرة ، والعلماء السّابقون كانوا يفهمون بناءً على منظومتهم الفكريّة ، فيأتون إلى الآيات والرّوايات ويفهمون فهمًا معيّنًا ، فيأتي السّؤال التّالي :

هل العالم في زماننا الحاليّ يمكن أن يفهم فهمًا جديدًا أو لا يمكن ؟

الجواب :

نعم يمكن ؛ لأنّ المنظومة الفكريّة للعالم في زماننا الحاليّ أوسع من المنظومة الفكريّة للعلماء السّابقين ، هو استوعب آراء السّابقين وآراء المحدَثين ، فصار عنده منظومة فكريّة أوسع ، بالإضافة إلى وجود قواعد أصول جديدة عند العالم الحاليّ ، هذه القواعد والأصول لم تكن موجودةً عند العلماء السّابقين .

مثلًا في أصول الفقه توجد قواعد جديدة لم تكن موجودةً عند الشّيخ المفيد والشّيخ الطّوسيّ رضوان الله عليهما ، فجاءت مباني جديدة ، والمباني الجديدة قد تغيّر بعض الأحكام ، ولكن مع ذلك نرى بأنّه توجد قوالب فكريّة لا يمكن أن يتعدّاها أحد ، مثلًا مسألة طهارة كلّ إنسان ، تقول : كيف يمكن أن يكون الكافر طاهرًا ؟

مسألة نجاسة الكافر تسمعها منذ الصّغر وعبر أجيال سابقة ، وحينما تسمع رأيًا جديدًا بطهارة كلّ إنسان مع وجود الدّليل عليها فإنّ في قلبك شيء يقول بعدم قبول هذا الرّأي الجديد حتّى لو كان يوجد عليه دليل قويّ ، وتستغرب من هذا الرّأي الجديد .

وإذا تسمع بأنّ المرتد لا يُقْتَلُ لا تتقبّل لأنّه طوال حياتنا نسمع أنّ المرتدّ الفطريّ يُقْتَلُ مباشرةً بدون استتابة ، والمرتدّ المِلّيّ يُسْتَتَابُ ، فإن لم يَتُبْ يُقْتَلْ ، وهذه المسألة مطروحة في الرّسائل العمليّة .

والآن إذا يأتي فقيه برأي جديد بناءً على نفس الأدلّة فيبيّن بأنّ المرتدّ لا يُقْتَلُ سواء كان فطريًّا أم مِلّيًّا فأنت لا تتقبّل ذلك .

إن أوّل بحث لا بدّ أن يقوم به العالم الباحث هو :

هل القرآن يتبنّى حرّيّة العقيدة أو لا ؟

إذا ثبت بأنّ القرآن يدعو إلى حرّيّة الاعتقاد وأنّه لم يبيّن قتل المرتدّ فلا بدّ أن يأتي العالم الباحث إلى الرّوايات الّتي تقول بقتل المرتدّ ويسأل نفسه : كيف يمكن أن أجمع وأعالج الموضوع بين القرآن والرّوايات ؟

وسنأتي إلى بحوث الفقه العمليّ ، فهل يمكن أن نأتي بآراء جديدة في الفقه العمليّ أو لا ؟

وبالطّبع لا بدّ أن تكون الآراء مبنيّةً على الأدلّة ، قد يكون الرّأي الجديد مخالفًا للإجماع بناءً على أنّ الإجماع بذاته ليس حجّة إلّا إذا سبّب يقينًا للفقيه ، فنأتي إلى نفس الأدلّة الّتي يطرحها العلماء في البحوث المختلفة ، فهل يمكن أن نفهم فهمًا جديدًا من نفس هذه الأدلّة ؟

نبدأ بالقرآن الكريم ثمّ نذهب إلى الرّوايات ، وباب الاجتهاد مفتوح في مدرسة أهل البيت عليهم السّلام .

هل نقول بتعدّد القرءات وتعدّد الأفهام في النّصّ الدّينيّ الواحد أو لا ؟

العالم الأوّل يقرأ النّصّ الدّينيّ ويفهمه بناءً على منظومته الفكريّة العلميّة ، فحينما يأتي إلى النّصّ فبناءً على القواعد الّتي يتبنّاها يفهم النّصّ ويعطيك الحكم ، سواء كان حكمًا عقائديًّا أم حكمًا أخلاقيًّا

أم حكمًا عمليًّا ، فيأتي إلى القواعد الموجودة عنده ، والعالم الثّاني عنده أيضًا قواعد يتبنّاها ، وبناءً على هذه القواعد الّتي استنتجها من النّصوص الدّينيّة يطبّق القواعد على النّصّ ويعطيك الحكم ، ومن الممكن أن يختلف العالمان في الحكم ، مثلًا أحدهما يقول بالوجوب والآخر يقول بالاستحباب ، وعلى حسب مبناه أنّه يعتمد على الرّواية من حيث السّند فقط أو يعتمد على السّند والمضمون ، وأنّه يعرض الرّواية على القرآن أو لا يعرضها ، وهل يُشْتَرَطُ أن يكون الحكم مذكورًا في القرآن أو لا ، وهل الرّواية يمكن أن تؤسِّس حكمًا أو لا حتّى لو كانت رواية شخص واحد ، وهل يُعْتَمَدُ على رواية شخص واحد في جميع الأحكام حتّى في قتل إنسان أو لا يُعْتَمَدُ ، ويوجد رأي يقول بأنّ الأحكام الكبيرة – كالقتل – لا بدّ أن تكون مذكورةً في القرآن ، ولا يمكن أن نأخذ برواية شخص واحد تؤدّي إلى الحكم بقتل إنسان ، وهذه مسالك وآراء مختلفة ، وقد تكون النّتائج مختلفةً بناء على اختلاف المسالك والآراء ، فالقراءات والأفهام للنّصّ الواحد متعدّدة ، وكلّ عالم عنده طريقة معيّنة في كيفيّة التّعامل مع النّصوص الدّينيّة القرآنيّة والرّوائيّة ، وكذلك في الأحداث التّاريخيّة ، وكذلك في سيرة النّبيّ صلّى الله عليه وآله .

إن كلّ عالم باحث لا بدّ أن يحدّد منظومته الفكريّة العلميّة قبل الدّخول في أي بحث ، وبناءً على منظومته الفكريّة يتعامل مع النّصوص الدّينيّة ، وقد يصل إلى بعض الآراء الّتي تخالف آراء العلماء

السّابقين ، مثلًا رمس الرّأس في الماء أثناء الصّيام هل يبطل الصّيام أو لا ؟

المشهور يقول بأنّ الصّيام يبطل ، ويأتي أحد العلماء كسماحة السّيّد السّيستانيّ حفظه الله يقول بأنّه مكروه ولا يبطل الصّيام ، ومن الممكن أن يأتي أحد العلماء المعاصرين ويقول برأي مخالف لآراء العلماء السّابقين ، وطبعًا يكون عند العالم مقدّمات فهم النّصوص الدّينيّة ، ولا يأتي شخص لا يمتلك هذه المقدّمات ويريد أن يعطي رأيًا جديدًا .

إذا أردنا أن نتطوّر ونتقدّم في العلوم الدّنيويّة والعلوم الدّينيّة لا بدّ أن يكون باب الاجتهاد مفتوحًا ، وحرّيّة البحث العلميّ والحرّيّة الفكريّة متاحة لجميع الباحثين ؛ لأنّه إذا أتى أحدهم برأي جديد مع وجود الدّليل عنده فلا يُحْكَمُ عليه بالارتداد لأنّه خالف مسألة مطروحة سابقًا ، وهذا غير موجود في مدرسة أهل البيت عليهم السّلام لأنّ باب الاجتهاد مفتوح عندنا ، ولكن عند بعض المذاهب إذا شخص لا يقبل رواية فإنّه يُحْكَمُ عليه بالارتداد ، والارتداد معناه القتل ، ولو نراجع التّاريخ لرأينا أشخاصًا قُتِلُوا بسبب بعض الآراء الموجودة عندهم ؛ لأنّها آراء جديدة ، فيصدر من المؤسّسة الدّينيّة الحكم عليه بالرّدّة ويقتل ، وإذا استطاع أن يفرّ يذهب إلى الغرب الكافر – كافر على قولهم !!! – ؛ لأنّه يجد الحرّيّة الفكريّة هناك ، والمفروض أنّه في بلدان المسلمين توجد الحرّيّة ، لذلك أيّ مسلم

مضطهَد في بلده يطلب اللّجوء في الغرب ، فالحرّيّات هناك مكفولة لجميع النّاس ، والطّرق مفتوحة للجميع ، من يريد أن يكون فاسدًا يسلك طريق الفساد ، ومن يريد أن يكون عالمًا يذهب في طريق العلم ، ويمكن له أن يتكلّم في أيّ موضوع ولا أحد يحاسبه ، ويمكنه نقد رأس الدّولة ، وعندنا بشكل عامّ يوجد الرّأي الواحد ، تبدأ منذ الصّغر في البيت ، الأب يبدأ معك بالرّأي الواحد ، ولا يمكن للأبناء أن يعطوا رأيًا مخالفًا لرأي أبيهم أو أمّهم ، وآباء اليوم قد يعطون الحرّيّة للأبناء ، وأمّا سابقًا فإنّ الأب له الرّأي الوحيد ، وقول الحاكم هو الرّأي الواحد ، وفي زمان ما قد تجد رأي العالم هو الرّأي الواحد ؛ لأنّه يكون مع الحاكم ، فتكون له السّلطة ، وهو عالم من وعّاظ السّلاطين ، ولا يمكن لأحد أن يخالف رأيه ، ومن يخالفه يُحْكَمُ عليه بالارتداد .

إذن :

إذا أردنا أن نتقدّم فلا بد أن تكون أبواب الحرّيّة الفكريّة وحريّة البحث العلميّ مفتوحة أمام الباحثين ، حتّى في القضايا الدّينيّة لا بدّ أن يكون الباب مفتوحًا أمام العلماء الباحثين ، قد يأتي برأي جديد ، وعنده الدّليل على صحّة رأيه ، وليس نظرنا إلى الرّأي فقط ، وإنّما الرّأي مع الدّليل ، قد يخالف رأيه مشهور العلماء ، ولكن عنده الدّليل ، وقد يكون دليله نفس الدّليل الموجود عند العلماء السّابقين ، ولكن عنده قراءة جديدة وفهم جديد .

قد يجمع بين الآيات القرآنيّة جمعًا جديدًا ، مثلًا يقول القرآن الكريم : "**إِنَّمَا المُشْرِكُونَ نَجَسٌ**" [1] .

فيحكم على أساسه بنجاسة المشرك ، ويردّ العالم الباحث بأنّ معنى النَّجَس يختلف عن معنى النَّجِس ، فالنَّجِس بمعنى النّجاسة ، ولا بدّ أن نبحث عن معنى النَّجَس ، ونفرّقه عن معنى النَّجِس ، وهذه الكلمات حينما جاءت في زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله كان لها معاني ، والمعاصرون للنّبيّ صلّى الله عليه وآله ماذا كانوا يفهمون من هذه الكلمة ، فالقرآن والنّبيّ صلّى الله عليه وآله في زمانه كان يخاطب النّاس بناءً على المعاني الموجودة عندهم ، ومن الممكن أنّ المعنى قد تغيّر في زماننا ، والمطلوب هو ذلك المعنى الموجود في زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، فلا بدّ من كلّ عالم أن يبحث بحثًا تاريخيًّا عن معاني الكلمات الموجودة في القرآن والرّوايات ، والنّبيّ صلّى الله عليه وآله كان يتكلّم بالمعاني الّتي يعرفها النّاس ، والإمام الرّضا عليه السّلام كان يتكلّم بالمعاني الموجودة عند النّاس في زمانه ، وقد تكون الكلمة الموجودة في زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله وفي زمان الإمام الرّضا عليه السّلام نفس الكلمة ، ولكن المعنى قد تغيّر ، فنفس الكلمة ، ولكن لها معنيان : معنى في زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، ومعنى آخر في زمان الإمام الرّضا عليه السّلام ، فكلّ آية وكلّ رواية نحتاج إلى بحث تاريخيّ عن معاني الكلمات الوارِدة فيهما ، لا أنّه فقط نعتمد على

---

[1] التّوبة : ٢٨ .

الآية والرّواية بدون معرفة المعاني المقصودة ، فقد يأخذ باحث الآية أو الرّواية ولا ينظر إلى الظّروف الزّمانيّة والمكانيّة المحيطة بها ، والظّروف المحيطة مهمّة لفهم الآية والرّواية ، والفقيه يحتاج إلى دراسة ظروف الآية والرّواية لكي يستنبط الحكم الشّرعيّ منهما .

وتارةً يستقطع الباحث الآية ويحاول فهمها بدون النّظر إلى السّياق القرآنيّ فيصل إلى حكم ، وتارةً أخرى ينظر إلى السّياق القرآنيّ الّذي وردت الآية فيه فيصل إلى حكم آخر ، مثلًا **"حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ"** [1] ، هل هذه الآية تريد أن تعطي حكمًا شرعيًّا أبديًّا إلى يوم القيامة ؟

إذا كان الجواب "نعم" فالفقيه يحكم بوجوب أخذ الجزية من أهل الكتاب ، وإن كان في زماننا أهل الكتاب هم الّذين يأخذون الجزية من المسلمين مع أنّ حكم الجزية موجود في جميع الكتب الفقهيّة ، ولكنّه غير مُطَبَّق ، فهل حكم الجزية حكم دائميّ أبديّ أو ضمن السّياق القرآنيّ كان لمجموعة معيّنة في زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله فلا يكون حكمًا دائميًّا ؟

ولو طرحنا الآن أنّه لا يجب أخذ الجزية من أهل الكتاب ، فيقال كيف تخالف القرآن مع أنّ دليل هذا الباحث دليل قرآنيّ ؟

حكم قتل المرتدّ غير موجود في القرآن الكريم ، وإنّما هو موجود في الرّوايات ، فإذا كان مبنى العالم أنّ الأحكام الرئيسة لا بدّ أن تكون

---

[1] التّوبة : ٢٩ .

مذكورة في القرآن ، فيأتي إلى الرّوايات ويحاول أن يجد لها حلًّا ، تارةً الرّواية تخالف القرآن فيرفضها ، وتارةً الحكم لم يُذْكَرْ في القرآن ، فالعالم هنا يبحث لكي يوفّق بين الرّواية والقرآن .

ونذكر أسس البحث في الرّوايات والأحداث التّاريخيّة ولا سيّما سيرة النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، ثمّ نأتي إلى القصص المرويّة عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، ونذكر مثالًا أو مثالين لنرى أنّ هذه القصص تخالف القرآن أو لا تخالف ، فنحلّل القصّة ، ونسأل : هل يمكن أن تصدر هذه الأفعال من النّبيّ صلّى الله عليه وآله ؟

إذن :

الأساس الأوّل للبحث في الرّوايات والأحداث التّاريخيّة وسيرة النّبيّ صلّى الله عليه وآله أن نتقبّل اختلاف وجهات النّظر والآراء في البحوث النّظريّة ، قد يأتي عالم ويقبل بعض القصص الوارِدة عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، ولكن لا بدّ أن يترك المجال للعلماء الآخرين بأن يرفضوها لأنّها تخالف أخلاق النّبيّ صلّى الله عليه وآله .

ومن يقبل هذه القصص فإنّ صورة النّبيّ صلّى الله عليه وآله تتشوّه أمام العالم ، فلا يُقْبَلُ أنّه نبيّ عالميّ ، وحينما نقول عالميّة الإسلام فمعنى ذلك أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله نبيّ عالمي والإمام عليه السّلام إمام عالميّ والقرآن كتاب عالميّ والآية عالميّة والرّواية عالمية ، ونحن نعتقد أنّ الإسلام جاء لكلّ العالم ، فإذا أردنا أن نتحرّك بناءً على عالميّة الإسلام فتكون نظرتنا إلى الآيات والرّوايات نظرة أخرى ،

بخلاف ما إذا كان نظرنا إلى أنّ القرآن كتاب محليّ ، وأنّ الرّوايات جاءت من أجل قرية ، فالنّظريّات ستتغيّر ، ومن ناحية سلوكيّة أعمالنا ستتغيّر لأنّ العالم الآن ينظر إلى المسلمين ، فبعض الأعمال والممارسات قبل خمسين سنة كانت مقبولةً ، والآن ضمن عالميّة الإسلام هذه الأعمال والممارسات لا تُقْبَلُ ، فقد ينتقل الحكم من الإباحة في الزّمن السّابق إلى الحرمة في زماننا الحاليّ ، فهذا العمل يكون حرامًا لا يجوز الإتيان به لأنّه يُشَوِّهُ الدّين ، وإذا أردنا التّمسّك بذاك الفعل السّابق فمعناه أنّ الإسلام ليس دينًا عالميًّا ، ولا بدّ من الرّجوع إلى العلماء الأحياء المعاصرين في زماننا ، وآراء العلماء السّابقين تكون مناسِبةً لزمانهم ، لذلك قلنا في بحث "التّقليد والأعلميّة" أنّه لا بدّ من تقليد الأعلم الحيّ ، ولا نبقى على تقليد الميّت ؛ لأنّ العالم السّابق كان يعيش في ظروف زمانيّة ومكانيّة معيّنة ، ومع اختلاف الظّروف الزّمانيّة والمكانيّة قد يختلف الحكم ، لذلك يقال بتقليد الأعلم الحيّ ، والرّجوع إلى تقليد الأعلم الحيّ بعد موت الفقيه السّابق حتّى لو كان الميّت أعلم من العالم الحيّ ، فنرجع إلى الحيّ الأعلم ؛ لأنّه هو الّذي يواكب الظّروف الزّمانية والمكانيّة لمن يتبنّى دخالة هذه الظّروف في الأحكام الشّرعيّة ، ومن لا يتبنّى دخالة الظّروف يقول بالبقاء على تقليد الميّت .

إن الأساس الأوّل هو حرّيّة البحث العلميّ ، وباب اختلاف النّظر والآراء مفتوح أمام الباحثين في المواضيع الدّينيّة .

وسنأتي إلى ذكر باقي الأسس قبل الدّخول في أيّ بحث .

ونسأل : هل يمكن أن نقبل بعض الرّوايات والقصص المرويّة عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله حتى لو كانت صحيحة السّند ؟

والحمدلله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(٢٤)

ثقافة الاختلاف [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمدلله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

كان الكلام في أسس البحث في السّنة والتّاريخ والسّيرة ، وتكلّمنا عن حرّيّة البحث العلميّ ، وأنّ الأمّة المسلمة إذا أرادت أن تتقدّم فلا بدّ أن ينفتح عندها باب البحث العلميّ في جميع المجالات الدّينيّة والدّنيويّة ، فمن أسباب تقدّم الأمم هو حرّيّة البحث العلميّ في جميع المجالات ، والبحث العلميّ لا بدّ أن يكون قائمًا على أساس الدّليل ، فبواسطة الدّليل نصل إلى نتائج معيّنة ، والعلماء في جميع حقول العلم يدورون مدار الدّليل ، وحتّى في المسائل الدّينيّة قد يصل الباحث إلى بعض النّتائج الّتي تخالف آراء الباحثين السّابقين بناءً على الأدلّة الّتي يعتمد عليها الباحث والّتي تُوصِلُ إلى هذه النّتائج ، فكما

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ١٦ صفر ١٤٤٠ هـ الموافق ٢٠١٨/١٠/٢٦ م .

أنّ الباحث السّابق وصل إلى بعض النّتائج معتمدًا على الأدلّة الّتي اقتنع بها ، كذلك أيّ باحث جديد قد يصل إلى بعض النّتائج المخالفة لنتائج الباحثين السّابقين بناءً على ما اقتنع به من أدلّة ، فجميع الباحثين يدورون مدار الدّليل ، والباحث الجديد يجد أقوالًا للعلماء السّابقين ، ولكنّه لا يكتفي بالقول ، وإنّما يريد دليل هذا القول ، والدّليل هو المهمّ ، مثلًا أحد العلماء قد يقول برأي معيّن ، ولا يكفي هذا المقدار ، لا بدّ أن نسأل هذا العالم ما هو دليلك ؛ لكي نُقَيِّمَ الدّليل ، فإذا اقتنع الباحث بهذا الدّليل فقد يصل إلى نفس النّتيجة ، وقد يصل إلى نتيجة أخرى ، بحسب قراءته وفهمه ومنظومته الفكريّة ، وليس بالضّرورة أنّه من خلال الدّليل الواحد يصل الباحثون إلى نفس النّتيجة ، فقد يصلون إلى نتائج مختلفة ، فجميع العلماء والباحثين يدورون مدار الدّليل .

ومن الطّبيعيّ أنّ البحث في الأدلّة يكون ضمن قواعد وأسس ، فحينما تقبل الدّليل أو ترفض الدّليل فإنّما يكون بناءً على قاعدة ، لا أنّ قبول الدليل وعدم قبوله يكون مبنيًّا على هوى النّفس أو أسباب أخرى .

ومن الطّبيعيّ أيضًا وجود اختلاف في الآراء في البحوث النّظريّة المعتمدة على الأدلّة ، فعند الباحث الأوّل أدلّة يصل من خلالها إلى نتائج معيّنة ، والباحث الثّاني يصل إلى نتائج أخرى ، والوصول إلى نتائج مختلفة أمر طبيعيّ ، فما دام أنّ البحث بحث نظريّ فنتوقّع

اختلاف وجهات النّظر ، وهذا موجود في جميع أنواع الفقه : الفقه العقائديّ ، والفقه الأخلاقيّ ، والفقه العمليّ .

مثلًا في الفقه العقائديّ نسأل : هل الأنبياء معصومون أو ليسوا بمعصومين ؟

وإذا ثبتت العصمة يأتي الكلام في معنى العصمة ، ويقع الاختلاف بين العلماء في معناها .

وفي البحوث الفقهيّة الأخلاقيّة تعاريف الأخلاقيّات قد يُخْتَلَفُ فيها ، مثلًا ما معنى الزّهد ؟

وفي البحوث الفقهيّة العمليّة يقع الاختلاف أيضًا ، والدّليل هو اختلاف فتاوى العلماء في المسألة الواحدة ، من أقلّ المسائل إلى أعقد المسائل ، مثلًا في الرّكعة الثّالثة والرّابعة في الصّلاة هل تقرأ التّسبيحات مرّة واحدة أو ثلاث مرّات ؟

البعض يقول تكفي مرّة واحدة والباقي مستحبّات ، والبعض يقول بوجوب ثلاث مرّات ، مع أنّ الدّليل قد يكون دليلًا واحدًا ، ولكن تختلف النّتيجة .

وهذا يجري في جميع مسائل الفقه العمليّ ، ولا توجد مسألة إلّا ويوجد فيها اختلاف ، مع الاتّفاق على أصول المسائل ، نعم الصّلاة واجبة ، هذا متّفق عليه ، ولكن يقع الاختلاف في تفاصيل الصّلاة ، ما هي واجبات الصّلاة ؟ ما هي مستحبّات الصّلاة ؟

إذن :

الأساس الأوّل هو حرّيّة البحث العلميّ بالاعتماد على الأدلّة .

ونأتي الآن إلى الأساس الثّاني من أسس البحث في السّنة والتّاريخ والسّيرة .

الأساس الثّاني : ثقافة الاختلاف لا ثقافة الخلاف :

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" [1] .

إنّ الاختلاف سنّة من سنن الله تعالى ، فهو سنّة إلهيّة ، وهذه السّنّة الإلهيّة موجودة بين الشّعوب ، فتوجد شعوب متنوّعة ، والله جعل الشّعوب والقبائل ، فيوجد جعل إلهيّ ، والهدف من اختلاف الشّعوب والقبائل هو التّعارف والتّعاون والتّشارك لا التّقاتل والتّقاطع والتّنافر ، فالشعوب تتعارف على بعضها البعض ، وتتعاون على الخير والصّلاح ، وتتشارك فيما عندها لِيُعَوِّضَ كلُّ شعب ما ينقص الشّعب الآخر ، هذا هو المفروض أن يحصل ، وبذلك تقوى علاقات الشّعوب ، ونتيجة ذلك اهتمام الشّعوب ببعضها ، وإذا كان المطلوب هو التّعارف فالتّعارف لا بدّ أن يكون مبنيًّا على الاحترام المتبادل والمحبّة لا على الكراهية ، والله يريد منّا أن نتعارف ، فإذا كان الله يريد منّا التّعارف فلا بدّ أن نحترم بعضنا البعض ، ولا بدّ أن يكون المنطلَق

---

[1] الحجرات : ١٣ .

هـو المحبّـة لا الكراهيـة ، وبنـاءً علـى المحبّـة ينتشـر السّـلام في العـالم ، فالسّـلام بـين البشـر نتيجـة مـن نتـائج محبّتهم لبعضـهم البعض ، وإذا انتشـر السّـلام في العـالم وعرفـت الشّـعوب حقـوق بعضـها جماعـاتٍ وأفرادًا فإنّ العدالة تنتشر بينهم ، ويسود السّلام العالميّ والعدل العالميّ وَيُقْضَى على الظّلم وسلب الحقوق ، إنّ الاختلاف بين الشّعوب والأفراد شيء ثابت ، ولكنّ الشّيء المتغيّر هو طريقة التّعامل مع هذا الاختلاف ، والقرآن وضّح أنّ طريقة التّعامل هي التّعارف المبنيّ على المحبّة والسّلام لا التّقاتل المبنيّ على الكراهية والحرب ، وقد جعل القرآن مقياس التّفاضل بين الأفراد والشّعوب هو التّقوى ، فقال : **"إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ"** .

والخطاب مُوَجَّهٌ إلى جميع النّاس ، **"يَا أَيُّهَا النَّاسُ"** ، وليس مُوَجَّهًا للمسلمين والمؤمنين فقط ، فلم تقل الآية : يا أيّها المسلمون أو يا أيّها المؤمنون .

إنّ المقياس هو التّقوى ، أكرم النّاس هو الأتقى ، والله لا ينظر إلى أشكال النّاس وصورهم ، وإنّما ينظر إلى قلوبهم ليرى أنّها تشتمل على التقوى أو لا تشتمل ، فالمطلوب هو التّقوى من جميع النّاس لا من المسلمين فقط ، مطلوب من كلّ إنسان سواء كان يعتقد بالإله الخالق أو لا يعتقد ، وحتّى الملحد المطلوب منه التّقوى لأنّ الآية تخاطب جميع النّاس .

من مظاهر التّقوى عدم اتّباع الهوى ، وهذا مطلوب من جميع

النّاس ، وكذلك عدم اتّباع الرّغبات الضّارّة بالنّفس وبالآخرين ، وهذا مطلوب عامّ ، ومن مظاهر التّقوى كفّ الأذى عن الآخرين وعدم الاعتداء عليهم لا قولًا ولا فعلًا ، ومن مظاهر التّقوى تعارف الشّعوب بعضها على بعض ، فمن لا يكفّ أذاه عن الآخرين ، ومن يعتدي عليهم ، ومن لا يريد حصول التّعارف بين الشّعوب ، فهو ليس مُتَّقِيًا ، ومن لا يكون متّقيًا لا يستحقّ الكرامة من الله ، كما يقول تعالى : **"إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ"** .

فمقدار كرامة الإنسان يكون بمقدار تقواه ، ومن لا توجد عنده تقوى لا توجد عنده كرامة ، فمقياس الكرامة عند الله والتّفاضل بين النّاس هو التّقوى .

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله في خطبة الوداع : يا أيّها النّاس ، ألا إنّ ربّكم واحد ، وإنّ أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربيّ على عجميّ ، ولا لعجميّ على عربيّ ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على أحمر – إلّا بالتّقوى ، إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم [1] .

إذن :

نستفيد من الآية السّابقة أنّ الله جعل الاختلاف سنّة إلهيّة ، والاختلاف موجود بين الأفراد وبين الشّعوب ، والهدف من اختلاف الشّعوب هو التّعارف ، والتّعارف لا بدّ أن يكون مبنيًّا على الاحترام المتبادل وعلى المحبّة المتبادلة ، ومقياس التّفاضل والكرامة هو التّقوى ،

---

[1] نيل الأوطار لمحمّد بن عليّ الشّوكانيّ ج٥ ص١٦٤ .

والتّقوى مطلوبة من جميع النّاس ، ومن مظاهر التّقوى كفّ الأذى عن الآخرين وعدم الاعتداء على أحد .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" [1] .

الخطاب مُوَجَّهٌ لجميع النّاس ، والله يخاطب النّاس يريد منهم العبادة ، وإذا كان يريد منهم العبادة فلا بدّ أن يُعَرِّفَ نفسه للنّاس ، ولا بدّ أن يصل الناس إلى معرفته عزّ وجلّ بأمور بديهيّة موجودة عندهم ، والكلام عن هذا الموضوع سيأتي في بحث الإله الخالق ، فكيف يمكن للنّاس أن يعرفوا الله تعالى ؟

الله عزّ وجلّ يريد من النّاس العبادة ، ولم يقل تَعَرَّفُوا عليّ أوّلًا ، فلا بدّ أن تكون الأدلّة الّتي تثبت وجود الله أدلّة بديهيّة موجودة عند كلّ إنسان ، والموجود عند الإنسان هو العقل والفطرة ، فلا بدّ أن تكون الأدلّة العقليّة والأدلّة الفطريّة أدلّة بسيطة ، بحيث إنّ الإنسان البسيط يمكن أن يصل إلى معرفة الله بطريقة بسيطة ، وسنأتي لنبيّن أنّه من خلال الفطرة كيف يمكن أن نصل إلى وجود الله ، وكثيرًا ما يقول المسلمون إنّ الفطرة تدلّ على وجود الله ، ولكنّهم لا يوضِّحون قولهم ولا يفصِّلون فيه ، لا بدّ أن نبيّن أنّه بواسطة الفطرة كيف يمكن أن نصل إلى الله ، وبواسطة العقل كيف يمكن أن نصل إلى الله ،

---

[1] البقرة : ٢١ .

وسيأتي هذا البحث عن الفطرة والعقل وكيف يمكن الاستفادة منهما في الوصول إلى وجود الله تعالى .

وفي قبول الأعمال يقول الله تعالى :

"إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الـمُتَّقِينَ" [1] .

ويقول تعالى :

"وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ" [2] .

من الكرامة الإنسانيّة كون الإنسان متحلِّيًا بصفة التّقوى ، فلقد كرّمهم الله بسبب تقواهم ، فالله تعالى كرّم بني آدم ، وفي الآية السّابقة : **"إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ"** ، فكرامة الإنسان عند الله تدور مدار التّقوى ، لا كرامة الإنسان المسلم فقط ، وإنّما كرامة كلّ إنسان مطلقًا .

وعن عبدالله بن الصّلت عن رجل من أهل بلخ قال : كنت مع الرّضا عليه السّلام في سفره إلى خراسان ، فدعا يومًا بمائدة له فجمع عليها مواليه من السّودان وغيرهم ، فقال له بعض أصحابه : جعلت فداك ! لو عزلت لهؤلاء مائدة . فقال عليه السّلام : إنّ الرّبّ تبارك وتعالى واحد ، والأمّ واحدة ، والأب واحد ، والجزاء بالأعمال [3] .

جعل الإمام عليه السلام المقياس هو عمل الإنسان دون النّظر إلى

---

[1] المائدة : ٢٧ .

[2] الإسراء : ٧٠ .

[3] الكافي ج٨ ص٢٣٠ .

شكله أو لونه أو مظهره أو شأنه أو وظيفته أو طائفته أو عرقه أو جاهه أو ماله .

والنّتيجة هي أنّ مقياس تفاضل النّاس هو التّقوى والعمل الصّالح ، والآن صار بيدنا مقياس لتقييم النّاس سواء كانوا مسلمين أم غير مسلمين ، والمقياس هو التّقوى والعمل الصّالح ، ومن مظاهر التّقوى عدم الاعتداء على الآخرين ، فمن يعتدي على الآخرين فليس متّقيًا حتّى لو كان مسلمًا ، وهو مسلم بالاسم فقط ، وما يقوم به الإرهابيّون من قتل وسلب وتدمير يدلّ على افتقادهم لصفة التّقوى ؛ لأنّ من مظاهر التّقوى عدم الاعتداء على الآخرين .

ويقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ" [1] .

والشّاهد في الآية هو **"وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ"** ، **"لِذَلِكَ"** ترجع إلى ماذا ؟

يوجد احتمالان في معنى هذه الفقرة :

الاحتمال الأول :

"إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ" ، أي لرحمته خلقهم ، فيرجع إلى أقرب شيء وهو الرّحمة ، وأمّا كلمة **"مُخْتَلِفِينَ"** فبعيدة ، فالله خلق النّاس ليفيض عليهم من رحمته الواسعة الّتي تشمل جميع النّاس : المسلمين وغير المسلمين ، ولكن كلّ فئة وفرقة وطائفة قصرت الرّحمة

---

[1] هود : ١١٨-١١٩ .

الإلهيّة عليها ، وأبعدت الآخرين عن رحمة الله تعالى ، وكأنّ الرّحمة الإلهيّة بأيديهم يتصرّفون بها كيفما يشاءون ، فيدخلون من يريدون إلى الجنّة ، ويدخلون من يشاءون إلى النّار ، وكأنّ الله جعلهم وكلاءه على الأرض ، وهم الّذين يقسّمون رحمة الله على أفراد فئتهم وفرقتهم وطائفتهم ، ويطردون الآخرين من رحمة الله الواسعة ، فالمسلم يقول أنا فقط في الجنّة ، وغير المسلمين جميعهم في النّار ، ومعنى ذلك أنّ مليار مسلم يدخلون إلى الجنّة ، وستّة مليارات إنسان يدخلون في نار جهنّم ، والتّعريف الموجود عند المسلمين للكافر هو غير المسلم ، والكفّار يدخلون النّار ، فجميع غير المسلمين في النّار ، ونأتي إلى المسلمين ونراهم ينقسمون إلى طوائف وفئات ومذاهب ، وأتباع كلّ طائفة ومذهب يقولون نحن في الجنة ، والطّوائف والمذاهب الأخرى في النّار ، فيكون الدّاخلون إلى الجنّة قليلين ، والمفروض أنّ رحمة الله تُدْخِلُ أكثر النّاس إلى الجنّة ؛ لأنّ رحمتَه سبقت غضبَه ، وإذا كان الأصل هو الرّحمة فالمفروض أنّ الدّاخلين إلى الجنّة يكونون أكثر النّاس لا أقلّ النّاس .

إذن :

الاحتمال الأوّل لقوله تعالى : **"وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ"** ، هو (وَلِرَحْمَتِهِ خَلَقَهُمْ) .

الاحتمال الثّاني :

قول الله تعالى : **"وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . . . وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ"** ، أي

(لِلاخْتِلافِ خَلَقَهُمْ) ، وهذا الاختلاف نراه واضحًا في جميع الأمم أفرادًا وجماعاتٍ ، فلا يوجد اثنان متّفقان في جميع الأشياء ، حتّى الإخوة التّوائم يختلفون ولو في بعض الأشياء ، والاختلاف في الآراء من طبيعة البشر ، والله خلقهم كذلك من أجل أن يستفيد بعضهم من بعض ، ويأخذ بعضهم بأيدي بعض ، ويتعاونون على الأرض من أجل نشر السّلام والمحبّة والأخوّة الإنسانية ، فالإنسان أخو الإنسان من حيث النّسب .

عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله : كلّكم لآدم ، وآدم من تراب [1] .

جميع النّاس من آدم وزوجه ، فالأب واحد ، والأمّ واحدة ، فلماذا تقع الخلافات والحروب بين الإخوة في الإنسانيّة مع أنّهم بأموال الأسلحة يمكنهم إشباع جميع الفقراء في العالم ويعيش جميع النّاس في رفاهية وعزّة وكرامة مع إدراك الجميع أنّ الحياة قصيرة لا تستحقّ أن يعيش الإنسان فيها في ضيق ومشاكل بل يعيش الجميع في سلام ووئام وتآلف وانسجام ؟!

كم تصرف الدّول من أموال على صناعة أو شراء الأسلحة ؟

مليارات من الدّولارات ، ولو أنّ هذه الأموال تُصْرَفُ في قضاء حوائج المحتاجين لما بقي فقير واحد على وجه الأرض ، بل الجميع يعيش في عزّة وكرامة ورفاهية ، ولا نحتاج إلى الحروب والمناوشات بين الدّول .

---

[1] تحف العقول لابن شعبة الحرّانيّ ص٣٤ .

إذن :

يوجد احتمالان في الآية : الاحتمال الأوّل هو (لرحمته خلقهم) ، والاحتمال الثّاني هو (للاختلاف خلقهم) .

سؤال : أيّ الاحتمالين نرجِّح ؟ وما هو الدّليل على هذا التّرجيح ؟

الجواب :

نأتي إلى قوله تعالى : "**وَلِذَلِكَ**" ، اسم إشارة للمذكّر ، فإذا كان الاحتمال الأوّل هو الصّحيح فلا بدّ أن نقول : (وَلِتِلْكَ) ، ويكون المعنى (ولتلك الرّحمة خلقهم) ، ولا يصح أن نقول : (ولذلك الرّحمة خلقهم) ، فاسم الإشارة المذكر لا يتناسب مع المشار إليه المؤنّث ، وأمّا إذا قلنا : (ولذلك الاختلاف خلقهم) ، فالجملة صحيحة ، واسم الإشارة المذكّر لا يستعمل في المؤنّث المجازيّ ، فالاحتمال الثّاني وهو (ولذلك الاختلاف خلقهم) هو المرجَّح لوجود قرينة في نفس الآية الكريمة ، ومن يقول بأنّ معنى الآية : (وللرّحمة خلقهم) ، عليه أن يقيم الدّليل على صحّة هذا المعنى .

وبناءً على معنى (ولذلك الاختلاف خلقهم) ، فالله عزّ وجلّ خلق الاختلاف بين النّاس ، لذلك نحتاج إلى ثقافة الاختلاف وتقبّل الرّأي الآخر ، فتوجد اختلافات في الثّقافات بين الناس ، والمفروض أنّ الاختلاف الثّقافيّ لا يؤدّي إلى الخلاف ووقوع الحروب بين النّاس ، بل يؤدّي إلى ازدهار الأمم وتقدّمها وتطوّر الفكر الإنسانيّ ، ونحتاج إلى حوار الحضارات لا إلى صراع الحضارات ، وفي البداية كانت

النّظريّة المطروحة في العالم هي نظريّة حوار الحضارات ، وبعد ذلك جاءت نظريّة صراع الحضارات ، والأمر مقصود لأنّ أبالسة الإنس لا يرغبون بوجود الحوار بين الحضارات ، بل يريدون الصّراع والحروب بينها ، ولو فُتِحَ باب الحوار بين الحضارات فمن الممكن أنّ الحضارات تتلاءم مع بعضها ، ولكنّهم جاءوا بالنّظريّة الأخرى ليشعلوا الفتن بين الحضارات ، فالحضارات لا بدّ أن تتحاور وتتعاون من أجل الوصول إلى حضارة إنسانيّة أرقى وأكمل من حيث القيم والأخلاق والمبادئ ، فيتعاون البشر من أجل الوصول إلى العدالة العالميّة الّتي يعيش فيها جميع النّاس في عدل ، فلا يعتدي أحد على أحد ، ولا يظلم الإنسان أخاه الإنسان انطلاقًا من الأخوّة الإنسانيّة ، بل ننشر السّلام في العالم ، ويقف جميع النّاس في وجه من يريد أن يُعَكِّرَ أجواء العالم بالحروب ، وهم السّياسيّون الفاسدون ، ولكنّ السّياسيّين الفاسدين – للأسف – يجدون أتباعًا كثيرين يسيرون خلفهم ، مع أنّ أغلب النّاس يريدون أن يعيشوا بسلام ولا يحبّون الحروب ، ولكن سلبيّة النّاس هي الّتي تجعل هؤلاء السّياسيّين يتربّعون على كراسي الحكم ، ويتسلّطون على جميع النّاس ، ويسفكون الدّماء ، ويشنّون الحروب ، ويستعملون الأسلحة المحرّمة دوليًّا ، ويهلكون الحرث والنّسل ، ويدمّرون الممتلكات ، ويقضون على توازن الأرض ، والأدهى من ذلك أنّه نجد بعض النّاس يقفون إلى جانب الحاكم الظّالم ويبرّرون أفعاله الظّالمة من قتل وسفك وسلب ونهب ، ودائمًا تجدون من

يصفّقون للحاكم الظّالم ، ويتصدّرون الإعلام لكي يبرّروا أفعال هذا الظّالم .

إذن :

الله تعالى جعل الاختلاف بين النّاس سنّة إلهيّة ، ولهذا الاختلاف خلقهم ، ولكن لا بدّ أن نعرف كيف نتعامل مع هذا الاختلاف الموجود بين النّاس ؟ وكيف تقوم علاقات النّاس مع وجود الاختلاف بينهم ؟

لذلك نحتاج إلى ثقافة الاختلاف ، ومعرفة كيفيّة التّعامل بين النّاس مع وجود الاختلاف بينهم ، اختلاف في الشّكل أو في اللّغة أو في الثّقافة أو في العادات والتّقاليد أو في الموقع الجغرافيّ أو في التّقدّم والتّأخّر ، فنحتاج إلى أن نعرف كيف نتعامل مع بعضنا البعض في ظلّ هذا الاختلاف .

والحمدلله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(٢٥)

حرّيّة الفكر والاعتقاد [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمدلله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

في الأسبوع الماضي ذكرنا الأمّة المسلمة والأمّة الإسلاميّة ، ونبيّن الفرق بين الأمّتين ، الأمّة الإسلاميّة تكون قائمةً على أساس القرآن والسّنّة الواقعيّة ، أي على أساس القرآن والعترة الطّاهرة كما ذكرنا في موضوع "منهج البحث" ، وعلى رأس العترة الطّاهرة رسول الله صلّى الله عليه وآله ، وأمّا الأمّة المسلمة فتكون قائمةً على أساس القرآن والسّنّة المنقولة وأقوال العلماء وفهمهم للكتاب والسّنّة ، فإذا كان عندنا القرآن والسّنّة الواقعيّة أي ما هو صادر فعلًا عن المعصومين عليهم السّلام وتكون الأمّة انعكاسًا للقرآن والسّنّة الواقعيّة فهذه الأمّة نسمّيها "أمّة إسلاميّة" لأنّها تعكس الإسلام ، وأمّا الأمّة الّتي تكون

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ٢٣ صفر ١٤٤٠ هـ الموافق ٢٠١٨/١١/٢ م .

قائمةً على أساس السّنّة المنقولة إلينا عن طريق الرّواة ، وهذه السّنّة المنقولة فيها كثير من الآفات كالوضع ، وقائمةً كذلك على فهم العلماء وكلماتهم وآراؤهم في القرآن والسّنّة المنقولة بحيث إنّ الأمّة تكون انعكاسًا للرّوايات المنقولة وأقوال العلماء في الكتاب والسّنّة المنقولة فهذه الأمّة نسمّيها "أمّة مسلمة" لأنّها انعكاس للرّوايات المنقولة وأفهام العلماء في القرآن والسّنّة ، ولا أقصد خصوص علماء مدرسة أهل البيت عليهم السّلام ، وإنّما أقصد جميع العلماء الّذين ينتسبون إلى الإسلام بشكل عامّ ، والشّامل لجميع المدارس والمذاهب المنتسبة إلى الإسلام ، ولو كانت الأمّة أمّةً إسلاميّة لكنّا الآن سادة العالم في مبادئ القرآن الكريم ، المبادئ الّتي يطرحها القرآن ، وسيأتي موضوع مستقلّ عن مبادئ القرآن الكريم وَقِيَمِهِ ؛ لكي نرى أنّ الأمّة المسلمة اليوم هل هي فعلًا انعكاس للقرآن الكريم أو انعكاس لأقوال العلماء ، ونرى المشاكل الموجودة في بلدان المسلمين ، ولو كانت الأمّة انعكاسًا للقرآن لكانت الأمّة أمّة واحدة غير متفرّقة .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"إِنَّ هَـذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ" [1] .

وفي آيات أخرى :

---

[1] الأنبياء : ٩٢-٩٤ .

"وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ" [1] .

ما دام أنّه توجد انقسامات في الأمّة فهذه الأمّة ليست أمّة إسلاميّة ، وإنّما هي أمم مسلمة ، منقسمة بحسب الفئات والطّوائف والمذاهب والمدارس ، ولو كانت الأمّة انعكاسًا للإسلام لكنّا سادة العالم في نشر القيم والمبادئ ، لا كما هو اليوم في نشر الإرهاب ، والمعروف عن المسلمين اليوم أنّهم إرهابيون ، هذه هي الصّورة المنعكسة في العالم ، ولكنّا سادة العالم في جميع المجالات الدّينيّة والدّنيويّة ، لكان عندنا أفضل الصّناعات ، ولكان عندنا الاكتفاء الذّاتيّ في الاقتصاد والسّياسة ، فنحن الآن كأمّة مسلمة خارج التّاريخ ، ولا يُحْسَبُ لنا حساب ، وهذا واقعنا اليوم ، وما يجري في العالم من أحداث لا يؤخذ فيها آراء المسلمين ، ولو أنّ البلدان المسلمة لم يكن عندها نفط وخيرات لما كان لها قيمة ، وتصوّروا لو أنّ جميع المسلمين يأخذونهم إلى كوكب آخر فهل تتأثّر الأرض ؟

إنّ الأرض لن تتأثّر بشيء ، فالمسلمون بشكل عامّ لا يُحْسَبُ لهم حساب ، أَزِلِ المسلمين عن الخريطة فالعالم يسير كما هو ، ولكن أَزِلِ الدّول الغربيّة عن الخريطة فإنّ العالم كلّه يتأثّر ؛ لأنّ الإنتاج عندهم ، وحرّيّة العقيدة عندهم ، وحرّيّة التّعبير عندهم ، ونحن على خلاف ذلك ، فالأمّة الموجودة اليوم أمّة مسلمة ، وإذا أردنا أن نكون أمّة

---

[1] المؤمنون : ٥٢-٥٤ .

إسلاميّة فلا بدّ أن نكون انعكاسًا للقرآن الكريم ، لا فقط للرّوايات وأقوال العلماء ، وحينما نسمع الخطباء يتكلّمون فإنّ كل ما ينقلونه عبارة عن روايات وأقوال العلماء ، وقليلًا ما يستندون إلى القرآن ، وهذا ملاحظ سواء من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السّلام أم من أتباع المدارس الأخرى ، ودائمًا يقتصرون على الرّوايات ، ترى الشّيعيّ ينقل روايةً عن الإمام الصّادق عليه السلام ، والمدارس الأخرى تنقل عن أبي هريرة ، واستنادهم إلى القرآن قليل ، أو يقولون قال السّيد وقال الشّيخ ، فيأتون بأقوال العلماء ، وفي المدارس الأخرى في خطب الجمعة في نقل أقوال العلماء أكثر من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السّلام ، ولا نسمع الآيات القرآنيّة إلا النّادر القليل ، وإذا يقرأون القرآن في أوّل الكلام فيكون من باب التّبرّك ، وخلال البحث لا تأتي الآيات إلّا نادرًا ، نعم بعض الخطباء يأتون بآية قرآنيّة ويفسّرونها ، ولكنّهم قلّة ، وأكثر الخطباء يكون استنادهم إلى الرّوايات وأقوال العلماء ، ونادرًا ما يأتون بآيات القرآن ، فإذا كنّا نريد أن نكون أمّة إسلاميّة فلا بدّ أن تكون الأمّة انعكاسًا للقرآن في المقام الأوّل ، نعم الرّوايات تابعة للقرآن ، والقرآن الكريم هو المحور ، وسيأتي موضوع مستقلّ عن "محوريّة القرآن الكريم" .

وسيأتي موضوع مستقلّ أيضًا عن "محوريّة العقل" ، وما هو دور العقل في الدّين ؟ وإلى أيّ حدّ يمكن أن نستعين بالعقل ونعتمد عليه ؟

إذن :

هدفنا أن نكون أمّة إسلاميّة ، وحينما نريد أن ننهض بالمسلمين لكي يكونوا أمّة في مقابل الأمم الأخرى – فلا بدّ أوّلًا أن نرجع إلى القرآن ، نستخرج المفاهيم من القرآن ، وبالطّبع كلّ عالم حسب قراءته وفهمه ، ولكنّ المشكلة هي أنّ العلماء يستقطعون الآية من سياقها ، ولا ينظرون إلى ما قبل الآية وما بعدها ، فاستقطاع الآية من سياقها يعطي معنًى آخر غير المعنى المراد ، وهذا سيأتي في موضوع الجزية في قوله تعالى : **"حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ"** [1] .

حينما نستقطع الآية من سياقها يُفْهَمُ منه وجوب الجزية على أهل الكتاب ، مع أنّ المسألة غير مُطَبَّقَة اليوم ، وترون أنّه توجد مجموعة من المسائل موجودة في الكتب الفقهيّة ، ولكنها لا تُطَبَّقُ ، مثل قطع يد السّارق ورجم الزّاني ، مع أنّ العلماء القائلين بهذه الفتاوى لا يتبنّون دخالة الزّمان والمكان في الأحكام ، وإذا سألناهم لماذا لا تطبّقون هذه المسائل لأجابوا بأنّ الظّروف غير مواتية لتطبيق هذه الأحكام ، وهذا معناه أنّهم ينظرون إلى الظّروف الزّمانية والمكانيّة مع أنّهم من حيث النّظريّة لا يتبنّون دخالة الزّمان والمكان في الأحكام الفقهيّة ، ولكنّهم من حيث التّطبيق لا يمكنهم تطبيق بعض الأحكام الشّرعيّة ، فعدم تطبيق بعض الأحكام معناه أنّهم ينظرون إلى الظّروف الزّمانيّة والمكانيّة ، لذلك لا يدعون إلى تطبيق هذه الأحكام في زماننا

---

[1] التّوبة : ٢٩ .

الحاليّ ، وسنأتي تفصيلًا إلى نظريّة دخالة الزّمان والمكان في الأحكام مع الأدلّة الدالّة على صحّة هذه النّظريّة .

مميّزات المجتمعات المتقدّمة والمجتمعات المتخلّفة :

إنّ من مميّزات المجتمعات المتقدّمة هو تقبّل الرّأي الآخر ، والتّقبّل لا يعني القبول والتّبنّي ، تتقبّل وجود الرّأي الآخر حتّى لو لم تَقْبَلْهُ وتتبنّاه ، فتوجد وجهات نظر مختلفة في المجتمع الواحد ، نعم يمكن أن نفتح باب النّقاش العلميّ بين الأطراف المختلفة في الآراء ، ما هو دليلك وما هو دليله ، والنّقاش بين الأطراف يكون في الأدلّة ، ومن حقّ كلّ إنسان أن يتبنّى ما يقتنع به ، لو أسألك : هل تقبل بأن يُفْرَضَ عليك آراء أو اعتقادات معيّنة ؟

جوابك يكون لا أقبل .

فلا أحد يقبل أن يفرض عليه رأي أو عقيدة معيّنة ، فكما أنّ لك الحرّيّة في تبنّي ما تريد من آراء واعتقادات بناءً على قناعاتك الشّخصيّة ، كذلك اعط الحرّيّة للآخرين في تبنّي ما يقتنعون به من آراء واعتقادات ، وكما أنّك لا ترضى أن يفرض الآخرون آراءهم واعتقاداتهم عليك ، كذلك لا تفرض آراءك واعتقاداتك على الآخرين ، والإنسان حينما يعتقد يكون بناءً على قناعاته الخاصّة ، ولا تستطيع أن تجبر الآخرين على عقائدك وقناعاتك وآرائك .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم : **"لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ"** [1] .

---

[1] البقرة : ٢٥٦ .

يقال في تفسير هذه الآية أنّه لا إكراه في الدين إذا كان هو خارج الدّين الإسلاميّ ، ولكن إذا دخل الإسلام فهو مُكْرَهٌ على البقاء فيه ، وإذا خرج من الإسلام صار مُرْتَدًّا فَيُقْتَل ، مع أنّ الآية مطلقة لم تُقَيَّدْ بما قبل الإسلام وما بعد الإسلام .

وكذلك المسألة الأخرى الّتي تقول بأنّ الكافر يُعْرَضُ عليه الإسلام فإمّا أن يَقْبَلَ وإمّا أن يُقْتَلَ ، فيوجد أيضا إكراه في فرض الإسلام على الكافر ، مع أنّهم قالوا في تفسير الآية السّابقة بأنّه لا إكراه في الدّين إذا كان خارج الإسلام ، وهنا يقولون بأنّه يُفْرَضُ عليه الإسلام ، يقولون إذا كان كافرًا يُعْرَضُ عليه الإسلام ، ويجب عليه أن يقبل ، وإذا لم يقبل الإسلام فإنّه يُقْتَل ، وإذا دخل الإسلام وخرج يُقْتَلُ أيضًا ، فيوجد إكراه في الدّين قبل دخوله إلى الإسلام وبعد دخوله في الإسلام إذا أراد الخروج ، وفي زماننا لا نجد تطبيقًا لهذه الحكم .

واليوم لو سمع أيّ شخص أنّه يوجد قتل الكافر وقتل المرتدّ فيكون تصوّره عن الإسلام أنّه دين القتل ، وهذا هو التّصوّر العامّ الموجود في العالم ، مع أنّه نفس القائلين بالقول السّابق يقولون بأنّ الإسلام دين السّلام لا دين الحرب والقتل ، وسنأتي في موضوع مستقلّ إلى آيات القتل والقتال والجهاد لكي نبيّن معناها من خلال سياقاتها القرآنيّة ، وسيكون لنا فهم آخر لآيات القتل والقتال والجهاد .

"**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**" ، هذه الآية مطلقة ، فلا تكره أحدًا على

دخول الإسلام ؛ لأنّ من يريد أن يدخل الإسلام فلا بدّ أن يكون مقتنعًا بهذا الدّين ، ولا أنّه إذا دخل الإسلام تفرض عليه أن يبقى فيه ، فالآية تقول لا إكراه في الدّين ، فتكون عندنا قاعدة عامّة ، وهذه الآية على نحو القضيّة الحقيقيّة ، كما قلنا في إحدى المحاضرات إنّ الآيات القرآنيّة تارةً تتكلّم عن قضيّة حقيقيّة ، وتارةً أخرى تتكلّم عن قضيّة خارجيّة واقعة في زمان النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، وهذه الآية تجري إلى يوم القيامة أنّه لا إكراه في الدّين ، فالآية مطلقة لم تُقَيَّدْ بقيد القبليّة أو البعديّة ، وهي على نحو القضيّة الحقيقيّة ، والقضيّة الحقيقيّة يُسْتَنْبَطُ منها حكم شرعي ، وهو أنّه لا يجوز أن تُكْرِهَ أحدًا على دخول الإسلام ، اقنعهم بصحّة الإسلام لكي يدخلوا فيه ، فلا إكراه على دخول الدّين ، ولا إكراه على البقاء في الدّين ، ولا إكراه في الاعتقادات والقناعات والآراء ، فالحرّيّة الفكريّة مكفول لجميع النّاس من أيّ دين أو مذهب أو طائفة أو فئة كانوا ، فلا يحقّ لأحد إكراه أحد على تبنّي فكرة معيّنة أو عقيدة معيّنة ، وهذه قاعدة قرآنيّة .

وكلّ الأفكار تُعْرَضُ مع أدلّتها ، ومن يريد أن يناقش أحدًا يناقشه بكلّ احترام ، وبدون افتراءات أو كذب ، وإذا تأتي روايات تخالف هذه القاعدة القرآنيّة فهذه الرّوايات لا يؤخذ بها أو تؤوّل ويتمّ علاجها ، وَيُجْمَعُ بين الرّوايات والآيات بطريقة ما ، كما أنّه سوف نجمع بطريقة ما بين روايات الارتداد وعدم ذكر حكم قتل المرتدّ في

القرآن ، وسيأتي بحث مستقلّ عن "حرّيّة الاعتقاد في القرآن الكريم" إن شاء الله تعالى .

إذن :

القاعدة القرآنيّة هي أنّه لا إجبار على دخول الدّين ، ولا إجبار على البقاء في الدّين ، ومن يريد أن يردّ فعليه أن يناقش هذا الفهم للآية ، والبحوث أوّلًا بحوث قرآنيّة ، نأخذ القواعد من القرآن ، وبعد ذلك نأتي إلى الرّوايات لنرى أنّها تتوافق مع القرآن أو لا تتوافق ، وفي الرّوايات يوجد الوضع والدّسّ الكثير ، والعلماء يقومون دائمًا بتنقيح الرّوايات ، وعالم الدّين حينما يتبنّى رواية معيّنة يكون بعد بحث وتحقيق فيها ، وفي مدرسة أهل البيت عليهم السّلام لا توجد عندنا كتب صحاح لكي نقول بأنّ كلّ عالم يجب أن يأخذ بهذه الرّوايات ، عند علماء مدرسة أهل البيت عليهم السّلام باب الاجتهاد مفتوح ، وكلّ عالم يحقّق في رواية رواية ، فإذا اقتنع بأنّ هذه الرّواية صحيحة فإنّه يأخذ بها ، لذلك كلّ عالم من العلماء عنده رجال ، مثلًا رجال السّيّد بحر العلوم رضوان الله عليه ، ورجال السّيّد الخوئيّ رضوان الله عليه ، وهم الرّجال والرّواة الّذين يعتمد عليهم ، وبهؤلاء الرّواة يوثّق العالم الرّوايات ، والعلماء يختلفون في تبنّيهم للرّوايات ، فعالم يعتمد على هذه الرّواية ، وعالم آخر لا يعتمد عليها .

فأوّلًا نرجع إلى القرآن الكريم ونؤسّس القاعدة ، وبعد ذلك نأتي إلى الرّوايات ، وفي مقامنا عندنا قاعدة **"لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ"** ، وهي

قاعدة عامّة جارية ، فأيّ رواية تأتي وأيّ قول من أقوال العلماء يخالف هذه القاعدة فإمّا أن نؤوّل الرّواية وقول العالم وإمّا أن نرفض الرّواية وقول العالم .

إذن حرّيّة الفكر وحرّيّة الاعتقاد مكفولة لجميع النّاس من أي فئة وطائفة وفرقة كانوا ، ولا يحقّ لأحد إكراه أحد على تبنّي فكرة معيّنة أو عقيدة معيّنة أو رأي معيّن ، وكلّ الأفكار والعقائد تُعْرَضُ مع أدلّتها ، والأدلّة هي المهمّة .

ومن يريد أن يناقش أحدًا فلا بدّ أن يناقشه بكلّ احترام وبدون كذب وافتراءات ، فيقول مثلًا توجد عند هذه المدرسة والفرقة رواية ، ويكون كاذبًا في كلامه ، فهذه الرّواية غير موجودة عندهم ، ويناقشه باحترام ، فكما أنّه توجد عندك آراء هو أيضًا عنده آراء .

ولا يحتاج إلى تسفيه الرّأي ، مثلًا يقول أنت لا تفهم ، وغيرها من التّعبيرات ، فكما أنّه توجد عندك قناعات فالطّرف الآخر عنده قناعاته أيضًا ، فافتح باب النّقاش العلميّ مع ذكر الأدلّة .

وفي القنوات الفضائيّة ما أكثر الجدل بين الأطراف ، وكلّ طرف يحاول أن يتغلّب على الطرف الآخر حتّى لو بالكذب ، وكثير من البرامج الفضائيّة ليست نافعة ، وإذا أرادت القناة الفضائيّة أن تنفع فيمكنها أن تأتي بالعالم فيعرض آراءه مع الأدلّة ، ويأتي بالعالم الآخر فيعرض قناعاته مع أدلّتها ، والحَكَمُ هم النّاس بما يقتنعون به .

إذن :

في المجتمعات المتقدّمة عندهم تقبّل الرّأي الآخر ، وإذا أراد المسلمون أن يتقدّموا فلا بدّ أن ينفتح الباب لجميع الآراء ، وكلّ طرف يطرح رأيه مع أدلّته ، والطّرف الآخر يناقش الآراء مع أدلّته ، وأنت أيضًا تطرح قناعاتك مع أدلّتك ، ولكنّ المشكلة أنّ المسلمين يريدون أن يفرضوا آراءهم على الآخرين ، والمسلمون عندهم حالة العُجْب ، فيقولون نحن فقط ، نحن الفرقة النّاجية ، وغيرنا في النّار ، ولكن ماذا قدّم المسلمون للعالم ، لا شيء ، لا من حيث الأفكار ، ولا من حيث العمل ، لا دين ولا دنيا ، ، وإنّما عند المسلم حالة العُجْب ، أنا ونحن ، وحينما تنظر إلى أعمال هذا المسلم تراها لا تتوافق مع القرآن ولا مع الرّوايات ، فهل وجود الإرهابيّين في العالم اليوم والّذين عندهم استعداد لقتل آلاف النّاس الأبرياء هل يعكس القرآن ويعكس الإسلام ؟

نحن نعاتب من رمى القنابل الذّرّيّة على اليابان ، والإرهابيّون اليوم يقومون بنفس الأعمال ، ولكن بطرق أخرى كالذّبح والنّحر والقتل وقطع الرقاب .

وفي المجتمعات الّتي تريد أن تتقدّم لا بدّ أن تفتح باب الآراء ، وباب النّقاش العلميّ في هذه الآراء .

وأمّا المجتمعات المتخلّفة فنرى فيها خطابات الإقصاء ورفض الآراء المخالفة وفرض الرّأي الواحد ، وقتل الآخر وسجنه وإبعاده وسلب

حرّيّته ومحاربته على كافّة الجبهات حتّى في رزقه ، والبعض يعتقد أنّ الحقيقة المطلقة ملكه وحده ، ويطرح آراءه على أساس أنّها قطع ويقين مع أنّها آراء ظنّيّة تحتمل الصّحّة والخطأ ، ويظنّ أنّه لا توجد حقائق خارج اعتقاداته وآرائه ، ولا يعتقد بتعدّد أفهام النّاس واختلاف قراءاتهم للنّصّ الواحد ، فتفسيره للنّصّ هو التّفسير الوحيد الصّحيح ، وأمّا تفسير الآخرين فليس له قيمة ، بل هو خارج الدّين وضدّ الدّين .

إنّ التّعصّب للرّأي الواحد والفهم الواحد والقراءة الواحدة للنّصّ من علامات تخلّف المجتمع ، وهو لا يوصل إلّا إلى مزيد من التّخلّف والتّأخّر ، وهو واقع مجتمعات المسلمين اليوم حيث نرى أنّ التّخلّف يسود جميع الأصعدة دينيًّا وسياسيًّا واجتماعيًّا واقتصاديًّا وعلميًّا ومعرفيًّا وتربويًّا وتعليميًّا ، وهذا هو واقعنا اليوم التّخلّف في جميع المجالات .

إنّ التّعصّب شكل من أشكال رفض السّنّة الإلهيّة في الكون ، والسّنّة الإلهيّة هي الاختلاف ؛ لأنّ الله خلق النّاس ليكونوا مختلفين ، ولو شاء لخلقهم على شاكلة واحدة من حيث الشّكل واللّون والفكر والعقيدة .

"وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً" [1] .

ولكنّه لم يشأ جعل النّاس أمّة واحدة .

---

[1] هود : ١١٨ .

ومن أجل ذلك يقول الله تعالى في نفس الآية :

"وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ" .

ثمّ يقول تعالى في الآية التالية :

"وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ" [1] .

أي من أجل الاختلاف خلقهم ، فاختلاف البشر هو سنّة الله في خلقه ، اختلاف الأشكال والطّباع ، واختلاف الأفكار ، وتعدّد الثقافات ، فالمشيئة الإلهيّة أرادت أن تجعل النّاس مختلفين ، والله لم يشأ أن يجعل النّاس أمّة واحدة ، وإنّما جعلهم أممًا متعدّدة مختلفة عن بعضها البعض ، وهم مستمرّون في الاختلاف ، ولأجل الاختلاف خلقهم ، واختلاف النّاس مشيئة الله التّكوينيّة ، واختلاف البشر سنّة إلهيّة ، وفي الآية لفظ : **"وَلِذَلِكَ"** ، وهو اسم إشارة للمذكّر ، فلا يرجع إلى الرّحمة ، وإنّما يرجع إلى الاختلاف ، فإذا يوجد في جملة مذكّر ومؤنّث ، وجاء اسم إشارة للمذكّر فلا يصحّ إرجاعه إلى المؤنّث ، وإنّما يرجع إلى المذكّر ، وقد يقال إنّه توجد آية تقول : **"إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ"** [2] .

لفظ **"قَرِيبٌ"** للمذكّر ، ولكنه يرجع إلى المؤنّث ، والمفروض أن نقول (قَرِيبَةٌ) ، فهنا توجد مؤنّث وأرجعنا المذكّر إليها ، نقول نعم ، ولكن يوجد شيء واحد في الآية ، فلا بد من إرجاع الخبر إليه ،

---

[1] هود : ١١٩ .

[2] الأعراف : ٥٦ .

ولكن في الآية السّابقة يوجد شيئان : مذكّر ومؤنّث ، ثمّ استعملنا ضمير مثل (هُوَ) أو اسم إشارة مثل (هَذَا) أو (ذَلِكَ) أو اسم موصول مثل (الَّذِي) ، فلكي لا يقع القارئ في الاشتباه فضمير المذكّر واسم الإشارة المذكّر واسم الموصول المذكّر يرجع إلى المذكّر ، ولا يصحّ إرجاعه إلى المؤنّث ، فالمذكّر يرجع إلى المذكّر ، وإذا أرجعناه إلى المؤنّث فيكون المعنى : (وَلِذَلِكَ الرَّحْمَة خَلَقَهُمْ) ، ولا يصحّ هذا المعنى ، والصّحيح هو : (وَلِذَلِكَ الاخْتِلَاف خَلَقَهُمْ) ، فمن ناحية لغويّة لا يصحّ إرجاع اسم الإشارة المذكّر إلى المؤنّث مع وجود المذكّر والمؤنّث في جملة واحدة حتّى لو كان المذكّر والمؤنّث مجازيّين ، فاسم الإشارة يرجع إلى المذكّر سواء كان مذكّرًا حقيقيًّا أم مجازيًّا ، وكذلك اسم الإشارة المؤنّث أو ضمير المؤنّث يرجع إلى المؤنّث سواء كان مؤنثًا حقيقيًّا أم مجازيًّا ، مثلًا نقول : (الشَّمْسُ طَلَعَتْ) أي (طَلَعَتْ هِيَ) ، والشّمس مؤنّث مجازي ، ولا يصحّ أن نقول : (الشَّمْسُ طَلَعَ) ، فيكون المعنى (طَلَعَ هِيَ) ، فإذا كان الفاعل ضميرًا يعود على المؤنّث فلا يصحّ أن نقول : (الشَّمْسُ طَلَعَ هِيَ) ، ولكن إذا قدّمنا الفعل فيجوز الوجهان : (طَلَعَتِ الشَّمْسُ) و (طَلَعَ الشَّمْسُ) ؛ لأنّ الشّمس مؤنّث مجازيّ .

وطبعا يوجد رأي آخر يقول بإرجاع "**وَلِذَلِكَ**" إلى الرّحمة ، وبيّنّا أنّه لا يصحّ هذا الإرجاع في مقامنا ، وتوجد قرائن في الآيات ، من القرائن قوله تعالى : "**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً**" .

والله تعالى لم يشأ جعل النّاس أمّةً واحدةً ، أي أنّه يشاء جعل النّاس أممًا مختلفةً ، فالاختلاف واقع ضمن المشيئة الإلهيّة .

والقرينة الثّانية قوله تعالى : "**وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ**" .

ثم يقول تعالى : "**وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ**" .

فلم يشأ الله جعل النّاس أمّةً واحدةً ، وإنّما جعلهم أممًا مختلفةً ، ولذلك الاختلاف خلقهم ، فاسم الإشارة يرجع إلى الاختلاف لوجود عدّة قرائن في الآيات الكريمة .

وقوله تعالى : "**إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ**" جملة معترضة ، بالإضافة إلى أنّه في الآية : "**إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ**" كلمة قَرِيب على صيغة (فَعِيل) ، وهذه الصّيغة تستعمل للمذكّر والمؤنّث ، فنقول (رجل جريح) و (امرأة جريح) ولا نقول (امرأة جريحة) ، ولم يرجع الخبر المذكّر إلى المؤنّث ، وإنما أرجعنا الخبر المؤنّث إلى المؤنّث .

إنّ الاختلاف سنّة الحياة ، وهو سنّة إلهيّة ، وإذا كان كلّ شخص يعتقد أنّ رأيه هو الحقيقة المطلقة ، وأنّ من حقّه أن يقتل الآخرين لأنّه مخالف لرأيه فالمجتمعات ستعيش الفوضى وعدم الاستقرار ؛ لأنّ كلّ شخص يريد أن يقتل صاحب الرّأي الآخر ، ويكمن الخطر حينما يتحوّل رفض الرّأي الآخر إلى عقيدة راسخة في المجتمع ، ويتبنّاها من يطلق عليهم (رجال الدّين) ، فإذا كان رجل الدّين يتبنّى رفض الرّأي الآخر فهذا الأمر خطر على المجتمع ، وهذا يعتبر خللًا فكريًّا في العقل الجَمْعِيّ للمجتمع ، والأخطر من ذلك أن يكون

اعتقاد الرّأي الواحد ورفض الفكر الآخر ضمن المناهج الدراسيّة للنّشء والشّباب ، فينشؤون على هذا الفكر المخالف للطّبيعة الإنسانيّة والسّنّة الإلهيّة ، فكما أنّه عندك رأي فالشّخص الآخر عنده رأي أيضًا ، وأنت تريد أن ينتشر رأيك ، والشّخص الآخر كذلك يريد نشر آرائه ، فلماذا تعطي لنفسك الحقّ ولا تعطي الآخرين نفس الحقّ ؟!

ويصير هذا الخلل الفكريّ جزءًا من شخصيّات التّلاميذ والطّلبة ، فلا ينصتون ولا يحاولون فهم كلام الآخرين ، وهذا يعكس عدم القدرة على الحوار والإقناع ، ولا توجد ضمن المناهج التّربويّة ثقافة احترام الشّخص المخالف ممّا ينشئ أجيالًا من الإرهابيّين وقتلة الأبرياء ، وعندهم قاعدة "من يخالف رأيي لا بدّ أن يقتل" ، وتأتي النّتائج الخطيرة حينما يكبرون ويتبوّءُون مناصبَ قياديّةً في المجتمعات ، فتمتلئ السّجون بسجناء الرّأي ويُعْدَمُونَ لأنّهم يتبنّون آراءً مخالفةً لآراء الحاكم وملئه وبطانته ، وفي مجتمعاتنا يوجد دائمًا الرّأي الواحد ، ولا يحقّ لك أن تخالف هذا الرّأي ، فإذا قال الحاكم شيئًا فيجب على الجميع أن يتبنّوا رأي الحاكم ، وإذا لا يتبنّى هذا الرّأي فَيُتَّهَمُ بأنّه عميل من الطّابور الخامس ، وأنّه يريد أن يهدم أسس المجتمع ، ويريد تدمير الوطن ، وغيرها من الاتّهامات .

وحينما يعجز الفرد عن قبول الاختلاف ويكون عنده الإصرار على الرّأي الواحد وعدم فتح باب الحوار وتبادل الأفكار فلا بدّ من

دقّ ناقوس الخطر إيذانًا بمشكلة في قيم المجتمع ومبادئه ؛ لأنّ التّعدّديّة أساس من أسس ازدهار المجتمع وتقدّمه الفكريّ ، والتّفاعل مع من يحمل نفس آرائنا وأفكارنا وقناعاتنا لا ينتج فكرًا جديدًا ، تصوّر أنّك تعيش في مجتمع يحمل النّاس فيه نفس الأفكار والآراء ، فلا يكون في هذا المجتمع إنتاج لفكر جديد .

إنّ ثقافة الاختلاف وثقافة الحوار لا تنفكّان عن بعضهما البعض ، وتنتجان فكرًا جديدًا ، وإذا كان المجتمع منغلقًا على أفكاره فقط ويؤمنون بالرّأي الواحد فهم يكرّرون دائمًا نفس الأفكار ولا يأتون بشيء جديد .

ونرى كثيرًا من العلماء يكرّرون آراء العلماء السّابقين ولا يوجد عندهم إنتاج جديد ، تقرأ كتابًا في الفقه الاستدلاليّ لا تجد فيه شيئًا جديدًا ، وهو تكرار لما قاله العلماء السّابقون ، ولكن إذا دخل شخص بفكرة جديدة وحينما تناقشه فإنّ فكرك يتطوّر ، وتبدأ بالتّفكير في الرّدّ عليه ، وكثير من الكتب الحديثة تكرار لأقوال الماضين ، والأمّة المسلمة أمّة تعيش الماضي ، قال العالم الفلانيّ قبل ١٣٠٠ سنة ، وقال قبل ١٠٠٠ سنة ، وقبل ٧٠٠ سنة ، فإذا كان عندنا شيخ طائفة سابقًا ، فلا بدّ أن يكون عندنا شيخ طائفة الآن ، ولا بدّ أن يكون عندنا في كلّ زمان شيخ طائفة ، فكان في زمانه شيخ طائفة ، ومع اتّساع المنظومة الفكريّة في هذا الزّمان فلا بدّ أن يكون عندنا الآن شيخ طائفة ، وفي المستقبل كذلك لا بدّ أن يكون

عندنا شيخ طائفة ، وفي كلّ جيل لا بد أن يكون عندنا شيخ طائفة ، وكلّ عالم يتكلّم بما هو مناسِب لزمانه ، فالشّيخ المفيد رضوان الله عليه يناقش العقائد الموجودة في زمانه ، وحينما تدرس كتب العقائد تأتي إلى الإشكالات العقائديّة السّابقة الّتي لا يطرحها أحد الآن .

وتوجد في زماننا إشكالات عقائديّة جديدة جاءت من الغرب ، وعلينا أن نجيب على هذه الإشكالات العقائديّة الجديدة بالفلسفات الحديثة ، وهذا هو المهمّ في زماننا الحاليّ ، فحينما يطرح الملحد أدلّته على عدم وجود الإله ، تقول أريد أن أبحث في أقوال العلماء السّابقين لأجد الأجوبة على الإشكالات الحاليّة ، والإلحاد لم يكن منتشرًا قبل ألف سنة ، وكان الملحدون أشخاصًا معدودين ، ولن تجد في أقوال العلماء السّابقين أجوبة الإشكالات الحديثة ، فنحتاج إلى بحوث جديدة للرّدّ على الملحدين المعاصرين ، وبذلك نجاري عصرنا الحاليّ ، ولا نكرّر إشكالات السّابقين وأجوبتها ، فالإشكالات القديمة لا تُطْرَحُ اليوم ، فنأتي وندرس كتابًا في العقائد كُتِبَ قبل ألف سنة ، هذا الكتاب انتهى دوره الآن ، نعم نستفيد من القواعد العامّة الموجودة في كتب السّابقين ، ولكن نطبّقها في زماننا ، وبعض الأدلّة في الكتب القديمة يمكن الاستفادة منها في زماننا لأنّها قواعد عامّة ، ولكن تطبيقها يكون على الإشكالات الحديثة ، ولا نأخذ التّطبيقات على الإشكالات القديمة .

وإذا لم نقبل ثقافة الاختلاف وثقافة الحوار ونربّي أبناءنا عليها فإنّ المستقبل لن يكون آمنًا لهم ، وسيزيد عدد الإرهابيّين في العالم .

تقول نريد أن نحافظ على هويّتنا الإسلاميّة ، فنقول بأنّه لا يوجد تعارض بين وجود الاختلاف في الآراء وتعدّد الفكر من جهة والمحافظة على الهويّة من جهة أخرى ، بل إنّ الفكرة المخالفة تؤدّي إلى صقل أفكارنا وإنتاج أفكار جديدة تخدم الأهداف الّتي نصبو إليها .

ووسائل التّواصل اليوم تساهم في نقل الأفكار من مجتمع لآخر ، ولا تستطيع الوقوف أمام انتقال الأفكار ، والإلحاد ينتقل بين الشّباب لأنّه توجد إشكالات وشبهات تُطْرَحُ ، ولكن لا مجيب عليها ، فليست بأيدي الشّباب أجوبة الأسئلة والإشكالات ، بالإضافة إلى أفعال الإرهابيّين التي تثبت كلام المستشرقين بأنّ الإسلام دين السّيف ودين الإرهاب ودين القتل ، فكيف يمكن لنا أن نثبت أنّ الإسلام دين السّلام ؟!!

والأفكار تنتقل من مجتمع إلى مجتمع آخر عبر وسائل التّواصل ، والّذين يجعلون أصابعهم في آذانهم متى ما بزغ فكر مختلف فإنّهم يجعلون أنفسهم في زاوية مغلقة معزولة ، وترون أنّ العلماء الّذين لا يطّلعون على الأفكار الحديثة يعيشون في زاوية معزولة ، وينعزلون عن النّاس ، ولا يستطيعون الإجابة عن الإشكالات الحديثة ، وبعض الشّباب يقولون بأنّهم يذهبون إلى بعض المشايخ يناقشونه في بعض

الأفكار وهذا الشّيخ يغضب ويمشي ، هذا الشّاب أتى إليك لكي يعرف الجواب منك ، هو لا يجادل ، هو يريد الجواب ، وقد يحتاج إلى تكرار الجواب عدّة مرّات لكي يستوعب الفكرة ، فهذا الشّيخ لم يحلّ المشكلة ولم يجب على الإشكال ، بل على العكس فإنّ هذا الشّابّ سيتمسّك بهذه الأفكار ويقول بأنّ علماء الدّين لم يستطيعوا الإجابة على أسئلتي ، ويستنتجون أنّ الإسلام لا يوجد فيه الجواب ، فيجعله على حساب الإسلام ، لذلك يجب على علماء الدّين أن يفتحوا صدورهم للشّباب ، وكلّ شاب يريد أن يسأل فيجب على العلماء أن يجيبوا ، ويجعلون عندهم قاعدة "لكلّ سؤال جواب" ، ولا تستطيع أن تغلق أفواه النّاس عن السّؤال ، لا بدّ أن يجيب العلماء على أسئلة النّاس .

والّذين يغلقون أسماعهم يحرمون أنفسهم من أفكار جديدة تتلاقح مع أفكارهم وتنتج أفكارًا جديدةً ، والأفكار الجديدة تخدم الدّين الإسلاميّ ، ولا نبقى على أفكار الماضين ، وإنّما نحتاج إلى أفكار جديدة ، ونحتاج إلى قراءات وأفهام جديدة للنّصوص الدّينيّة حينما نتبنّى دخالة الزّمان والمكان في الأحكام ، تعطيك نظرة جديدة ، ويمكنك أن تواكب عصرنا الحاليّ .

إنّ الدّين الإسلاميّ لا يخاف من مواجهة الأفكار ونقاشها ، وهو ديدن النّبيّ صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السّلام والعلماء الماضين والحاليّين ، فهم دائمًا يناقشون الأفكار ، ولا يوجد عندهم خوف من

أيّ فكرة ، وعلماء مدرسة أهل البيت عليهم السّلام لا توجد عندهم خطوط حمراء ، ولا يقولون قف ولا تفكّر في هذا الأمر ، نعم علماء المذاهب الأخرى يقولون لا تفكّر في هذا الأمر ولا تسأل هذا السّؤال ، وعلماؤنا يستقبلون أيّ سؤال ، وعندهم استعداد للإجابة عن أيّ سؤال ، وأيّ سؤال ترسله للمرجع فإنّه يجيبك ، ولا يقول لك لا تفكّر في هذا الموضوع ، فديننا دين قويّ لا يخاف ، وهو قائم على أسس قويّة جعلته يصمد لمدّة أربعة عشر قرنًا ، بل إنّه يقوى يومًا بعد يوم ، وإذا كان الدّين قويًّا فلماذا يضعف أبناؤه عن مواجهة الأفكار الجديدة ونقاشها والرّدّ عليها طالمًا أنّهم يدّعون أنّ الإسلام صالح لكلّ زمان ومكان وأنّه قادر على حلّ جميع مشاكل العالم ؟!

ومن مشاكل العالم المشاكل الفكريّة ، وتحتاج إلى حلول ، والمشاكل العقائديّة ، وتحتاج إلى جواب ، فإذا دينك قويّ وصالح للعالم ولحلّ مشاكل البشريّة فلا بدّ أن تجد حلولًا للمشاكل الفكريّة والعقائديّة الموجودة في زماننا الحاليّ ، وفي كلّ زمان وفي كلّ مكان تنشأ الأفكار الجديدة دائمًا ، ولا يبقى النّاس على الأفكار القديمة ، ولا يمكن أن نهرب من الأفكار الجديدة ؛ لأنّنا غُزِينَا في عقر دارنا بالأفكار الّتي تنتشر عبر وسائل التّواصل .

إذا كان من حقّ المسلم أن يَقْتُلَ الآخرين لأنّهم ليسوا مسلمين ، والكافر يُعْرَضُ عليه الإسلام ، وإذا لم يَقْبَلِ الإسلام فإنّه يُقْتَلُ ، وبنفس القاعدة يكون من حقّ اليهود أن يقتلوا غير اليهود ، ومن حقّ

المسيحيّين أن يقتلوا غير المسيحيّين ، ومن حق البوذيّين أن يقتلوا غير البوذيّين ، وهكذا يكون هذا الحقّ مكفولًا لجميع الأديان والملل والنّحل مُعَامَلَةً بالمثل ، فكلّ فرقة تقتل مخالفيها ، ومن يطلب اللّجوء في الغرب تُعْرَضُ عليه المسيحيّة فإمّا أن يقبل وإمّا أن لا يُعْطَى اللّجوء وإمّا أن يسجن وإمّا أن يُعْدَمَ تطبيقًا لنفس القاعدة ، فلماذا يكون هذا الحقّ للمسلمين دون غيرهم ؟!

وهذه القاعدة ليست قاعدة فطريّة ؛ لأنّك لا تقبل أن تُقْتَلَ على رأيك الّذي تتبنّاه ، بل من فطرة الإنسان أنّه لا يقبل هذه القاعدة ، فالفطرة لا تقبل أن يُفْرَضَ عليك رأي معيّن ، وحينما تريد أن تَقْتُلَ شخصًا لأنّ لديه فكرًا مخالِفًا فهذا خلاف الفطرة ، وخلاف العقل أيضًا ، فعقل أيّ إنسان لا يَقْبَلُ أن يُفْرَضَ عليه رأي معيّن ، لذلك في الغرب يمارس المسلم عقائده بكلّ حرّيّة ، وما يوجد في الغرب في هذه المسألة هو الّذي يتناسب مع الفطرة ، لذلك فالمسلم يمدح الغرب لوجود حرّيّة الاعتقاد عندهم ، والمسلمون يطلبون اللّجوء إلى الغرب لأنّهم يرون الحرّيّة هناك ، فيمكنك أن تؤسّس مسجدًا هناك ، فهم يعطونك الرّخصة ، ويمكنك أن تشتري كنيسةً وتحوّلها إلى مسجد ، ولا يعترضون عليك ، ويمكنك أن تعبّر عن آرائك بكلّ حرّيّة ، لذلك فالمسلمون يطلبون اللّجوء من الدّول الغربيّة .

إنّ في اختلاف الآراء نعمة ومصدر غِنَى ؛ لأنّه يساعد على بروز أنماط جديدة من التّفكير ، وإذا كنت لا تستطيع الدّفاع فكريًّا عن

آرائك فلا تطرحها على السّاحة ، وإقصاء الآخر ومحاربته دليل على ضعف رأيك ، وعدم قدرتك عن الدّفاع الفكريّ عنه ، وعدم وجود دليل على صحّة رأيك ، وعدم قدرتك على حسن الحوار وإقناع الآخر ، فتقتل الآخر لأنّ دليلك ضعيف غير مُقْنِعٍ ، وإذا كنت تعتقد بأنّ دليلك قويّ فناقش الآخرين فكريًّا .

وقرآننا الكريم يقول :

"ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالمُهْتَدِينَ" [1] .

هذه قاعدة قرآنيّة ، ففي دعوة الآخرين إلى الإسلام تدعو بالحكمة والموعظة الحسنة لا بالقتل والإعدام ولا بإقصاء الرّأي المخالف ، والله تعالى لم يقل إنّك من المهتدين والطّرف الآخر الّذي تدعوه هو من الضّالّين ، بل قال تعالى هو أعلم بالضّالّين وأعلم بالمهتدين ، فقد تكون أنت الضّالّ والطّرف الآخر هو المهتدي ، وقد تكون فكرة الآخر هي الصّحيحة وفكرتك هي الخاطئة إلّا إذا كنت تَدَّعِي العصمة ، وتعتبر قولك وحيًا إلهيًّا مصيبًا لا يخطئ أبدًا ، ولا أحد يدّعي أنّ جميع آرائه وأقواله معصومة ، فهذا فهمه للنّصّ الدّينيّ من الآيات والرّوايات ، والأفهام مختلفة متعدّدة حتّى ضمن المذهب الواحد ، ففي المذهب الواحدة توجد عدّة آراء للعلماء في المسألة

---

[1] النّحل : ١٢٥ .

الواحدة ، مثلًا في المسألة الواحدة في الفقه العمليّ عادةً ما توجد ثلاثة أو أربعة آراء ، وكلّ عالم عنده دليله لإثبات رأيه ، وفي بحث الخارج يعرض المجتهد رأيه مع دليله ويناقش آراء العلماء الآخرين ، فيعرض أربعة أو خمسة أقوال في المسألة ، ويتبنّى قولًا من الأقوال بحسب ما يقتنع به من دليل .

إذن :

ليفتح المسلمون باب الحوار مع الآخرين ، ويتقبّلون وجود الرّأي المخالِف ، والتّقبّل لا يعني القبول ، فتسمع آراء الآخرين ، فكما تريد من الآخرين أن يسمعوا آراءك ، فافتح الباب أيضًا لتسمع آراء الآخرين ، ولا يمكن الوقوف أمام آراء الآخرين من الانتشار في المجتمع عن طريق وسائل التّواصل ، فرسالة واحدة تنتشر في العالم كلّه خلال خمس دقائق ، فلا بدّ أن يكون عند المسلمين متخصِّصون للرّدّ على الآراء المخالفة للإسلام ، وتوجد إشكالات كثيرة من الآخرين على القرآن الكريم ، وهذه الإشكالات تحتاج إلى ردود ، وبعض القنوات الفضائيّة أو على الإنترنت متخصِّصة في الإشكال على الإسلام ، ومنها بعض القنوات المسيحيّة ، مهمّتها فقط الإشكال على الإسلام وعلى القرآن وعلى النّبيّ صلّى الله عليه وآله وعلى الأحكام الشّرعيّة ، وهذا كلّه يحتاج إلى ردود ؛ لأنّ الشباب المسلمين يستمعون إلى هذه القنوات ، وسترى مسلمين يتحوّلون إلى المسيحيّة أو الإلحاد ، والإلحاد اليوم منتشر بكثرة في البلدان المسلمة ، ويقال

بأنّ العدد يصل إلى عدّة ملايين ، ودور العلماء أن يجيبوا على أسئلة هؤلاء الشّباب ، بدءًا من إثبات وجود الله ، فكيف يمكن لنا أن نثبت وجود الله تعالى ؟

وهذه أوّل نقطة لا بدّ أن تناقش ، ويؤتى بالأدلة على وجود الإله الخالق أوّلًا ، وبعد ذلك نأتي بالأدلّة لإثبات أنّ هذا الإله الخالق هو الله تعالى .

والحمدلله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(٢٦)

محوريّة القرآن الكريم ومحاوره [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمدلله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

نحن – المسلمين – نعتقد بأنّ الإسلام صالح لكلّ زمان ومكان ، وأنّه قادر على حلّ جميع مشاكل العالم ، وأنّ فيه القابليّة للانتشار في العالم ؛ لأنّ فيه المبادئ والقِيَم العالميّة ، ولكن حينما ننظر إلى واقعنا نرى بأنّ الإسلام لا يُطَبَّقُ في المجتمعات المسلمة ، ونرى بأنّ الظّلم منتشر بين المسلمين ، وأنّ الإسلام لم ينتشر في العالم ، وفي المقابل نرى في الغرب تطبيقًا للعدالة والحرّيّة والمساواة ومبادئ الإنسانيّة وقيمها ، ونفتقد هذه الأمور في مجتمعاتنا المسلمة ، وهذا واضح ولا يحتاج إلى إثبات ، فلا بدّ أن نسأل أنفسنا : أين الخلل ؟ لماذا تُطَبَّقُ مبادئ الإسلام في الدّول الغربيّة والشّرقيّة والّتي نسمّيها مجتمعات

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ١ ربيع الأول ١٤٤٠ هـ الموافق ٢٠١٨/١١/٩ م .

كافرة وفي المجتمعات المسلمة لا نرى الإسلام ؟ لماذا نرى في مجتمعاتنا المسلمين ولا نرى مبادئ الإسلام ونرى في الغرب مبادئ الإسلام مع أنّها دول لا يوجد فيها مسلمون من السّكّان الأصليّين إلّا القليل والمسلمون فيها هم من المهاجرين وينقلون مشاكلهم معهم أيضًا إلى هذه الدّول ؟ أين تكمن المشكلة ؟ لماذا لا تُطَبَّقُ مبادئ الإسلام بين المسلمين مع أنّنا ندّعي بأنّها مبادئ عالميّة ؟

علينا أوّلًا أن نحدّد الخلل والمشكلة ، ثمّ نأتي لتحديد أسباب هذا الخلل ، ثمّ نأتي إلى العلاج المناسب ، وطالمًا أنّ الإسلام المطروح اليوم حسب قراءات وأفهام العلماء لم تحلّ لنا المشاكل ولم تساهم في نشر الإسلام في العالم – فقد يكون عندنا خطأ في فهم بعض أحكام الإسلام ، نحن نقول إنّ هذا هو الإسلام ، والصّحيح أن نقول إنّ هذا هو فهم العلماء للإسلام ، ففي كلّ زمان العلماء يفهمون الإسلام بطريقة معيّنة ، فتوجد عدّة قراءات وأفهام للنّصوص الدّينيّة بين مختلف الفرق والمذاهب المسلمة ، فأيّ قراءة من هذه القراءات والأفهام تناسب زماننا الحاليّ ؟

وكلامنا ليس عن الإسلام على مذهب معيّن أو مدرسة معيّنة ، بل عن الإسلام بشكل عامّ ، والّذي تطرحه المذاهب والفرق والمدارس المختلفة .

ونرى أنّ جميع المدارس والمذاهب تدعو إلى تجديد الفكر الدّينيّ وتجديد الخطاب الدّينيّ بما يناسب زماننا الحاليّ ، ولكن مع ذلك لا

نجد أيّ أثر للإسلام في الانتشار العالميّ ، نعم نجد أشخاصًا يدخلون الإسلام ، ولكن في المقابل نرى أشخاصًا أكثر يخرجون من الإسلام ، وقد يصيرون من المسيحيّين ، أو من الملحدين الّذين لا يعتقدون بوجود إله ، أو من الرّبوبيّين الّذين يعتقدون بوجود إله ، ولكنّهم لا يعتقدون بالأديان ، فنسأل : لماذا لم يحصل هؤلاء على الأجوبة المقنعة على أسئلتهم ؟

وهم حتمًا عندهم تساؤلات وإشكالات ، فلماذا لم يحصلوا الأجوبة على تساؤلاتهم وإشكالاتهم ؟

هذا الّذي يصير ملحدًا قبل ذلك يكون عنده أسئلة ، ويذهب إلى العلماء ، فلا يستطيعون الجواب على أسئلته ، أو يجيبون بأجوبة غير مقنعة ، وبحسب القراءات والأفهام الموجودة للنّصوص الدّينيّة اليوم لم نستطع أن نمنع المسلمين من الانتقال إلى الإلحاد أو إلى الأديان الأخرى .

هل نحتاج إلى قراءات وأفهام جديدة للإسلام بما يناسب هذا الزّمان الّذي نعيش فيه أو نبقى على القراءات والأفهام السّابقة الّتي رأينا أنّها لا تساهم في جعل الإسلام دينًا عالميًّا مع أنّ الإسلام فيه عوامل الانتشار والقوّة الّتي جعلته صامدًا خلال القرون الماضية مع كثرة المؤامرات الّتي حِيكَتْ ضدّه ؟ لماذا ينتشر الإلحاد في العالم وفي المجتمعات المسلمة ؟ هل توجد حاجة للاجتهاد أو نبقى على جميع آراء العلماء السّابقين فنكون ضمن التّقليد لا الاجتهاد ؟

إنّ الاجتهاد معناه الإبداع في فهم الأدلّة والنّصوص الدّينيّة من القرآن والسّنّة النّبويّة ، وحينما نقول إنّ هذا مجتهد فالمفروض أن تكون عنده آراء إبداعيّة جديدة ، المجتهد لا يكرّر كلمات السّابقين ، ومن يكرّر كلمات السّابقين فهو ليس مجتهدًا ، وكذلك في علوم الطّبيعة يوجد علماء مجتهدون يأتون بآراء إبداعيّة جديدة ، والعالم يأخذ المعلومات السّابقة ، ويبني عليها شيئًا جديدًا ، فيعطينا آراءً جديدةً ، مثلًا في علم الطّبّ يقال بأنّه في كل يوم يوجد مائتا مكتشف طبّيّ جديد .

كيف نبيّن المعارف الإسلاميّة للعالم بحيث يتمّ قبولها بحسب عقول النّاس وفطرتهم وأيضًا أعرافهم الاجتماعيّة ؟

الأعراف في المجتمعات بعضها تكون أعرافًا عامّةً تشمل جميع المجتمعات ، وبعضها تكون أعرافًا خاصّةً لكلّ مجتمع مجتمع .

فهل يمكن تقديم المعارف الإسلاميّة للنّاس بناءً على فطرتهم وعقولهم وأعرافهم الاجتماعيّة بحيث حينما نقدّم هذه المعارف يتمّ قبولها من النّاس ؟

لماذا الأمّة المسلمة اليوم خارج التّاريخ وفي أسفل قائمة الأمم في العالم ؟

لماذا لا يهتمّ العالم بالإسلام إذا كان قادرًا على حلّ مشاكلهم كما نَدَّعِي ؟

هل قدّم المسلمون اليوم الإسلام على أنّه دين السّلام والرّحمة وأنّه

قادر على حلّ جميع مشاكل البشريّة أو قدّموا الإسلام على أنّه دين الإرهاب والسّيف والحرب والقتل والقتال ؟

هذه الأسئلة كلّها تحتاج إلى أجوبة دقيقة ، وكلّ مسلم لا بدّ أن يفكر في هذه الأسئلة بشكل جدّيّ إن كان الإسلام يشكّل جزءًا من همومه واهتماماته ، لا فقط العلماء يفكّرون في هذه الأسئلة ، بل حتّى المسلم العاديّ لا بدّ أن يفكّر بهذه الأسئلة إذا كان الإسلام يهمّه ، وقد يكون المسلم غير مهتمّ بانتشار الإسلام في العالم ، والمسلمون الّذين يقولون إنّ الإسلام دين عالميّ لو نسألهم عن تفاصيل هذا القول فإنّهم لا يعرفون الجواب ، نسألهم : كيف يكون الإسلام دينًا عالميًّا ؟

الكثير منهم لا يملكون جوابًا عن هذا السّؤال ؛ لأنّنا نكرّر الأقوال والكلمات والشّعارات الّتي وردت إلينا عبر التّاريخ ، ولكنّنا لا نعرف شيئًا عن التّفاصيل .

في السّنة والسّيرة النبويّة والأحداث التّاريخيّة للمسلمين في بداية الإسلام ليست بالضّرورة أنّها وقعت كما نُقِلَتْ إلينا ، فناقل السّنّة والسّيرة والتّاريخ قد يخطئ ويشتبه أو يكذب ، فيسمع شيئًا من المعصوم عليه السّلام ، ولكنّه ينقل شيئًا آخر لخطأ أو اشتباه أو كذب ، وهذا يحدث بيننا أيضا ، أنت تقول شيئًا ويُنْقَلُ عنك شيء آخر خلاف ما قُلْتَهُ ، وهذا وارد لأنّ الناس قد يخطئون في الفهم والنقل أو يكذبون في النّقل عنك لوجود أغراض وأهداف عندهم ،

قد تكون الأغراض شخصيّة أو سياسيّة أو اقتصاديّة أو اجتماعيّة ، لذلك نحتاج إلى وجود مقياس ومرجع لعرض كلّ ما ينقل إلينا عبر التّاريخ ، وبواسطة هذا المقياس والمرجع يمكن لنا معرفة الحقّ من الباطل ، فما هو هذا المقياس والمرجع ؟

هذا المقياس والمرجع هو القرآن الكريم ، نحن نعتقد أنّ القرآن كتاب معصوم لا يأتيه الباطل من يديه ولا من خلفه ، والقرآن الموجود اليوم بين المسلمين هو قرآن كامل ، لا يوجد فيه نقص ولا زيادة ولا تحريف ، وهذا هو اعتقادنا ، وإلّا فمع أقلّ احتمال بوجود النّقص أو الزّيادة أو التّحريف فلا يمكن الاعتماد على القرآن ، مجرّد الاحتمال ، فمن يقول بوجود التّحريف في القرآن فتحتمل أنّ كلّ آية وقع فيها التّحريف ، والبعض يقول باحتمال وجود التّحريف فنقول حتّى مع احتمال التّحريف لا يمكن الاعتماد على القرآن ، فتحتمل أنّ كلّ آية فيها تحريف ، ومع احتمال التّحريف لا يمكن أن تجعل القرآن مصدرًا من مصادر استنباط المعارف الدّينيّة ، وجميع المسلمين يقولون بأنّ المصدر الأوّل للاستنباط هو القرآن ، نعم تجد روايات في كتب الأحاديث عند جميع مدارس ومذاهب المسلمين تدلّ على وقوع التّحريف في القرآن ، وهذه الرّوايات إمّا أن تُؤَوَّلَ وإمّا أن تُرَدَّ ، فلا يمكن الأخذ بهذه الرّوايات ، والمشكلة أنّ بعض هذه الرّوايات يقال بصحّتها ، ومن يأخذ بالرّوايات الصّحيحة من حيث السّند فقط فإنّ النّتيجة عنده هي تحريف القرآن ، وهذا موجود عند جميع

المدارس والمذاهب ، ويأتي مذهب ويتّهم مذهبا آخر بأنّه يقول بتحريف القرآن مع أنّ جميع المذاهب عندهم روايات تقول بتحريف القرآن أو بنقص القرآن .

إذن :

نأتي أوّلًا إلى القرآن لنستخرج القواعد العامّة في جميع المعارف الدّينيّة لا خصوص الفقه العمليّ ، ونستخرج التّاريخ الّذي حصل للمسلمين ، ونستخرج السّيرة النّبويّة ، فالسّيرة النّبويّة نستخرجها أوّلًا من القرآن من الآيات الّتي تتحدّث عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله والأحداث التّاريخيّة الّتي حصلت معه صلّى الله عليه وآله ، وبعد ذلك نأتي إلى القصص والأحداث الّتي نُقِلَتْ أنّها حصلت للنّبيّ صلّى الله عليه وآله ، ونعرض هذه القصص والأحداث على القرآن لنرى أنّ ما نُقِلَ إلينا هل يتناسب مع نقل القرآن لأخلاق النّبيّ صلّى الله عليه وآله والأحداث الّتي حصلت له أو لا يتناسب ، فإذا وافق القرآن فنقبل هذه القصص والأحداث ، وإذا تعارض مع القرآن فنرفض هذا النّقل ، فأخلاق النّبيّ صلّى الله عليه وآله في القرآن مذكورة بطريقة معيّنة ، ونأتي إلى القصص والرّوايات فنجد أنّ شخصيّة النّبيّ صلّى الله عليه وآله فيها تختلف عن شخصيّة النّبيّ المذكورة في القرآن .

وبناءً على القرآن الكريم نحدّد الأحداث الّتي وقعت لأنّها تتناسب مع القرآن من الّتي لم تقع وهي الّتي لا تتناسب مع القرآن ، وبالنّسبة للرّوايات في أيّ موضوع من الأنواع الثّلاثة من الفقه : الفقه العقائديّ

والفقه الأخلاقيّ والفقه العمليّ ، نأتي أوّلًا إلى القرآن لنرى ما يذكره القرآن من قواعد عامّة وأحكام تفصيليّة في الأنواع الثّلاثة من الفقه ، وبعد أن نستخرج ما قاله القرآن من قواعد عامّة وأحكام تفصيليّة نعرض الرّوايات الّتي نُقِلَتْ إلينا في الأنواع الثّلاثة من الفقه على القرآن ، فنأخذ ما يتوافق مع القرآن ، ونترك ما يتعارض مع القرآن .

إذا كان القرآن كتابًا عالميًّا فلا بدّ أن تكون آياته آيات عالميّة ، ولا بدّ أن ننظر إلى القرآن بالمنظار العالميّ ، وحينئذٍ يمكن لنا أن نفهم القرآن كمنهج عالميّ لجميع البشر في كلّ العالم ، فلا بدّ أن ننظر إلى الآية القرآنيّة على أنّها آية عالميّة لا تتحدّث عن شيء محلّيّ ، وإذا نظرنا إلى القرآن بمنظار العالميّة فإنّ فهمنا لمعاني القرآن سيتغيّر ، وسنرى أحكام القرآن أحكامًا عالميّة ، ومفاهيمه مفاهيم عالميّة ، ومبادءه مبادئ عالميّة ، وهكذا أيضًا إذا نظرنا إلى سنّة النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسيرته على أنّها سنّة وسيرة عالميّة ، حينئذٍ ستكون قراءتنا للسّنّة والسّيرة قراءة جديدة مختلفة عن قراءة من كان يدّعي بأنّ الإسلام دين عالميّ ، ولكنّه يتعامل مع الإسلام كدين محلّيّ ، ومع القرآن ككتاب محلّيّ ، ومع سيرة وسنّة النّبيّ صلّى الله عليه وآله على أنّها سيرة وسنّة محلّيّة في بقعة جغرافيّة معيّنة لمكّة وما حولها من البلدان في الشّرق الأوسط ، وعلينا أن نتعامل مع القرآن ككتاب عالميّ ، وسنّة وسيرة النّبيّ صلّى الله عليه وآله كسنّة وسيرة عالميّة ، لذلك لا بدّ أن نغيّر المنظار الّذي ننظر من خلاله إلى القرآن وسيرة

النّبيّ صلّى الله عليه وآله .

ونجعل نصب أعيننا قول القرآن الكريم نقلًا عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله ، وسياق الآيات يدلّ على أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله يقول هذا الكلام في يوم القيامة :

"المُلْكُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الكَافِرِينَ عَسِيرًا وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولًا وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا القُرْءَانَ مَهْجُورًا" [1] .

النّبيّ صلّى الله عليه وآله يشهد يوم القيامة أنّ المسلمين اتّخذوا هذا القرآن مهجورًا ، وشهادة النّبيّ صلّى الله عليه وآله حقّ وواقع ، ومعنى ذلك أنّ المسلمين لا يعملون بأحكام الإسلام ، لذلك فإنّ الإسلام لا ينتشر في العالم ، ولا يكون مقبولًا عند النّاس في العالم ، ومعنى ذلك أنّ بعض الأحكام الموجودة عند المسلمين ليست أحكامًا قرآنيّة ، فالمسلمون هجروا القرآن في بعض الأحكام على الأقلّ ، ولكن يفهم من قول النّبيّ صلّى الله عليه وآله أنّهم هجروا القرآن أنّ أكثر أحكام القرآن مهجورة ، فصارت الأحكام المنسوبة إلى الإسلام أحكامًا مختلطةً من الأحكام القرآنيّة وغير القرآنيّة ، وقد يفهم من كلمة "الهَجْر" أنّ جميع أحكام القرآن مهجورة ، ولكن نقول لا ؛

---

[1] الفرقان : ٢٦-٣٠ .

لأنّ بعض أحكام القرآن الكريم موجودة بين المسلمين ويعملون بها ، كالصّلاة والصّيام وغيرهما ، لذلك لا بدّ أن نبحث عن الأحكام القرآنيّة .

قد يقول قائل بأنّ المسلمين لم يهجروا القرآن ، فكثير منهم يحفظه عن ظهر قلب ، وتقام المسابقات القرآنيّة في جميع البلدان المسلمة ، ويهتمّون بتجويد القرآن وحفظ قواعد التّجويد ، فهذا دليل على أنّهم لم يهجروا القرآن .

وفي الرّدّ على ذلك نقول بأنّ هذا اهتمام بألفاظ القرآن ومخارج الحروف ، ولا يوجد اهتمام بمضامين القرآن ومعانيه ، فكم من حافظي القرآن يتحوّلون إلى إرهابيّين يقتلون النّاس بغير حقّ ، ويأتون بآيات قرآنيّة تؤيّد مسلكهم ، بالإضافة إلى أنّنا لم نجد حلًّا لمشكلة الفقر المنتشر في المجتمعات المسلمة مثلًا ، فالمفروض أنّه إذا طبّقت أحكام القرآن فإنّه لا يوجد فقير واحد في العالم لا فقط في المجتمعات المسلمة ، فأين القرآن الكريم في حياة المسلمين الاجتماعيّة والسّياسيّة والاقتصاديّة وغيرها ؟

لو فهم المسلمون القرآن الكريم وطبّقوه لكنّا خير أمّة بين الأمم ، ولصرنا مثالًا يُضْرَبُ به في العدل والتّسامح ، وَيُحْتَذَى به في الإحسان والبرّ والتّقوى ، وغيرها من الأمور الواردة في القرآن ، ولتسابق النّاس إلى معرفة الإسلام حينما يرون أنّ المجتمعات الّتي تتبنّى الإسلام أفضل مجتمع في جميع أمورها ، ولهاجر النّاس إلينا وطلبوا

اللّجوء منّا ليعيشوا بيننا حينما يرون العدل مطبّقا ، فلماذا يهاجر المسلمون إلى الدول الغربيّة ؟

لأنّهم يجدون ما يفتقدونه في بلدانهم من العدل والحرّيّة والمساواة ، ولا يجدون الطّائفية ، والتّفرقة على أساس القوميّة .

لنأت إلى بعض الآيات القرآنيّة لنرى بعض المحاور المذكورة فيها ، ومن المحاور القرآنيّة :

المحور الأول : خطابات القرآن العالميّة :

تتحدّث الآيات الكريمة في القرآن الكريم مع بني آدم ، ومع النّاس ، ومع الإنسان .

خطابات القرآن لبني آدم :

"يَا بَنِي ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ" [١] .

"يَا بَنِي ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ" [٢] .

"وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ" [٣] .

"أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ" [٤] .

---

[١] الأعراف : ٢٦ .

[٢] السّورة السّابقة : ٢٧ .

[٣] الإسراء : ٧٠ .

[٤] يس : ٦٠-٦١ .

خطابات لبني آدم ، وهذه الخطابات خطابات عالميّة ، ويمكن أن نبحث في خطابات القرآن حينما نتحدّث مع غير المسلمين ، ما هي المواضيع الّتي تطرحها الآيات ، وينفعنا ذلك في تحديد الخطاب الدّينيّ .

مثلًا في الآية : **"وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ"** ، فالمطلوب من جميع النّاس أن يكونوا متّقين ، والتّقوى ليست مطلوبة من الإنسان المسلم فقط ، فالتّقوى مطلب إنسانيّ عامّ ، وسنأتي إلى معنى التّقوى العامّ .

وفي الآية : **"لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ"** ، تحذير لجميع النّاس من الشّيطان .

وفي الآية : **"وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ"** ، أي أنّ المطلوب الحفاظ على الكرامة الإنسانيّة بشكل عامّ لا فقط كرامة الإنسان المسلم .

وفي الآية : **"أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ وَأَنِ اعْبُدُونِي"** ، تحذير من الشّيطان ودعوة إلى عبادة الله ، فإذا كانت الآية تدعو النّاس إلى عبادة الله فلا بد أن يبيّن الله عزّ وجلّ أنّه موجود ، ويكون إثبات ذلك للنّاس بطريقة سهلة ، المفروض أن يكون الإثبات هكذا ، مثلًا كلّ إنسان يرى الله في الموجودات ، ومن جهة العقل توجد أدلّة عقليّة ، ومن جهة الفطرة توجد أدلّة فطريّة ، فلا بدّ أن تكون الأدلّة واضحةً أمام جميع النّاس لكي يمكنهم الوصول إلى الله بسهولة .

يقول الله تعالى في كتابه الكريم :

"قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ" [1] .

الاستفهام استنكاريّ ، والمعنى أنّه لا يوجد شكّ في وجود الله ، فلا بدّ أن تكون معرفة الله سهلةً لجميع النّاس ، وسنأتي إلى الأدلّة العقليّة والفطريّة في بحوث مستقلّة إن شاء الله تعالى .

خطابات القرآن للنّاس :

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" [2] .

دعوة جميع النّاس إلى عبادة الله تعالى ، وإلى التّقوى .

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ" [3] .

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ" [4] .

الآية قالت : **"اتَّقُوا رَبَّكُمُ"** ، ولم تقل : (اتَّقُوا اللهَ) ، والمفروض أنّ الإنسان لا بدّ أن يصل إلى معرفة ربّه بطريقة سهلة .

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ" [5] .

---

[1] إبراهيم : ١٠ .

[2] البقرة : ٢١ .

[3] السّورة السّابقة : ١٦٨-١٦٩ .

[4] النّساء : ١ .

[5] السّورة السّابقة : ١٧٠ .

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا" [١] .

"قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا" [٢] .

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" [٣] .

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلمُؤْمِنِينَ" [٤] .

"قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ" [٥] .

"قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ" [٦] .

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةَ شَيْءٌ عَظِيمٌ" [٧] .

---

[١] النّساء : ١٧٤ .

[٢] الأعراف : ١٥٨ .

[٣] يونس : ٢٣ .

[٤] السّورة السّابقة : ٥٧ .

[٥] يونس : ١٠٤ .

[٦] السّورة السّابقة : ١٠٨ .

[٧] الحجّ : ١ .

"قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ" [١] .

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللهِ الغَرُورُ" [٢] .

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ واللهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ" [٣] .

هذه الآيات تنفعنا في تحديد الخطاب الدّينيّ وكيفيّة مخاطبة النّاس ، ولا نحتاج إلى اختراع طرق جديدة ، فطرق مخاطبة النّاس مذكورة في القرآن الكريم .

خطابات القرآن للإنسان :

"يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ" [٤] .

الآية الكريمة تذكر الرّبّ الّذي خلقك ، فالإنسان من خلال خلقه يصل إلى معرفة الرّبّ الإله الخالق .

"يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ" [٥] .

"وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ

---

[١] الحجّ : ٤٩ .

[٢] لقمان : ٣٣ .

[٣] فاطر : ١٥ .

[٤] الانفطار : ٦-٨ .

[٥] الانشقاق : ٦ .

مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" [1] .

إذا مسّ الضُّرُّ الإنسانَ فإنّه يدعو الرّبّ ، وهذا الإنسان قد يكون ملحدًا فكيف يدعو ربّه ؟

الملحد حينما يقع في أزمة ، لنفرض أنّ ابنه يُصَابُ بمرض خبيث ، والأطبّاء يقولون له بأنّ حالته ميئوس منها ، ماذا يفعل ؟

يأمل أن يكون هناك شيء من الممكن أن يشفيه ، هذا الأمل هو اتّصال بالإله الرّبّ ، يأمل من قوّة خفيّة أن تشفي ابنه ، والملحد يؤمن بالأمور الطّبيعيّة الدّنيويّة ، ولا يؤمن بالغيبيّات ، فإذا قال الطّبيب إنّ هذا المريض سيموت فالملحد يعتقد بنهاية هذا المريض ، ولكن مع ذلك عنده شعور بأنّ هناك قوّة خفيّة موجودة في الكون من الممكن أن تشفي ولده ، هذا الاتّجاه إلى القوّة الخفيّة هو ارتباط بالإله ، وهو يسميه "قوّة خفيّة" ، وغير المسلم يسمّي "الإله" ، ونحن المسلمين نسمّيه "الله" ، وليس المهمّ هو الاسم ، ولكنّ المهمّ أنّه يوجد ارتباط بشيء غيبيّ ، فهو يرجو من هذه القوّة أن تشفي ابنه ، وهذا دعاء من الملحد حيث يطلب من هذه القوّة الغيبيّة التّدخّل لشفاء ابنه ، لذلك تقول الآية : **"وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا"** ، تقول هو ملحد فكيف يدعو الله وهو لا يعتقد بوجود الإله ؟

هو يرتبط بهذه القوّة الغيبيّة ويطلب منها الشّفاء ، وهذا هو دعاء الملحد وطلبه من الله تعالى .

---

[1] يونس : ١٢ .

"وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَّسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ" [١] .

"وَءَاتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ" [٢] .

"وَيَقُولُ الإِنسَانُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا أَوَلَا يَذْكُرُ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا" [٣] .

الملحدون يقولون : إذا مِتْنَا كيف يمكن للإله أن يُرْجِعَنا إلى الحياة مرّة أخرى ؟

القرآن يقول انْظُرْ إلى خَلْقِكَ فأنت لم تكن شيئًا من قَبْلُ وقد أوجدك الله ، الإله حينما خَلَقَكَ أوجدك "لا من شيء" ، لا نقول خَلَقَكَ "من لا شيء" أي خَلَقَكَ من العدم ، هذا التّعبير خاطئ ، وإنّما نقول خَلَقَكَ "لا من شيء" ، ومن الخطأ أن نقول إنّ الله خلق الإنسان من العدم ؛ لأنّ العدم لا شيء ، فالله خلق الإنسان "لا من شيء" ، حيث لم يوجد شيء ، والله أوجد الشّيء وبدأ بالمادّة الّتي خلق بها الكون ، وبعد ذلك خلق الإنسان ، فتعبير خلق "من لا

---

[١] هود : ٩-١١ .

[٢] إبراهيم : ٣٤ .

[٣] مريم : ٦٦-٦٧ .

شيء" تعبير خاطئ ، كأنّه خلق الكون من العدم ، وكأنّ الكون موجود في عالم العدم ، والله نقله من عالم العدم إلى عالم الوجود ، مع أنّ العدم لا شيء ، والتّعبير الصّحيح هو خلق الله الكون "لا من شيء" ، لذلك يأتي الإشكال أنّه كيف يمكن خلق الأشياء من العدم مع أنّ العدم لا وجود له ؟ فكيف تُخْرِجُ شيئًا من لا شيء ؟

وهذا الإشكال يأتي على التّعبير الخاطئ أنّ الله خلق الأشياء من العدم ، ولا يأتي هذا الإشكال على التّعبير الصّحيح أنّ الله خلق الأشياء "لا من شيء" ، لم يكن يوجد شيء ، والله خلق شيئًا ثمّ أوجد الكون منه ، ويمكن أن نسمّي هذا الشّيء "المادّة الأولى" ، فالله خلق المادّة الأولى ، وخلق منها الكون ، وهذا هو الإبداع ، "أَبْدَعَ شيئًا" معناه أوجد شيئًا لم يكن شيء مثله موجودًا من قبل ، لذلك نقول إنّ الإنسان المبدع هو الّذي يعطيك شيئًا جديدًا لا يوجد مثله سابقًا .

ويقول الله تعالى :

"وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الإِنسَانَ لَكَفُورٌ" [1] .

"وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" [2] .

هذه من المبادئ العالميّة في القرآن ، التّوصية بالوالدين .

---

[1] الحجّ : ٦٦ .

[2] العنكبوت : ٨ .

"وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ المَصِيرُ" [١] .

"وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ" [٢] .

"وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ" [٣] .

"الرَّحْمَنُ عَلَّمَ القُرْءَانَ خَلَقَ الإِنسَانَ عَلَّمَهُ البَيَانُ" [٤] .

"البَيَانُ" معناه أنّ الإنسان يبيّن مراده ومقصوده .

"أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ" [٥] .

"بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ" [٦] .

"فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا المَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ" [٧] .

---

[١] لقمان : ١٤ .

[٢] فصّلت : ٥١ .

[٣] ق : ١٦ .

[٤] الرّحمن : ١-٤ .

[٥] القيامة : ٣-٤ .

[٦] السّورة السّابقة : ١٤-١٥ .

[٧] عبس : ٢٤-٣٢ ، القَضْبُ : البُقُولُ الطَّرِيَّةُ ، غُلْبًا : مُلْتَفَّةَ الأَشْجَارِ ،

"فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ" [1] .

"فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ" [2] .

"لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ" [3] .

إذن :

خطابات القرآن خطابات عالميّة ، فلا بدّ أن تكون خطابات المسلمين للنّاس خطابات عالميّة أيضًا ، والأحكام الّتي يبيّنها علماء المسلمين لا بدّ أن تكون أحكامًا عالميّةً مقبولةً عند جميع النّاس في العالم اعتمادًا على عقولهم وفطرتهم وبعض أعرافهم الاجتماعيّة ، لذلك لا بدّ أن يفكّر علماء المسلمين كيف يمكن أن نجعل خطاباتنا خطابات عالميّة ، وأحكام الدّين أحكامًا عالميّة ، وهذا مهمّ جدًّا ، فنحن لا نتكلم مع بقعة جغرافيّة معيّنة بحيث نعطي الأحكام للمسلمين فقط ، نعم نعطي المسلمين وجوب الصّلاة والصّيام ، ولكنّ الإسلام ليس فقهًا عمليًّا فقط ، بل الإسلام أوسع دائرة ، فالإسلام شامل للفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ والفقه العمليّ ،

الأبُّ : ما تأكله الأنعام من العشب والنّبات .

[1] الطّارق : ٥-٨ .

[2] الفجر : ١٥-١٦ .

[3] التّين : ٤ .

وتركيزنا في هذا الزّمان على الفقه العمليّ فقط ، وكأنّ الإسلام هو الفقه العمليّ فقط ، والفقه العقائديّ لا بدّ أن نركّز عليه ؛ لأنّه هو الأصل والأساس ، في أحكام الفقه العمليّ أنت تتحدّث مع المسلمين فقط ، وتبيّن لهم تكاليفهم من ناحية عمليّة ، ولكن في الفقه العقائديّ والفقه الأخلاقيّ أنت تتحدّث مع جميع النّاس ، تريد عقائدَ عالميّةً ، وأخلاقًا عالميّةً ، والقرآن مملوء بالعقائد العالميّة والأخلاق العالميّة ، وسوف يأتي بحث مستقلّ عن "الأخلاق العالميّة في القرآن الكريم" ، فنذكر الآيات الّتي تتحدّث عن الأخلاق ؛ لكي نستخرج القواعد العامّة للأخلاق ، وبحث مستقل آخر عن "العقائد العالميّة في القرآن" ؛ لكي نستخرج القواعد العامّة للعقائد .

إن هدف القرآن الكريم هو هداية الإنسان لا هداية المسلم فقط ، فهداية القرآن هداية عالميّة ، وجميع آيات القرآن الكريم تصبّ في هذا الهدف ، والآيات تغطي جميع الجوانب الّتي يحتاجها البشر في العالم ، من الجوانب الفقهيّة العقائديّة والأخلاقيّة والعمليّة ، ولا بدّ أن تكون الآيات الّتي تتحدّث عن العقائد والأخلاق آيات كثيرة ؛ لأنّها عامّة لجميع النّاس ، وأمّا آيات الأحكام العمليّة فتكون آيات قليلة ؛ لأنّها مقتصرة على المسلمين ، ومن المهمّ أن نسير في اهتماماتنا مع اهتمامات القرآن ، ولكنّنا اقتصرنا على الفقه العمليّ ، فصار الإسلام دينًا خاصًّا بالمسلمين بدل ما أن يكون دينًا عالميًّا لجميع النّاس في العالم .

إن كتب الأخلاق الموجودة اليوم عبارة عن ترجمة لكتب الأخلاق الإغريقيّة اليونانيّة ، وليست مستخرجةً من القرآن الكريم ، فالصّفات الّتي هي بين إفراط وتفريط ، كالتّهوّر والشّجاعة والجبن ، والجربزة والحكمة والبلاهة ، هذه مقتبسة من الكتب اليونانيّة ، وطبعًا نستفيد من علوم الأمم الأخرى بما يتناسب مع الإسلام ، فما أنتجته الإنسانيّة من علوم يمكن للمسلمين الاستفادة منها ، ولا نقول كما يقول بعض المسلمين بأنّ هذه العلوم جاءت من الكفّار فلا شأن لنا بها ، من الممكن أنّ الكافر يقدّم علمًا عالميًّا ، فعلم العقائد علم عالميّ ، وعلم الأخلاق علم عالميّ ، والتّراث الإنساني يمكن الاستفادة منه في فهم ديننا أكثر ، والعلوم الطّبيعيّة يمكن لنا الاستفادة منها في تثبيت عقائدنا الإسلاميّة أكثر ، فلا نجعل حاجزًا بيننا وبين علوم الآخرين ، حتّى لو أنّ الملحد جاء بعلم يفيدنا نأخذه منه ، إنسان ملحد يقول كلمة فيها حكمة نأخذ منه هذه الحكمة ؛ لأنّ المسلم يبحث عن العلم والحكمة في أيّ مكان كانا .

عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله : "اطلبوا العلم ولو بالصّين" [1] .

وعنه صلّى الله عليه وآله : "كلمة الحكمة ضالّة المؤمن ، فحيث وجدها فهو أحقّ بها" [2] .

وعن عليّ أمير المؤمنين عليه السّلام : "الحكمة ضالّة المؤمن ، فَخُذِ

---

[1] بحار الأنوار ج١ ص١٧٧ ح٥٥ .

[2] المصدر السّابق ج٢ ص٩٩ ح٥٨ .

الحكمة ولو من أهل النّفاق" [1] .

كانت هناك حضارة في الّصين ، ويمكن الاستفادة من الكتب والحكم الصّينيّة ، مثلًا بوذا عنده كلمات فيها حكمة ، منها :

لن تُعَاقَبَ بسبب غضبك ، بل غضبك هو العقاب .

من لا تخطر لهم أفكار حاقدة يجدون السّلام .

العقل مصدر السّعادة والتّعاسة .

كلمة سلام واحدة أفضل من ألف كلمة فارغة .

يأتي السّلام من الدّاخل ، فلا تبحث عنه في الخارج .

لا يمكن إخفاء ثلاثة أشياء لفترة طويلة : الشّمس ، والقمر ، والحقيقة .

إنّ مهمتنا في هذا الوجود هو البحث عن الحقيقة .

ابحث عن الحقيقة ، ولا تُبَالِ بطول المسالك ، فكلّما رُمْتَ أُفُقًا وَجَدْتَ آفَاقًا .

الفكرة الّتي تتطوّر وتصبح فعلًا خير من تلك الّتي تقف عند حدّ كونها فكرة .

إنّ المرء لا يقاس بضخامة جسمه ، بل بنضج عقله .

إذن :

المحور الأوّل في محوريّة القرآن هو أنّ خطابات القرآن خطابات عالميّة ، فلا بدّ أن تكون خطابات المسلمين خطابات عالميّة أيضًا ،

---

[1] بحار الأنوار ج٢ ص٩٩ ح٥٧ .

ولا بدّ أن نفكّر بهذا الأمر بشكل جدّيّ ، والمسلمون يعيشون في بقعة جغرافيّة معيّنة ونظنّ بأنّ كلامنا يكون مع المسلمين فقط ، لا بدّ أن يكون كلامنا مع العالم كلّه ، والقنوات الفضائيّة تساهم في هذا الأمر ، ولكن بعض الأحكام الّتي تُطْرَحُ في الفضائيّات والّتي تُنْسَبُ إلى الدّين ليست أحكامًا عالميّة ؛ لأنّها لم تُسْتَخْرَجْ من القرآن ، وتنقل الفضائيّات بعض الرّوايات مع أنّ هذه الرّوايات لا تتوافق مع القرآن ، وإن شاء الله في بحوثنا القادمة سنأتي إلى ذكر بعض الرّوايات المشهورة بين المسلمين ، والّتي لا تتوافق مع القرآن الكريم .

وسنأتي إلى ذكر باقي محاور القرآن الكريم في الأسابيع القادمة إن شاء الله تعالى .

والحمدلله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

عالميّة الإسلام

(٢٧)

تابع محاور القرآن الكريم [١]

أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمدلله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

قبل الدّخول في تتمّة الموضوع يوجد عندي تنبيهان :

التّنبيه الأول :

من يريد أن يستمع إلى هذه المحاضرات لا بدّ أن يستمع من المحاضرة الأولى ، لا أنّه يبدأ مع المحاضرات المتأخّرة ؛ لأنّه في البداية نذكر بعض الأمور ولا نكرّرها ثانيةً ، ونعتمد على تلك النّقاط الّتي ذكرناها سابقًا ، مثلًا أحد الإخوة كان يقول بأنّني أعتمد على القرآن دون الرّوايات ، فسألته عن استماعه إلى بداية المحاضرات ، فقال بأنّه لم يستمع من البداية ، فقلت بأنّني تكلّمت في موضوع "منهج البحث" أنني أعتمد على القرآن والنّبيّ صلّى الله عليه وآله والعترة

---

[١] أُلْقِيَتْ هذه المحاضرة في الدّيوانيّة الأسبوعيّة في منطقة بيان ، الجمعة ٨ ربيع الأول ١٤٤٠ هـ الموافق ٢٠١٨/١١/١٦ م .

الطّاهرة ، فهذه قفزة إلى المحاضرة العاشرة أو المحاضرة العشرين ، فلا بدّ أن يبدأ من المحاضرة الأولى ويستمرّ ، وكذلك الإخوة الحاضرين إذا تغيّبوا أسبوعًا فلا بدّ أن يستمعوا إلى المحاضرة السّابقة قبل المجيء ؛ لأنّه توجد تتمّة للمحاضرة السّابقة ، فأرجو من جميع المتابعين أن يبدأوا من المحاضرة الأولى ويستمرّوا إلى المحاضرات التّالية .

التّنبيه الثّاني :

هذه البحوث عبارة عن بحوث نظريّة لا بحوث فتوائيّة ، فالبعض يُشْكِلُ بأنّني أطرح بعض الفتاوى هنا ، وقلت له بأنّني لا أطرح فتاوى في هذه المحاضرات ، وإنّما هذه بحوث نظريّة في قراءة الآيات والرّوايات قراءة أخرى ، فهو بحث نظريّ لا بحث فتوائيّ ، فلا أرتّب على البحث أحكامًا فقهيّةً عمليّةً ، فهي بحوث نظريّة فقط ، ونحاول أن نبحث بمنظار عالميّة الإسلام ، ومن خلال هذه النّظرة كيف يمكن أن نفهم الآية إذا كانت هذه الآية مطروحةً لجميع البشر ، وجميع البحوث تدور حول هذه النّقطة ، وهي النّظر إلى الآيات والرّوايات بمنظار عالميّة الإسلام ، لذلك بعض الإخوة يقولون بأنّه توجد نقاط جديدة في المحاضرات ، نعم هناك بعض النّقاط الجديدة ، وهي محاولة لفهم القرآن فهمًا جديدًا ، وفهمًا عالميًّا ، بحيث يتناسب مع عالميّة الإسلام ، لا أنّ الإسلام جاء ليكون دينًا محلّيًّا ضمن بقعة جغرافيّة محدّدة ، بل الإسلام دين عالميّ ، فلا بدّ أن نفهم الآيات والرّوايات بمنظار عالميّة الإسلام ، وبهذه الطّريقة يمكن لنا أن نطرح الإسلام

كدين عالميّ ، وإذا ظللنا على فهم الآية على أساس أنّ الإسلام دين محلّيّ فلا نستطيع أن ندّعي أنّ الإسلام دين عالميّ .

رجوع إلى محاور القرآن الكريم :

كان الكلام عن محوريّة القرآن الكريم ، وطرحنا المحور الأوّل وهو أنّ خطابات القرآن خطابات عالميّة تتحدّث مع بني آدم ومع النّاس ومع الإنسان .

وندخل إلى باقي محاور القرآن الكريم :

المحور الثّاني : الأمّة الإسلاميّة أمّة واحدة :

الأمّة الإسلاميّة أمّة واحدة ، وفرّقنا بين الأمّة الإسلاميّة والأمّة المسلمة ، الآن الأمّة لا تُعْتَبَرُ أمّة إسلاميّة ؛ لأنّها ليست انعكاسًا للقرآن ، وبالإضافة إلى القرآن السّنّة الواردة عن المعصومين عليهم السّلام ، النّبيّ صلّى الله عليه وآله وعترته الأطهار ، والأمّة اليوم مُقَسَّمَةٌ إلى عدّة أمم وفرق ومذاهب ومدارس وملل ، والقرآن يركّز على أنّ الأمّة الإسلاميّة أمّة واحدة .

"إِنَّ هَـذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّـةً وَاحِـدَةً وَأَنَا رَبُّكُـمْ فَاعْبُـدُونِ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْـنَهُمْ كُـلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِـحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ" [1] .

القرآن يقول إنّ هذه الأمّة أمّة واحدة ، فالقرآن لا يؤيّد الافتراق وانقسام الأمّة إلى فرق ، فهي أمة واحدة ، **"وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ"** ،

---

[1] الأنبياء : ٩٢-٩٤ .

أمّة واحدة تعبد الله الواحد ، ولكنّهم تقطّعوا أمرهم بينهم ، فانقسموا إلى فرق ، وكلّ إلينا راجعون ، فكلّ إنسان سيرجع إلى الله لأجل الحساب ، فمن ساهم في وقوع الفرقة في الأمّة الواحدة فسوف يُحَاسَبُ حسابًا شديدًا ، ومن يحافظ على الوحدة بين المسلمين فسوف يرجع إلى الله لأجل الثّواب .

ثمّ تقول الآية : **"فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ"** .

"فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ" ، الآية الكريمة لم تحدّد أنّه مؤمن بأيّ شيء ، قالت : **"وَهُوَ مُؤْمِنٌ"** ، إذن توجد عندنا قاعدة سنأتي إليها بعد ذلك ، وهي "من يعمل من الصالحات وهو مؤمن" ، هذه قاعدة قرآنيّة ، فلا بدّ أن نعرف من هو المؤمن ومن هو الكافر ، وسيأتي هذا البحث فيما بعد إن شاء الله تعالى .

"وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ" [1] .

في الآية السّابقة قال تعالى : **"وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ"** ، وفي هذه الآية يقول تعالى : **"وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ"** ، إذن المطلوب ليس العبادة فقط ، وإنّما العبادة والتّقوى ، فالعبادة لا بدّ أن تُحْدِثَ تقوى عند الإنسان العابد ، وإذا لم تُحْدِثِ العبادة تقوى عند الإنسان فمعنى ذلك أنّ هذه العبادة عبادة ظاهريّة شكليّة ، فظاهره العبادة وأنّه

---

[1] المؤمنون : ٥٢-٥٤ ، غمرتهم : جهالتهم وضلالتهم وحيرتهم .

يصلّي ويأتي بالحركات والأقوال ، ولكن هذه الحركات والأقوال لا تحدث عنده أثرًا قلبيًّا ، لذلك يقول القرآن الكريم : **"إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ المُتَّقِينَ"** [1] .

وفي الرّوايات أنّه تقبل من هذه الصّلاة نسبة معيّنة ، ١٠% أو ٢٠% أو ٥٠% أو ١٠٠% ، وفي بعض الرّوايات أنّ هذه الصّلاة تُلَفُّ كالخرقة البالية وَتُرْمَى في وجه صاحبها ، ومعنى ذلك أنّ هذه الصّلاة غير مقبولة ، فهذا الإنسان يصلّي ، ولكن هذه الصّلاة لا تُحْدِثُ آثارًا قلبيّةً عنده ، صلاة بدون أثر قلبيّ ، فهو يأتي بالحركات والأقوال فقط .

إذن أيّ عبادة من العبادات لا بدّ أن تُحْدِثَ أَثَرَ التّقوى ، لذلك يقول القرآن الكريم عن الصّيام :

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" [2] .

الإنسان قد يصوم ، ولكن بلا أثر ؛ لأنّه لا يحصل على التّقوى ، إذن أيّ عبادة من العبادات لا بدّ أن تحدث الأثر .

"وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ" [3] .

---

[1] المائدة : ٢٧ .

[2] البقرة : ١٨٣ .

[3] العنكبوت : ٤٥ .

إذا لم تحدث الصّلاة هذا الأثر فمعنى ذلك أنّ هذه الصّلاة صلاة شكلية ليس لها قيمة ، لذلك إذا أردت أن تعرف أنّ صلاتك مقبولة أو لا ، والقرآن يعطيك المقياس – فانظر إلى نفسك هل تنتهي عن الفحشاء والمنكر أو لا .

عن الإمام الصّادق عليه السّلام : "من أحبّ أن يعلم أَقُبِلَتْ صلاته أم لم تُقْبَلْ فَلْيَنْظُرْ هل منعته صلاته عن الفحشاء والمنكر ، فبقدر ما منعته قُبِلَتْ منه" [1] .

فإذا كان الإنسان ينتهي عن الفحشاء والمنكر فقد أقام الصّلاة ، وإذا لم يَنْتَهِ عن الفحشاء والمنكر فهذه الصّلاة لا قيمة لها ، وبمقدار ما ينتهي عن الفحشاء والمنكر بنفس المقدار تكون الصّلاة مقبولة ، فإذا كان ينتهي عن الفحشاء والمنكر بنسبة ٢٠% فصلاته مقبولة بنفس النّسبة ، والآن المقياس بأيدينا ، لذلك لا يمكن لك أن تقول لا أدري أنّ عباداتي مقبولة أو لا ، نقول عندك المقياس ، والقرآن الكريم أعطاك المقياس ، في الصّلاة الهدف هو الانتهاء عن الفحشاء والمنكر ، وفي الصّيام الهدف هو التّقوى ، هذا مقياس ، فإذا أردت أن تعرف أنّ صيامك مقبول أو لا – انظر إلى نفسك في آخر الشّهر هل حصلت على التّقوى بنسبة أكبر من نسبة قبل الشّهر أو لا .

وفي الآية : "**فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**" ، الآن كل فرقة فَرِحَةٌ بنفسها ، وأنّ كلّ ما عندها هو الحقّ ،

---

[1] بحار الأنوار ج٧٩ ص١٩٨ .

وأنّ ما لدى الآخرين هو الباطل ، لذلك كلّ فرقة تقول عن نفسها إنّها الفرقة النّاجية ، هي النّاجية فقط ، ويعتمدون على الرّواية الّتي تقول إنّ الأمة تنقسم إلى ٧٣ فرقة ، كلّها في النّار إلّا فرقة واحدة ، مع أنّ هذه الرّواية رواية ضعيفة ، ولكن جميع الفرق تستند إليها ، ولو قيل بصحّة الرواية فلا يمكن قبول متنه .

ونسأل السّؤال التالي :

هل يوجد عندك الحق المطلق ؟ وهل جميع الحقائق موجودة عندك ؟

بالطّبع لا ، حيث نرى أنّ أقوال الفقهاء في المذهب الواحد مختلفة ، فأيّ قول هو الحقّ ؟

قول واحد هو الحقّ ، ولا يمكن أن تقول إنّ جميع الحقائق موجودة عندي ، أنت تعتقد أنّ الحقّ الكامل عندك ، والفقهاء والعلماء يرجعون إلى الأدلّة ، وكلّ عالم يفهم فهمًا معيّنا من هذا الدّليل ، وتجد اختلافات بين العلماء في المذهب الواحد ، وهذا العالم لا يستطيع أن يقول إنّ كلّ الحقّ عندي ، ولا العالم الثّاني يستطيع أن يقول إنّ كلّ الحقّ عندي ، والمعصوم هو الوحيد الّذي يستطيع أن يقول إنّ كلّ الحقّ عندي ، والعلماء يفهمون الأدلّة ، إذن نسبة من الحقيقة موجودة عند فرقتك ، ونسبة أخرى موجودة عند الفرقة الثّانية ، وكذلك بقيّة الأديان ، كلّ دين عنده نسبة معيّنة من الحقّ والحقيقة ، مثلًا الدّيانة البوذيّة فيها حِكَمٌ ، بعض هذه الحِكَمُ يؤيّدها الإسلام ،

فعندهم نسبة من الحقيقة ، لا أنّهم يفتقدون جميع الحقائق ، فنسبة من الحقّ موجودة عندهم ، ودور المسلم هو أن يبحث عن الحقّ ؛ لأنّ الحكمة ضالّة المؤمن ، وهذه الحكمة من أيّ طريق تأتي إلينا نأخذ بها ، حتّى لو أنّ إنسانًا ملحدًا قال كلمة حقّ فنأخذ بها .

إذن الآن الأمّة متفرّقة ، تارة هذه الفرق عبارة عن تسمية فقط ، كما أنّه في المذهب الواحد أنت تأخذ فتاوى المرجع الفلانيّ ، وشخص آخر يأخذ فتاوى المرجع الثّاني ، بهذا المقدار لا يوجد ضرر ، فضمن المذهب الواحد أنت تتّبع العالم الفلانيّ ، والشّخص الآخر يتّبع العالم الثّاني ، وإلى هذا الحدّ لا يوجد ضرر ، ولكن حينما تتّبع هذا العالم وتهاجم العالم الثّاني فتحدث الفرقة والتّفرق في المذهب الواحد ، ليكن اسمك شيعيًّا أو سنّيًّا ، أو مالكيًّا أو حنفيًّا ، أنت تعتقد أنّ هذا العالم هو الّذي يعطيك الحقّ ، وتريد أن تتّبع أقواله ، افْعَلْ ذلك ، ولكن لا تهاجم الفرق الأخرى ، كما أنّك تعتقد أنّ الحقّ أو جزءًا من الحقّ أو الجزء الأكبر من الحقّ عندك – كذلك الشّخص الآخر يعتقد هذا ، ولا يوجد إنسان يعتقد أنّ ما يتبنّاه خطأ ويظلّ على هذا الاعتقاد الخاطئ إلّا القليل ، فهذا الإنسان البوذيّ يعتقد أنّه على حقّ ، والمسلم يعتقد أنّه على حقّ ، والمسيحيّ يعتقد أنّه على حقّ ، واليهوديّ يعتقد أنّه على حقّ ، ولو كانوا يعتقدون أنّ الإسلام هو الحقّ لاتّبعوا الإسلام ، طبعا غير المعاند ، وأكثر النّاس ليسوا معاندين ، هم يعتقدون أنّهم على حقّ كما أنت

أيّها المسلم تعتقد أنّك على حقّ ، فنسأل : كيف تكون العلاقات بين أتباع الأديان والمذاهب المختلفة ؟

نفتح باب النّقاش العلميّ بيننا ، أنت تعتقد أنّ الحق معك ، فلا بدّ أن تكون عندك الأدلّة على إثبات هذا الحقّ ، فاطْرَحْ أدلّتك ، والطّرف الآخر يطرح أدلّته على صحّة اعتقاداته ، وتتمّ مناقشة الأدلّة ، فعلى أساس الدّليل نتحرّك ، فأنت تطرح دليلك ، والطّرف الآخر لا يقبل دليلك ولا يقتنع به ، ولا يعتقد أنّ دليلك صحيح ، مثلما أنّك أنت لا تعتقد أنّ أدلّته صحيحة ، ليس كلّ النّاس معاندين ، ولا يصحّ أن ننظر إلى أنّ جميع النّاس معاندون ، دليلك غير مقنع ، تارة أدلّتك قويّة ، ولكنّ الطّرف الآخر لا يقبل ، مع أنّه تقام الحجّة عليه ، وتارة أنت لم تطرح دليلك بشكل قويّ ، فالضّعف فيك لا فيه هو ، والآن العالم لا يقبل الإسلام ، فنسأل :

هل يوجد تقصير من المسلمين أو لا ؟

الجواب :

نعم يوجد تقصير من المسلمين ، فالعالم يرى أنّ جميع مشاكل العالم موجودة في البلدان المسلمة ، وكلّ فرقة تستند إلى آيات وروايات ، فتريد أن تطرح إسلامًا عالميًّا ، فيقولون أنتم حلّوا مشاكلكم أوّلًا ، وبعد ذلك قولوا للنّاس في العالم أن يصيروا مسلمين ، إذا لم يَسْتَطِعِ الإسلام أن يحلّ مشاكل المسلمين ، فكيف يمكن أن نطلب من العالم أن يصيروا مسلمين ؟!

يقول إذا صرت مسلمًا فلا بدّ أن أتبع فرقةً من الفرق ، وبذلك سأدخل أيضًا في المشاكل ، لا ننظر إلى البقعة المسلمة بنظرة المسلم ، أنت مسلم ، وتقول إنّ الإرهابيّين خارج الإسلام ، وهم خوارج العصر ، ولكنّ الإنسان الشّرقيّ والغربيّ لا يرى هذا ، يرى الإسلام شيئًا واحدًا ، لا يعرف أنّ هناك فرقًا ومذاهب إلّا المطّلع ، وبشكل عامّ النّاس لا يوجد عندهم هذا الاطّلاع ، لا يعرف السنّيّ والشّيعيّ ، يرى أنّ هناك مشاكل بين المسلمين تصل إلى حدّ قتل بعضهم بعضًا ، فيقول إنّ هذا الإسلام لم يَسْتَطِعْ أن يحلّ مشاكل المسلمين ، فكيف تريد منّي أن أدخل الإسلام ؟!

إذن العيب في المسلمين والتّقصير منا ؛ لأنّ المسلمين لم يقدّموا الإسلام على حقيقته ، فلا بدّ أن نراجع أنفسنا ، لا فقط أن نأتي إلى الآيات الكريمة ونقول :

"وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ" [1] .

أنت لم تطرح الإسلام كما يجب أن يكون ، لم تطرح الإسلام على أساس أنّه دين عالميّ ، فالتّقصير منك ، ولم تقدّم الأدلّة ، فما هي أدلّتك على صحّة هذا الدّين ؟

أنت لا بدّ أن تقدّم الأدلّة في مقابل الآخرين ، هل الآن نحن نعرف الأديان الأخرى معرفة كاملة ومطّلعين على أدلّتهم لكي يمكن

---

[1] آل عمران : ٨٥ .

أن نردّ عليهم ؟

لا يوجد عندنا الاطّلاع الكافي على الأديان الأخرى ، أقلّ شيء اليهوديّة والمسيحيّة حيث لا يوجد عندنا الاطّلاع الكافي عليهما مع أنّ القرآن مملوء بآيات تتحدّث أهل الكتاب ، وآيات تتحدّث عن اليهود والنّصارى ، لا يوجد عندنا الاطّلاع الكافي على اليهوديّة والمسيحيّة ، هذا الّذي يعتقد بأنّ الإله مركّب من ثلاثة : الأب والابن وروح القدس – ما هو دليله على أنّ الإله ثلاثة في واحد ؟

لا بدّ أن نعرف تصوّره لكي يمكن الرّدّ عليه ، أنت عندك أمر بديهيّ ، وهو أنّ الثّلاثة يستحيل أن تكون شيئًا واحدًا ، ولكن هو يقول لك مثل المثلّث ، المثلّث شيء واحد مركّب من ثلاثة أضلاع ، فكيف يمكن الرّدّ على هذا التّصوّر الموجود عندهم وعلى هذا الدّليل بأنّه مثل المثلّث ؟

لا فقط تقول إنّ أهل الكتاب كفّار أو مشركون ، وتظنّ بأنّ القضيّة تنتهي ، لا تنتهي القضيّة ، عدد المسيحيّين في العالم أكثر من عدد المسلمين ، إذا نظرنا إلى الحقّ بمقياس العدد فيكون الحقّ مع المسيحيّين لا مع المسلمين ، فالآن لو أنّ شخصًا يريد أن يتّخذ دينًا معيّنا يسأل أيّ الأديان أكثر عددًا في العالم ، يقولون له المسيحيّة ، وعنده مقياس العدد ، والنّاس بشكل عامّ لا توجد عندهم الدّقّة ، فيقولون إنّه ما دام أنّ العدد أكثر إذن فالحقّ معهم ، فالتّقصير من المسلمين ، الآن كم كتاب عندنا مُتَرْجَمٌ إلى اللّغات الأخرى ، أعتقد

بأنّ العدد قليل ، تريد أن تتعامل مع هذا الدّين على أنّه دين عالميّ ، ولكنّك لم تترجم أفكارك إلى اللّغات الأخرى إلّا القليل ، وإذا تُتَرْجَمُ الكتب فإنّهم يقتصرون على اللّغتين الإنجليزيّة والفرنسيّة ، ولا تُتَرْجَمُ إلى اللّغات الأخرى ، تقول إنّ ديني عالميّ ، فلا بدّ أن تُوصِلَ كلمة الإسلام إلى جميع بقاع العالم ، كلّ إنسان بلغته ، هذا هو الجهد الّذي لا بدّ أن نقوم به ، لا فقط نتكلم باللّغة العربيّة ، ونريد من العالم أن يفهم الإسلام ، لا بدّ أن نتكلّم بألسنتهم ، انظر إلى البابا المسيحيّ يذهب إلى مختلف أنحاء العالم ، إلى أفريقيا وأمريكا الجنوبيّة ، يبني كنيسة هناك والقسّيس عنده الأجهزة والأدوات ، عنده سيّارة وهليكوبتر لكي ينشر المسيحيّة في العالم ، المسلمون ماذا فعلوا ؟ هل أرسلنا دعاةً إلى جميع أنحاء العالم ؟

هم نشروا المسيحيّة بهذه الطّريقة ، ذهبوا إلى اليابان والصّين ودول شرق آسيا وأفريقيا وأميركا الجنوبيّة ، ونشروا المسيحيّة ، وفي المقابل المسلمون ماذا فعلوا مع أنّهم يعتقدون أنّ دينهم عالميّ ؟

إنّ جهد المسلمين ليس بمقدار هذا الاعتقاد ، أموالك لا تجعلها في هذا الطّريق ، أنت كفرد أو مؤسّسات ، أنت كإنسان مسلم كم من الأموال تصرفها في نشر الدّين ؟ هل تفكّر أن تجعل جزءًا من معاشك الشّهريّ في نشر الإسلام في العالم ؟

لا نفعل ذلك ، نفكر بالسّفر فقط ، سفر سياحة في كلّ سنة ، وآلاف الدّنانير تُصْرَفُ ، وملايين الدّنانير تُصْرَفُ ، ومليارات

تُصْرَفُ ، ميزانيّات دول تُصْرَفُ من أجل السّفر في الصّيف ، كم من المسلمين يفكّرون في نشر الدّين في العالم ويكون ضمن اهتماماتهم وهمومهم ؟ أين إعانة المسلم لأخيه المسلم ؟

المسلمون في بعض بقاع العالم يعانون الفقر ، كم من المسلمين يفكّرون بقضاء حوائج هؤلاء الفقراء ؟

نفكّر فقط بسعادتنا وسعادة أولادنا ، ولكنّ المسلمين الفقراء ليسوا ضمن همومنا .

إنّ هذا الدّين يحتاج إلى أناس يحملونه بجدّيّة واهتمام ، بحيث يكون جزءًا من همومهم ، وإذا صار جزءًا من هموم المسلم واهتماماته حينذاك سيتحرّك ، نعم الإسلام عالميّ ، ولكن لا نقوم بأيّ جهد لتعريف العالم بالإسلام ، والمواضيع تطرح وكأنّ الإسلام جاء لقرية لا للعالم ، وبعض الأحكام الدّينيّة التي تطرح كأنّها لقرية ، لا ننظر إلى عالميّة الأحكام ، ننظر فقط إلى أنّه يوجد هذا الحكم وكأنّني أعيش في قرية صغيرة ، نعم العالِم قبل ألف سنة كان يعيش في قرية ، فينظر إلى الأحكام بهذه النّظرة الضّيّقة ، ولكن في زماننا نحن لا نعيش في قرية ، لا بدّ أن نتعامل مع العالم ، فلا بدّ أن ننظر إلى الإسلام بالمنظار العالميّ ، حينذاك تطرح أحكامًا عالميّة ، تتعامل مع الأحكام على أنّها تشمل كلّ العالم ، ستكون عندنا نظرة أخرى للقرآن بمنظار العالميّة .

إذن الأمّة الإسلاميّة أمّة واحدة ، والآن كم من الأوقات والجهود والأموال تُصْرَفُ لمحاربة المذاهب الأخرى ؟

قنوات تُفْتَحُ لأجل الرّدّ على المذاهب الأخرى ، والمفروض أنّ الوقت والمال والجهد اليوم يكون على عالميّة الإسلام ، وكلّ مذهب يريد أن يثبت حقّه في مقابل المذاهب الأخرى لا في مقابل الأديان الأخرى ، لا بدّ أن تكون جهودنا في إيصال الإسلام ليكون منافسًا للأديان الأخرى ؛ لكي يتقبّل العالم الإسلام ، ولكن ما زالت صراعاتنا ضمن البقعة الجغرافيّة المحدودة ، لم ننطلق إلى العالم ، نعم أنت قد تضطرّ إلى الرّدّ على المذهب الآخر ، ولكن ليس هذا كلّ جهدك ، الآن كلّ جهدك تضعه في الرّدّ على المذاهب الأخرى ، هذا جزء من الجهد ، فيوجد هجوم عليك فأنت تردّ .

إذن لننظر إلى الإسلام على أنّه دين عالميّ ، وأنّ المطلوب من الأمّة أن تكون أمّة واحدة ، لتختلف الأسماء ، تكون سنّيًّا حنفيًّا أو مالكيًّا أو حنبليًّا أو شافعيًّا ، تكون شيعيًّا إماميًّا أو زيديًّا أو إسماعيليًّا ، تتبع مدرسة معيّنة ، وهناك مشتركات كثيرة موجودة بين مذاهب المسلمين ، نحن نسينا المشتركات ، وأتينا إلى المختلَفات ، وحينما نريد أن نطرح الوحدة بين المسلمين فلا بدّ أن نركّز على المشتركات ، وفي المختلَفات نفتح باب النّقاش العلميّ بين المسلمين ، والنّقاش العلميّ يحتاج إلى علماء ، لا أنّ كلّ شخص يمكن له أن يتكلّم في نقاط الخلاف ؛ لأنّ المناقِش سيبحث في القرآن والرّوايات ، والبحث يحتاج إلى عالِم لكي يأتي بتفسير آية ، أو يثبت أنّ هذه الرّواية صحيحة عند هذا المذهب ، فيحتاج إلى عالِم لكي يبحث في

هـذه البحـوث ، لا أنّ كـلّ شـخص يـتكلّم في المسـائل الخلافيّـة بـين المذاهب والمدارس المختلفة .

إذن :

المحور الثّاني هو أنّ الأمّة الإسلاميّة أمّة واحدة ، وندعو إلى الأمّة الواحدة لكي نكون في مقابل الأديان الأخرى .

المحور الثّالث : قوّة الأمّة الإسلاميّة وهيبتها :

"وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ" [1] .

سؤال : ما الّذي يفهمه المسلمون اليوم من هذه الآية الكريمة ؟

الجواب :

الآن الفهم الموجود هو أنّه لا بدّ أن نشجّع الإرهاب ، لا بدّ أن نقتل الكافرين والمشركين ، فلا بدّ أن نكون إرهابيّين ، ويستندون إلى هذه الآية في تبرير إرهابهم ، فالآية حسب هذا الفهم هو أنّ المسلمين يعدّون القوة لكي يرهبوا أعداء الله ، ويرهبونهم عن طريق الهجوم عليهم ، بقتالهم وقتلهم ، ولكنّ الآية لا تعني هذا الفهم .

ليس معنى هذه الآية إرهاب الأعداء بالهجوم عليهم وقتالهم وقتلهم ، وإنّما تعني إعداد القوّة بحيث تكون للدّولة الإسلاميّة هيبة ، فالدّولة الإسلاميّة لا بدّ أن تكون قويّة بحيث يكون لها هيبة ، فلا يفكّر العدوّ بدخول حرب مع المسلمين أو التّحرّش بهم .

---

[1] الأنفال : ٦٠ .

إذن أيّها المسلمون أعدّوا لأعداء الله وأعدائكم ما استطعتم من قوّة ، وقوله تعالى : "**وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ**" تناسب الظّروف في ذاك الزّمان والمكان ، فنأتي إلى بحث دخالة الزّمان والمكان في الأحكام ، ولو لم نقل بدخالتهما في الأحكام فلا بدّ أن تعتمد الجيوش اليوم على الخيول .

إذن تعدّون القوّة لكي ترهبوا أعداء الله وأعداءكم ، فما هي هذه القوّة ؟

إذا كانت هناك دولة فلا بدّ أن تكون عندها القوّة العسكريّة ، لا من أجل الهجوم ، وإنّما من أجل الدّفاع ، فالقوّة تشمل القوّة العسكريّة ، فيكون عند المسلمين صناعة السّلاح ، والاستعداد لأيّ حرب يفكّر بها أعداء الدّين ، تعدّ السّلاح لأجل الدّفاع لا لأجل الهجوم .

ونرى في أقوال البعض أنّ المسلمين يُغِيرُونَ على غير المسلمين فيقتلون الرّجال ويسبون النّساء والأطفال ، وفي بعض الأقوال أنّهم يقتلون الرّجال والنّساء والأطفال ، وفي بعض الأقوال أنّهم يغيرون ليلًا .

إذن المسلمون يعدّون القوة لكي تكون عندهم هيبة ، وعندهم صناعة السّلاح ، ولكن من أجل الدّفاع عن حدود المسلمين ، وليس من أجل بيع السّلاح إلى الآخرين لكي يقتلوا النّاس ، فالمسلمون عندهم القوة العسكريّة استعدادًا للدّفاع عن النّفس .

وتشمل القوّة أيضًا القوّة السّياسيّة بحيث يؤثّرون سياسيًّا على الدّول الأخرى ، وهذه الدّول الأخرى تقف إلى جنب المسلمين في القرارات السّياسيّة العالميّة ، فيكون للمسلمين وزن في العالم ، والدّول الأخرى تحسب حساب الدّولة الإسلاميّة ، مثلما الآن الدّول الغربيّة لها قوّة سياسيّة في العالم ، ولا يقرّر العالم أيّ قرار إلّا بالرّجوع إلى الدّول الغربيّة ، والدّولة الإسلاميّة لا بدّ أن تكون بهذه القوّة السّياسيّة .

وتشمل القوّة أيضًا القوّة الاقتصاديّة بحيث يكون عند المسلمين الاكتفاء الذّاتيّ اقتصاديًّا ، ويكون عندهم الاستقلال الاقتصاديّ ، ولا يكونون تبعًا لأيّ دولة ، ولو ننظر الآن إلى الدّول المسلمة لرأينا أنّها تملك الكثير من الخيرات ، ولو أنّهم استثمروا هذه الخيرات لكان عندهم الاكتفاء الذّاتيّ من ناحية النّفط ، ومن ناحية الطّعام ، وتتعجّب أنّ بعض البلدان المسلمة عندهم الماء والتّربة الزّراعيّة الخصبة ، ومع ذلك يعاني الشّعب من الجوع ، وهذا شيء غريب ، والمفروض أنّ الإنتاج الزّراعيّ للبلدان المسلمة يغطّي كلّ العالم المسلم ، بل يكون عندهم تصدير أيضًا ، لا أنّهم يستوردون من الدّول الأخرى ، فلا بدّ أن يكون عندنا الاكتفاء الذّاتيّ والاستقلال الاقتصاديّ .

إذن :

الدّولة الإسلاميّة لا تحتاج إلى الدّول الأخرى لا عسكريًّا ولا

سياسيًّا ولا اقتصاديًّا ، وهكذا تكون الدّولة الإسلاميّة قويّة ، وعندها هيبة بين الدّول الأخرى ، ويكون لها التّأثير في القرارات الدّوليّة ، لذلك تتقرّب منها الدّول الأخرى وتتودّد إليها ، وحينما يُرَادُ أن يتّخذ أيّ قرار دوليّ يرجعون إلى الدّولة الإسلاميّة لأنّه يحسب لها حساب في العالم ، ونحن الآن نعيش في عالم الخيال ؛ لأنّه لا توجد دولة بهذه المميّزات ، ونحن نحتاج إلى مثل هذه الدّولة الّتي تكون لها هيبة ، وإذا نشأت دولة بهذه المميّزات فإنّ دول العالم سيحاربونها ، وهذا أمر طبيعيّ ، ولكن إذا كان عندها القوّة العسكريّة والقوّة السّياسيّة والقوّة الاقتصاديّة فيمكنها أن تقف أمام جميع مؤامرات دول الاستكبار ، ولا يستطيعون السّيطرة عليها .

ونحتاج إلى هذه الدّولة القويّة ، لذلك يقول القرآن : "**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ**" ، قوّة في جميع المجالات ، قوّة علميّة وقوة عمليّة صناعيّة ، والجامعات تعطيهم النّظريّات ، والمعامل تعطيهم الصّناعات ، فعندهم الإنتاج الصّناعي بحيث لا يحتاجون إلى دول العالم .

والبلدان المسلمة اليوم تستورد حتّى الإبرة ، لا يستطيعون أن يصنعوا إبرة ، حينما كنّا صغارًا كانت الإبرة تستورد من الصّين في كيس ، ومرّت خمسون سنة وما زالوا يستوردون نفس الإبرة من الصّين وفي نفس الكيس السّابق ، وأنتم بكرامة النّعال والأحذية لا تستطيع الدّول المسلمة صناعتها ، وتستوردها من الخارج ، والملابس الّتي

تلبسها ، والسّجّادة الّتي تصلّي عليها ، وأثواب الإحرام الّتي تلبسها في الحجّ ، كلّها ليست صناعة محلّيّة في الدّول المسلمة ، وكلّ ما عند المسلمين هي بضائع مستوردة ، لذلك فالبلدان المسلمة تحتاج إلى العالم ، ولكن لو كان عندنا الاكتفاء الذّاتيّ لما احتجنا إلى أيّ دولة ، ولكان عندنا هيبة بين الأمم .

إذن الآية الكريمة : "**تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ**" – معناها أنّه عندك هيبة ، فتهابك الدّول الأخرى ، وليس المعنى أنّ المسلمين يهاجمون الدّول الأخرى ويقاتلون الشّعوب ويقتلونهم من أجل أن يأخذوا خيراتهم ونساءهم ، كما هو المطروح اليوم أخذ الغنائم وسبي النّساء ، والمسلمون اليوم ضعفاء ، ولكن مع ذلك لحدّ الآن يفكّرون بالجهاد والقتال لكي يأتوا بالنّساء من الدّول الغربيّة ، وهناك مقاطع على اليوتيوب لأحدهم وهو يقول هذا الكلام ، يقول نهجم على الدّول الغربيّة ونأتي بالنّساء من هناك ، وكلّ مسلم يأخذ رأس أو رأسين أو ثلاثة ؛ لكي نقوّي الاقتصاد الإسلاميّ ، نسأله : أنت لا يوجد عندك سلاح ولا قوّة فتحاربهم بماذا ؟ أبالسّيف ؟

والقوّة عند المسلمين لا بدّ أن تكون دفاعيّة لا هجوميّة ، وسوف يأتي موضوع مستقلّ عن "الجهاد والقتال" إن شاء الله .

المحور الرّابع : اهتمام القرآن بالعدل :

"**قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ**" [1] .

---

[1] الأعراف : ٢٩ ، القسط : العدل .

"إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا" [1] .

الله تعالى يأمر بالعدل ، ويطلب من النّاس أنّهم إذا حكموا أن يحكموا بالعدل ، فنحتاج إلى الحاكم العادل ، ولا يمكن أن توجد دولة إسلاميّة بدون حاكم عادل ، فحاكم الدّولة الإسلاميّة حاكم عادل ، والدّولة المسلمة يكون فيها أيّ حاكم ، وفرّقنا بين الإسلام والمسلمين .

"إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنكَرِ وَالبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ" [2] .

الله تعالى يريد العدل ، ويطلب في الحكم الحاكم العادل ؛ لأنّ الحاكم العادل هو الّذي يحكم بالعدل ، وأمّا إذا كان يوجد حاكم غير عادل ، فيستحيل أن ينشر العدل ؛ لأنّ فاقد الشّيء لا يعطيه ، مع الحاكم العادل يمكن إجراء الأحكام الدّينيّة ، والحاكم العادل يقضي على الفقر ، وفي دولته لا يوجد فقير ، والفقير يذهب إلى بيت المال ليأخذ حاجته ، والحاجات الأساسيّة للإنسان لا بدّ أن تتوفّر لجميع النّاس ، المأكل والملبس والمسكن ، والدّابّة ووسيلة النّقل الّتي هي السّيّارة الآن ، فالدّولة تتكفّل بتوفير هذه الأمور للإنسان

---

[1] النّساء : ٥٨ .

[2] النّحل : ٩٠ .

المسلم وغير المسلم ، وإذا يوجد إنسان غير مسلم مقيم على أرض الدّولة الإسلاميّة فلا بدّ أن تتوفّر له حاجاته الأساسيّة إذا كان لا يستطيع أن يعمل .

لذلك عليّ أمير المؤمنين عليه السّلام عندما كان يسير في الكوفة ورأى شخصًا يستجدي النّاس فقال : ما هذا ؟ ، ولم يقل : من هذا ؟

كان يسأل عن ظاهرة غريبة ، فضمن حكم أمير المؤمنين عليه السّلام لا يوجد فقير ، ففي حكم الحاكم العادل لا يوجد أيّ فقير ، فقالوا له بأنّ هذا نصرانيّ ، فأمر عليّ عليه السّلام أن يعطوه من بيت المال ، فهم استهلكوا شبابه ، ففي الشّيب لا بدّ أن تقضى حاجاته .

والرّواية هي : مرّ شيخ مكفوف كبير يسأل ، فقال أمير المؤمنين عليه السّلام : ما هذا ؟ قالوا : يا أمير المؤمنين ، نصرانيّ . فقال عليه السّلام : استعملتموه حتّى إذا عجز وكبر منعتموه ، أنفقوا عليه من بيت المال [1] .

هذه هي نظرة أمير المؤمنين عليه السّلام إلى الإنسان من أيّ دين كان ، حتّى لو كان يوجد إنسان كافر يعيش في المجتمع الإسلاميّ إذا لا يستطيع أن يعمل لا بدّ أن تُقْضَى حاجاته .

إذن الدّولة الإسلامية تتكفّل بجميع النّاس ، فما دام أنّ هذا الإنسان دخل إلى حدود الدّولة فالحاكم مسئول عنه ، وحينما يدخل

---

[1] وسائل الشّيعة ج١١ ص٤٩ ح١ .

الآن أيّ إنسان وتعطيه تأشيرة الدّخول إلى دولتك – فتأشيرة الدّخول معناها أنّه لك الأمان حينما تدخل إلى دولتي ، وأن لا أحد يتعرّض لك ، فأنت دخلت لكي تعمل فالمجال مفتوح لك ، ويمكن أن تقوم بأيّ عمل ، فتأشيرة الدّخول لها التزامات من الدّولة الّتي تعطي هذه التّأشيرة ، لا فقط أنّه تدخل إلى البلد وأنا غير مسئول عنك ، الدّولة مسئولة عنه ، ومسئولة عن توفير الأمان له ، فإذا اعتدى شخص عليه فلا بدّ أن يُحَاسَبَ هذا الشّخص ، لا نقول هذا مواطن وذاك وافد ، حتّى الوافد يأخذ حقّه سواء كان مسلمًا أم يهوديًّا أم مسيحيًّا أم بوذيًّا أم من أيّ دين آخر ، أنت تعطيه الأمان بمجرد ما يدخل إلى الدّولة ، ولا أحد يحقّ له أن يعتدي عليه ، فتجب المحافظة على حقوق جميع النّاس في الدّولة الإسلاميّة .

"لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الكِتَابَ وَالمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ" [1] .

تقول الآية الكريمة : **"لِيَقُومَ النَّاسُ بِالقِسْطِ"** ، في الدّولة الإسلاميّة يوجد الحاكم العادل ، ولكنّ النّاس يعينونه ويساعدونه على تطبيق العدل ، فكلّ إنسان يأخذ حقّه بمعونة النّاس ، لذلك فالإمام المهديّ عليه السّلام يحتاج إلى أناس يساعدونه على تطبيق العدل في العالم ، ولا يقوم لوحده ، لذلك نقول بأنّه عليه السّلام يحتاج إلى الأنصار ، والعالم لا بدّ أن يكون مُتَهَيِّئًا لاستقباله ، ويكون متهيّئًا إذا توفّر

---

[1] الحديد : ٢٥ .

أناس يعينون الإمام عليه السّلام على تطبيق العدل ، فنحتاج إلى التّهيئة العالميّة بحيث يعينون الإمام على تطبيق العدل والآخرون يقبلون العدل ، فالفقير يقبل العدل ، والغنيّ يقبل العدل أيضًا ، فإذا أخذ الإمام عليه السّلام من أموال الغنيّ فلا بدّ أن يقبل الغني ذلك لكي يحصل الفقير على ما يحتاج .

إذن القيام بالقسط والعدل لا يمكن بدون وجود النّاس الّذين يطبّقون العدل ، الآن كلّ شخص لا بدّ أن يسأل نفسه : هل أنا أطبّق العدل في حياتي ؟

هذه الخادمة الموجودة عندي هل أنا أعطيها حقّها في كلّ شهر أو لا ؟

في مكان عملي هل أنا أقوم بوظيفتي أو لا ؟

هل تعطي كلّ ذي حقّ حقّه ؟

المراجع الّذي له معاملة في مقرّ عملك حينما يأتي إليك هل تنجز معاملته بسرعة أو تقول له بلا أيّ داعٍ للتّأجيل : تعال بعد أسبوع ؟

هل توقّع وتخرج من العمل بدون عذر ؟

هل بهذه الطّريقة أنت تُقِيمُ العدل في وظيفتك ؟

وكلّ إنسان لا بدّ أن يراجع نفسه .

إنّ هدف إرسال الأنبياء عليهم السّلام هو نشر العدل ، والآية تقول : "**وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ**" ، فنسأل : ما هي علاقة الحديد بإقامة العدل ؟

جعل الله عزّ وجلّ الحديد والسّلاح وقوّة القانون ضمانًا لتنفيذ العدل ، ومن يخالف يحوّله إلى المحكمة ، فنحتاج إلى قوّة من أجل تطبيق القانون ، والحديد كناية عن القوّة .

"وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالقِسْطِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ" [١] .

"يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللهِ" [٢] .

"وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ" [٣] .

سؤال : هل العدل معناه التّساوي والمساواة ؟

الجواب :

ليس معنى العدل والعدالة هو التّساوي والمساواة ، فقد تعطي إنسانًا أكثر من غيره لأن حاجته أكثر ، كأن يكون عدد أولاده أكثر ، وليس بالضّرورة أن تتوفّر المساواة ، وإنّما المراد من العدل هو إعطاء كلّ ذي حقّ حقّه .

وإذا كنت تريد أن تعطي كلّ ذي حقّ حقّه فنسأل : كيف يتمّ توزيع المناصب في الدّولة ؟ على أيّ أساس ؟ على أساس العدل أو على أساس المحسوبيّة أو الرّشوة ؟

---

[١] المائدة :٤٢ .

[٢] ص : ٢٦ .

[٣] الأنبياء : ٤٧ .

لا بدّ أن يتمّ توزيع المناصب في أيّ دولة من الدّول على أساس الأمانة والكفاءة ، يوجد أمران كمقياس : الأمانة والكفاءة ، وعدم رعاية ذلك في توزيع المناصب ظلم على الشّخص وعلى الأمّة ، فالظّالم ليس فقط هو الّذي يأخذ حقوق النّاس ، بل حتّى في توزيع المناصب لا بدّ أن يتوفّر العدل ، ولا ننظر إلى دين الشّخص أو مذهبه ، إذا كان أمينًا حفيظًا وكُفْئًا بعلمه فإنّه يحصل على الوظيفة .

يقول القرآن الكريم عن نبيّ الله يوسف عليه السّلام :

"وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ" [1] .

وعلى أساس العدل تنمو المجتمعات وتتقدّم وتتطوّر إمكاناتها العلميّة والعمليّة ، لذلك تقدّمت المجتمعات الغربيّة والشّرقيّة ؛ لأنّهم ينظرون إلى الموظّف الكفء الأمين ، يريدون إنسانًا مُنْتِجًا حفيظًا ، لا فقط أنّه ابن عمّي فأجعله في هذه الوظيفة ، لأنّه من قبيلتي أو عشيرتي أعطيه هذا المنصب ، والأمم تتقدّم بشروط معينة ، وأيضًا تتطوّر إمكاناتها المادّيّة والعلميّة والعمليّة ، لذلك تَقَدَّمَ الغرب لأنّهم طبّقوا العدل ، والمسلمون تخلّفوا لأنهم لم يطبّقوا العدل ، والعدل ليس مقصورًا على المسلمين ، قد يكون إنسانًا لا يعتقد بوجود الإله ، ولكنّه عادل يعطي كلّ ذي حقّ حقّه .

---

[1] يوسف : ٥٤-٥٥ .

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله : "من استعمل رجلًا من عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين" [1] .

إذا استعمل شخصًا في وظيفة وهناك شخص أفضل منه فهذه خيانة لله ورسوله والمؤمنين ، ومصدر الرّواية مصدر سنّيّ ، ولكن هذه الرّواية تتوافق مع القرآن الكريم لأنّها تطرح العدل ، فيمكن الأخذ من كتب المذاهب الأخرى ، وهذا هو المنهج المتَّبع ، فنستفيد من جميع مذاهب المسلمين فيما يطرحون ، ونستفيد من التّراث الإنسانيّ أيضًا ، ونستفيد من العلوم الإنسانيّة ، ونستفيد من العلوم الطّبيعيّة في فهم الدين أكثر .

إذن :

المحور الرّابع هو اهتمام القرآن الكريم بالعدل .

وسنأتي إلى باقي محاور القرآن الكريم في الأسبوع القادم إن شاء الله تعالى .

والحمدلله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا أبي القاسم محمّد وآله الطّيّبين الطّاهرين .

---

[1] كنز العمّال للمتّقي الهنديّ ج٦ ص٢٥ باب١ من كتاب الإمارة والقضاء من قسم الأقوال حديث ١٤٦٨٧.

المصادر

الأمالي – الشّيخ الصّدوق .

الأمالي – الشّيخ الطّوسيّ .

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل – الشّيخ ناصر مكارم الشّيرازيّ .

بحار الأنوار – العلّامة المجلسيّ .

تحف العقول – ابن شعبة الحرّانيّ .

تفسير العيّاشيّ .

التّوحيد – الشّيخ الصّدوق .

الجعفريّات – إسماعيل بن موسى بن جعفر .

الخصال – الشّيخ الصّدوق .

الدّعوات – قطب الدّين الرّاونديّ .

الرّسالة السّعديّة – العلّامة الحلّيّ .

سفينة البحار – الشّيخ عبّاس القميّ .

السّنن الكبرى – النّسائيّ .

شرح معاني الآثار – أحمد بن محمّد بن سلمة .

صحيح البخاريّ .

صحيح مسلم .

الصّحيفة السّجّاديّة الكاملة – الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السّلام .

عقائد الإماميّة – الشّيخ محمّد رضا المظفّر .
عوالي اللّآلي – ابن أبي جمهور الأحسائيّ .
الكافي – الشّيخ الكلينيّ .
كنز العمّال – علاء الدّين على المتّقي بن حسام الدّين الهنديّ .
مجمع البيان – الشّيخ الطّبرسيّ .
مستدرك سفينة البحار – الشّيخ عليّ النّمازيّ الشّاهروديّ .
مصباح المتهجّد – الشّيخ الطّوسيّ .
معاني الأخبار – الشّيخ الصّدوق .
نهج البلاغة – الشّريف الرّضيّ .
نيل الأوطار – محمّد بن عليّ الشّوكانيّ .
وسائل الشّيعة – الشّيخ الحرّ العامليّ .

محتويات الكتاب

عالميّة الإسلام – الجزء الثّاني

تعليقات على محاضرات عالميّة الإسلام ٥

١٥- خصائص القرآن الكريم ٣١

١٦- الاستعاذة والبسملة ٤٩

١٧- اقتران الأعمال باسم الله ٦٨

١٨- كيف يستفيد الإنسان من اسم الله ؟ ٩٣

١٩- الإسلام دين الرّحمة ١١٤

٢٠- الرّحمة الإلهية ١٣١

٢١- الرّحمة النّبويّة ١٤٥

٢٢- وإنّك لعلى خُلُقٍ عظيم ١٦٤

٢٣- حريّة البحث العلميّ ١٨٥

٢٤- ثقافة الاختلاف ٢٠٥

٢٥- حرّيّة الفكر والاعتقاد ٢١٩

٢٦- محوريّة القرآن الكريم ومحاوره ٢٤٤

المحور الأوّل : خطابات القرآن العالميّة ٢٥٤

٢٧- تابع محاور القرآن الكريم ٢٦٨

المحور الثّاني : الأمّة الإسلاميّة أمّة واحدة ٢٧٠

المحور الثّالث : قوّة الأمّة الإسلاميّة وهيبتها ٢٨٢

المحور الرّابع : اهتمام القرآن بالعدل ٢٨٧

المصادر ٢٩٤